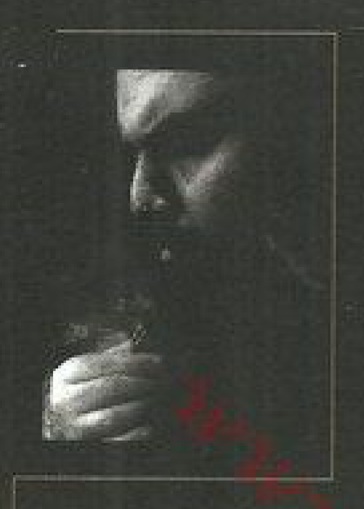

رواية
The Butcher
الجزار
حسن الجندي





رواية

حسن الجندي

" صديقي العزيز أنت هنا داخل مباحث أمن الدولة، وصدقني لو فعلت ما أقوله لك بهدوء فستكون أصدقاء في المستقبل وسترى كل الحب والعطف مني، وإذا اخترت الطريق الصعب وأردت أن تمارس دور البطل فدعني أقول لك شيئا بسيطا "

أقترب برأسه للأمام قليلا وابتسامته تزداد ونبرات صوته تخرج صافية وهو يقول:

- " كل الأفلام التي شاهدتها وكل الأساطير التي سمعتها عن ما يحدث هنا لا تظهر سوى 1 ٪ من ما يمكننا فعله يا صديقي، يمكنني في خلال ساعة واحدة أن أرغمك على أن تكفر بوجود الله ببساطة أو أجعلك تقبل قدمي كي تعترف بأي جريمة أطلبها .. كي أكون صريحا معك أقول لك أن تقطيع الأطراف وهتك الأعراض هو لعب أطفال بالنسبة لما يمكن أن تراه هنا، فأنا بالذات رجل فنان أحب الاستمتاع بعملي أثناء تأديته ويمكنك أن تتأكد الآن من ذلك "

تصميم الغلاف: عبد الرحمن الصواف



OKTOB.NET
أكتب للنشر والتوزيع
Oktob Published house

الجزار ط.٢

حسن الجندي

الطبعة الثانية ، ٢٠١١

دار اكتب للنشر والتوزيع

١٠ شارع عبد الهادى الطحان ، المرج الغربية

موبايل :٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

عبد الرحمن الصواف

تدقيق لغوي :

د/إيمان الدواخلي

رقم الإيداع : ٢٠١١/٢٢٨٥٧

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-٠٧٩-٧

الجزار

حسن الجندي

الطبعة الثانية

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

تعودت ألا أكتب أي نوع من الإهداء لأشخاص ليس لهم علاقة بالرواية، ولكن هذه حالة استثنائية، عرف روايتي قبل موته فأحبها، وعرفته بعد موته فأحببته، تمنى مقابلتي، وتمنيت مقابلته، قال إن الرواية غيرته، وأقول له إن موته غيرني.

أهدي تلك الرواية إلى روح القارئ الذي لم ألتقه، والصديق الذي تمنيته .. (عمر)

سنلتقي يا صديقي في الدار الآخرة

حسن الجندي

الانتقام وجبة يفضل أن تقدم باردة ....

مقدمة:

بدأ يفيق، ويحاول أن يتذكر ما حدث قبل لحظات الإغماء؛ لكن قبل أن يفتح عينيه، اخترقت أنفه رائحة طعام شهي، تشبه رائحة شواء اللحم، ولكنها رائحة أثقل بكثير. يبدو أن هناك الكثير من التوابل التي أضيفت لهذا الشواء.

حاول أن يفتح عينيه؛ لكنه شعر بثقل جفونه، مع تنميل تام في أطرافه، فلم يشعر بيده ولا قدمه، لكن حاستا السمع والشم كانتا تعملان على أكمل وجه، فأنفه تجد رائحة شواء، وأذنه تسمع صوت احتكاك شوكة بطبق ما، ثم صوت مضغ.

بدأ الثقل في جفونه يضيع تدريجيًا، حتى استطاع بمجهود أن يفتح عينيه، ولكنه لم ير شيئًا في البداية، وكأن على عينيه طبقة من الدموع، تحجب الرؤية، وتجعلها صعبة.

مرت ثوان، ثم بدأت الرؤية تظهر شيئًا فشيئًا، ولكن مازالت بعض الرؤى غير واضحة. إنه مازال في منزله، وهذه هي مرآة غرفة الطعام التي يعرفها، ولكن هل الرؤية مازلت غير واضحة لعينيه، أم أن المرآة مهشمة؟

سمع صوت المضغ مرة أخرى؛ ولكنه استطاع تحديد الاتجاه الذي يأتي منه صوت المضغ.. إنه على يساره. ولكن المشكلة هو شعوره بخدر في أطرافه، فلا يستطيع النظر ليساره. حاول بشيء من الجهد أن يحرك رقبته لليسار، حتى يرى مصدر صوت المضغ، ولكنه فشل في أول مرة. حاول مرة أخرى، وهذه المرة نجح في تحريك رقبته حركة بسيطة لليسار، ليجد شيئًا غريبًا .

مازالت الرؤية مشوشة، ولكنه قادر على التمييز، حيث رأى رجلًا يجلس على أحد أطراف منضدة الطعام، وأمامه طبق صغير، داخله شيء ما يأكله، وهناك طبق آخر كبير أمامه، يحتوي على شيء ما، يبدو أنه قطع لحم مشوي. الرجل يأكل باستمتاع وهو ينظر لطبقه، وفجأة نظر أمامه، لتصطدم عيناه بعين الرجل، الذي خدرت أطرافه.. ثم ابتسم !!!!!

كلا من الرجلين ينظر للآخر، ولكن الفرق أن الرجل الذي يأكل ينظر له بابتسامة، أما الآخر فيحاول أن يتبين ملامح الرجل الذي يأكل بصعوبة، وكأنه لا يرى ملامحه.

توقف الرجل عن المضغ وهو مازال ينظر له مبتسمًا، ثم قال:

- " قطعة لحم شهية أشبعت جوعي "

لم يفهم الرجل الذي تم تخديره ما المقصود من العبارة، فأكمل الرجل:

- " أعذرني.. وددت لو تشاركني في تذوق ذلك اللحم اللذيذ، ولكن أعرف أنك ستمانع قليلًا لأسباب شخصية "

قال الرجل العبارة السابقة، ثم أشار بإحدى يديه في اتجاه معين في جسد الرجل الآخر، فما كان من الرجل الآخر إلا أنه حاول بشيء من الجهد أن يحرك رقبته، لينظر للموضع الذي أشار له الرجل الذي يأكل اللحم.

بعد مجهود استطاع تحريك رقبته لأسفل قليلًا ليجد أن هناك لونًا أحمرًا يقابل عينيه أثناء نزولها لأسفل، فجأة شاهد الرجل شيء ما عند قدمه، فاتسعت عيناه برعب، ونظر باتجاه الرجل الآخر بسرعة.

لقد رأى نفسه لا يرتدي سروالًا، وقدميه مبتورتين من عند الركبة، وفخذيه مقطعين، وأجزاء من لحمهم غير موجودة، وعظام الفخذ يظهر جزء منها له !!!

الجزء الأول

العــذاب

(يمكنني في خلال ساعة واحدة أن أرغمك على أن تكفر بوجود الله ببساطة، أو أجعلك تقبل قدمي، كي تعترف بأي جريمة أطلبها)



١

الثلاثاء ١٤ / ١٢ / ٢٠٠٧ (الساعة ٥ مساءً)

نظر (آدم) إلى ساعة يده، ليجدها الخامسة تمامًا، فأراح ظهره قليلًا للوراء، وأخذ يتمطى ويحرك رأسه يمينًا ويسارًا، ليعيد لعضلاته النشاط، بعد ساعات العمل، التي قضاها خلف هذا المكتب في مراجعة الحسابات، ومتابعة أعمال الموظفين الذين يديرهم بصفته رئيس حسابات شركة (n.m group) المتخصصة في استيراد الحواسب الآلية .

أخرج هاتفه المحمول وابتسامة ترتسم على وجهه وهو يشعر بسعادة وهو يجري تلك المكالمة، والتي بمجرد أن رفع الطرف الآخر السماعة، قال بصوت خفيض، وابتسامته تزداد:

- " لقد انتهى عملي يا حبيبتي، وسأكون في المنزل بعد ساعة على الأكثر، أحبك يا مالكة قلبي "

ثم أغلق الهاتف، ونظر حوله، ليتأكد من عدم وجود شخص قريب منه، كي لا يفقد هيبته أمام موظفي الشركة. بعدها قام بغلق الدفاتر والملفات، وتأكد من دخول بعض الملفات إلى الخزانة الصغيرة في مكتبه. في نفس الوقت سمع طرقات على الباب، ففتح الطارق الباب، ليظهر رجل ضخم

الجثة، أشيب الشعر، يرتدي نظارة طبية أنيقة، وذو لحية خفيفة تميز وجهه مع النظارة التي يرتديها. كان الرجل مبتسمًا ابتسامة بسيطة، وهو يدخل لمكتب (آدم) الذي حياه باحترام شديد، ودعاه للجلوس بعيدًا عن المكتب قائلًا:

- " أهلًا سيادة المدير، تفضل "

رد عليه الرجل الوقور ببساطة قائلًا:

- كم من مرة قلت لك لا تقول كلمة سيادة المدير هذه مرة أخرى، يا بني أنا أعتبرك كولدي تمامًا، فلماذا تلك الألقاب ؟ "

ابتسم (آدم) بخجل، وقال لمديره:

- " كما تريد يا أستاذ (عماد)، ولكن هل هناك شكوى في العمل، أو خطأ وصلك الأيام السابقة؟ "

قهقه الرجل ضاحكًا وهو يقول:

- " وهل زيارتي لك تعتبرها نذير شؤم لهذه الدرجة يا (آدم)؟ لا تخف يا بني، جئت اليوم لأبلغك بخبر اتفق مجلس الإدارة عليه وديًا، وسيتم تنفيذه بداية من الشهر القادم، بخصوص الصفقة التي أشرفت عليها منذ يومين "

تجمدت ملامح (آدم) من الرعب وهو ينظر للمدير بترقب، ولكن المدير أكمل قائلاً:

- " لقد تقرر زيادة مرتبك بصفة دائمة خمسمائة جنيها من الشهر القادم، مع إعطائك نسبة ٢% من أرباح أي صفقة تقوم بها منفردًا لصالح الشركة "

اتسعت ابتسامة (آدم) وهو ينظر للمدير شاكرًا إياه على كل هذا، وأخذ يتخيل ما يمكن أن يحققه من صفقات، وكيف سيسعد هذا زوجته عندما تسمع الخبر الليلة.

***

الثلاثاء ١٤ / ١٢ / ٢٠٠٧ (الساعة ٦ مساءً)

ارتفعت ضحكة الملازم أول (محمود) وهو يستمع لتلك النكتة البذيئة، التي يقصها عليه زميله (عادل)، بالرغم من انشغالهم بإحدى القضايا، التي ظلوا يعملون عليها لأسبوع، وخصوصًا بعد التوصل لمعلومات هامة بخصوص أحد أخطر المجرمين. ولكن مازال حس الفكاهة يسري بينهم، وهم يجلسون بين الأوراق، وقد ارتدى كل منهم ملابسًا عادية بحكم عملهم في (إدارة مباحث أمن الدولة) .

فجأة انفتح باب الغرفة، ليدلف منه شاب قوي البنيان، طويل، ذو شعر أسود وعيون زرقاء ووجه وسيم:

- "استمع لضحكاتكم من قبل دخولي الغرفة، هل تلقون النكات؟"

قال الرائد (حسن) تلك العبارة بصوت عالٍ، وابتسامه مشرقة، فقصوا عليه النكتة، فضحك بصوت عالٍ، ثم عاد وجهه للجدية وهو يقول، بعد أن جلس على أحد مقاعد الغرفة:

- " والآن اللواء (حمدي الصريطي) شخصيًا يتابع ملفات القضية، وعلم أن هناك أحد المنفذين لعملية التفجير قد تم القبض عليه واعترف ببعض الأسرار، وهو الآن يطلب تقريرًا عن اعترافاته على مكتبه بعد ساعة من الآن "

نهض (محمود) وهو يقول:

- " سأذهب الآن لإحضار ملف التحقيق، الذي تم أول أمس، وأقوم بتلخيصه. ستكون عندك الورقة بعد نصف ساعة على الأكثر "

خرج (محمود) من الغرفة، في نفس الوقت الذي تثاءب فيه (حسن) وهو يقول مخاطبًا زميل (محمود):

- " ماذا عن المعلومات التي أعطاها لنا منفذ العملية.. هل قادتنا لشيء؟"

- " بعد استمرار التحريات، أمكننا أن نتوصل لاسم ثلاثي وراء أغلب الأحداث، ويبدو أنه المخطط الرئيسي داخل مصر، ولكن هذا الاسم ينطبق على ثمانية أفراد داخل مصر"

***

وقف (آدم) يتأمل الخاتم الذهبي في صندوق عرض إحدى محلات الذهب وهو يبتسم، فقد كان ينوي شراء هذا الخاتم لزوجته بعد أن يقبض مرتبه في آخر هذا الشهر، أي بعد أسبوعين، وقد علم أن سعره لا يزيد عن ستمائة جنيها؛ ولكن الوضع سيختلف، فيمكنه أن يشتري هذا الخاتم الآن، والخمسمائة جنيها -الزيادة في مرتبه من الشهر القادم- ستعوضه عن النقود التي سيدفعها الآن .

ارتفعت عيناه لأعلى وهو يتخيل تلك اللحظة التي سيعطي فيها لزوجته الخاتم، وكيف سيرى السعادة على وجهها.. خفض عينيه، وزادت ابتسامته، ولم يفكر كثيرًا، وفتح باب المحل ليدخل..

الثلاثاء ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٧ (الساعة ٦:٣٦ مساءً)

- " لا وقت لدي لأضيعه يا حضرة الرائد، قل لي سريعًا ما حدث مع المتهم "

نطق اللواء (حمدي) العبارة، وتبعها بأن أراح ظهره للوراء وهو ينظر للرائد (حسن)، الذي يقف أمامه منتصبًا، والذي قال بثبات:

- " بعد أن تم اكتشاف وجود قنبلة زمنية في فندق (....) بالجيزة الساعة العاشرة والنصف مساء يوم السبت الماضي، وتم وقف عملها، راجعنا شرائط المراقبة لآخر اثني عشرة ساعة، وعثرنا على الشخص الذي قام بوضع القنبلة في الملهى الملحق بالفندق. تم القبض عليه يوم الأحد الساعة السادسة مساءً في أحد المقاهي التي تردد عليها، وقد اعترف أنه -عن طريق الاتصال الهاتفي- قد تلقى عرضًا بإيصال تلك القنبلة، والدخول بها من بوابة الفندق، حيث يستحيل كشفها لأنها صنعت من رقائق بلاستيكية ومواد كيميائية.. ثم قام المتهم بتثبيتها تحت أحد المقاعد، وتشغيلها ليبدأ التفاعل، حيث كان مقررًا انفجارها الساعة الثانية عشر، وكل هذا مقابل مبلغ خمسين ألف جنيها. وعن طريق هذا المتهم توصلنا للمهندس الذي قام بتركيب القنبلة، واعترف أنه لا يعلم أي شيء سوى

أن هناك ثلاث قطع يجب تركيبهم، وقد دخلوا مصر عن طريق ثلاث بلدان، والمواد الكيميائية التي استخدمها أيضًا تم جلبها من الخارج، وكل هذا وجده في داخل شقة مجهزة بمدينة نصر، وتم إبلاغه أيضًا عن طريق الهاتف، مقابل وضع ثلاثمائة ألف جنيها في حساب شخصي باسمه.

تم الذهاب لعنوان تلك الشقة، وبعد التحريات، قادتنا الشقة لعدة أسماء وأرقام هواتف وحسابات بنوك، وكل هذا في النهاية قادنا إلى اسم شخص واحد، هو نهاية طرف الخيط .. "

- " من هو ؟ "

- " لا نعرف سوى اسمه الثلاثي (آدم محمد عبد الرحمن) "

***

الثلاثاء ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٧ (الساعة ٦:٣٨ مساءً)

وقف (آدم) أمام العمارة حديثة الإنشاء، والتي لم يتم تجهيز ولا شقة بها إلا شقته. دخل من باب العمارة، وأخذ يصعد درجات السلم بلهفة وشوق، كي يصل للطابق الرابع، التي تكمن شقته به.

وقف أمام الباب يلتقط أنفاسه، ثم وضع المفتاح في ثقب الباب بهدوء، كي يفاجئ زوجته الحبيبة بدخوله. فتح الباب

ببطء كي لا يحدث صريراً، ثم دلف إلى الشقة على أطراف أصابعه، وهو يغلق الباب بلا صوت، ثم يسير ليبحث عن زوجته في الغرف.

فجأة شعر بمن يطوقه من الخلف بحنان، فانتفض لحظة من الفزع، ليسمع صوت (بتول) زوجته وهي تضحك بمرح من فعل زوجها. حاول أن يتحرر من يدها، لينظر لها، لكنها احتضنته بشدة، وأراحت رأسها على كتفيه من خلفه، فهدأت حركته وهو يقول بحب:

- " اشتقت إلى هذه اللحظات طوال اليوم "

أغمضت (بتول) عينيها وهي مازالت تريح رأسها، وقالت برومانسية:

- " وأنا اشتقت لك طوال اليوم يا حبيبي. لماذا تأخرت نصف ساعة كاملة عن موعدك؟ كدت أموت من اللهفة عليك. "

هنا تحرر (آدم) من يدها التي تحيط بخصره بلطف، ثم اعتدل ليصبح أمامها، وقرب وجهه من وجهها ليقبلها على خديها بحنان، ثم يقبل يدها، وتبع ذلك بأن أخذها في أحضانه للحظات.

- " هل تسمح أميرتي بأن تغمض عينيها الجميلتين للحظات؟"

ابتسمت (بتول) وهي تضحك له، ثم أغلقت عينيها، فنظر هو لها، ثم أخرج من جيبه العلبة التي تحتوي على الخاتم، وفتحها، وقربها من وجهها، ثم طبع على خديها قبلة أخرى، ففتحت هي عينيها، ورأت الخاتم، ففرحت، واحتضنته سريعًا وهي تقبله وهو يقول:

- " لقد منحتني الإدارة من الشهر القادم زيادة في مرتبي خمسمائة جنيها، غير نسبة ٢% من أرباح أي صفقة أقوم بها منفردًا، فقلت في نفسي إن أحق إنسان في هذا العالم بتلك المكافأة هو أنت. واليوم، تلك الهدية تعبير بسيط عن شكري لك."

***

الثلاثاء ١٤ / ١٢ / ٢٠٠٧ (الساعة ٧ مساءً)

رشف (حسن) آخر رشفة من كوب الشاي الساخن، الذي وضع أمامه، ثم نظر للرائد (صبري) ليستمع لباقي كلامه، فأكمل (صبري) قائلًا:

- "وبعد أن انتهينا -كما قلت لك- من تشابه الاسم الثلاثي مع طفلان، ورجل تعدى السبعين فاقد البصر، وشخص ميت من ست سنوات يحمل نفس الاسم، بقى أمامنا شخصان

يحملان اسم (آدم محمد عبد الرحمن) الأول يعمل في شركة (n.m group) لاستيراد أجهزة الحاسب الآلي وقطع غيارها، وقد تزوج منذ عامين ونصف، وأنجب طفلة صغيرة منذ عام.. السن خمسة وعشرون عامًا، يسكن في إحدى ضواحي المرج (الخصوص) في منطقة منعزلة نوعًا ما، تدرج في عمله في وقت قياسي من محاسب صغير في الشركة بعد تخرجه إلى أن قدم دراسة لإدارة الشركة عن تطوير نظام المحاسبات بطريقة تجعلها تنفق نصف التكاليف في المراجعات والتنظيم، وبعد موافقة الإدارة على المشروع وتطبيقه، نجح (آدم) في إثبات نفسه، وتمت ترقيته بسرعة غير عادية بسبب تقديمه مشروعين آخرين، في العام الذي يليه، لتطوير نظام الحسابات بطريقة عبقرية، مما جعل (آدم) يصل لمنصب مدير حسابات الشركة في وقت قياسي من بداية عمله. تزوج بعد تخرجه مباشرةً من بنت عمه، التي ارتبط معها بقصة حب منذ الصغر، ليس له سجلات في أقسام الشرطة، اشتهر بحسن السير والسلوك"

أخرج (حسن) علبة سجائره، ثم أخرج سيجارة وأشعلها، وهو يدعو (صبري) لأن يكمل:

- " الثاني لا نعلم عنه شيئًا إلا أنه يبلغ من العمر ثمان وعشرين عامًا، وأنه سافر الإمارات مع والده بعد وفاة والدته، منذ أن كان في السادسة، ثم عاد مرة أخرى لمصر وحيدًا في

العشرين من عمره، واعتمد على ميراث تركه له والده في الإنفاق على نفسه. وقد تميز في إجادة مجموعة لغات أوربية، لحبه الشديد لتعلم اللغات. وهذا حاليًا ما أمكننا العثور عليه، فلا نعلم مكان إقامته الحالي، بعد أن انتقل من محل إقامته، ولكننا نحاول تتبعه."

في تلك اللحظة، سمع الاثنان صوت دقات على باب الغرفة، ثم دخل شاب متوسط الطول، ممتلئ قليلًا، وهو يقول بانفعال:

- " هل توصلتم لهذا الذي يدعى (آدم) ؟ هناك أوامر عليا بأن يكون داخل الإدارة الليلة بأي شكل."

نظر (حسن) و (صبري) إلى بعضهما، ثم تكلم (صبري) بخيبة أمل قائلًا:

- " عثرنا على اثنين.. الأول بعيد تمامًا عن الشبهات، والثاني أعتقد أنه هو هدفنا؛ ولكننا سنحتاج إلى يوم آخر، لنكمل تحرياتنا عنه، كي نجده."

ارتفع صوت الذي دخل الغرفة وهو يقول بغضب:

- " قلت لكم إنه يجب أن يكون هنا الليلة، ألم تفهموا؟ أقول أوامر عليا "

كاد (صبري) أن يرد عليه بغضب مماثل، ولكن (حسن) أخرسه بإشارة من يده، وقال بهدوء:

- " الليلة سيكون عندك المدعو (آدم محمد عبد الرحمن).. لا تشغل بالك "

قالها بهدوء، وشبح ابتسامه يرتسم على وجهه.

***

الثلاثاء ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٧ (الساعة ٣:٧ مساءً)

- " ها أكمل ماذا حدث بعد أن قال لك المدير إن لك ٢% من أرباح الصفقات، ولكن أكمل كلامك وأنت تأكل يا حبيبي "

كانت الفرحة بادية على وجه (بتول) وهي تقول تلك العبارة في حين أنها في نفس اللحظة كانت تجلس (آدم) على المقعد وهو يبتسم لها مما تفعله، ثم جلست بجانبه، وأمسكت الملعقة، ووضعتها في طبق الأرز، لتطعمه إياها..

- " كفى يا (بتول) كفى "

قال (آدم) تلك الكلمات بصعوبة، وهو يضحك و(بتول) مصممة أن يأكل ملعقة الأرز من يديها، وفي النهاية تركها تضع الملعقة بفمه ليمضغها وهو مازال يضحك، ولكن (بتول) وضعت قطعة من اللحم في فمه بسرعة، وهي تكاد تقفز من مكانها من الفرح قائلة:

- " هيا هيا أكمل كلامك "

بصعوبة تكلم (آدم) والطعام مازال في فمه:

- " قال لي بأن الإدارة ستصدر قرارًا يمكنني من الخروج من الشركة قبل انتهاء ساعات العمل عن طريق تقديم طلب إذا كان الأمر يتعلق بصفقة أقوم بمتابعتها أو أعقدها، وبعد شهرين ستصرف لي مكافأة ضخمة بسبب صفقاتي، أما الأرباح فسأتسلمها في شهر أغسطس من كل عام."

وضعت (بتول) في فمه قطعة من اللحم مرة أخرى، وهو يضحك محاولًا الرفض وهي تصر وتقول:

- " ألم أقل لك منذ زمن إنك عبقري يا عمري "

كانت (بتول) تمسك بملعقة الأرز وتقربها من فمه، ولكنه أمسك يدها الممسكة بالملعقة بيده بلطف، ثم نظر إلى عينيها، وانحنى برأسه، وقبل يدها، في حين أنها أمسكت يده الممسكة بيدها، وانحنت وقبلت يده هي الأخرى، مرت لحظات صمت قطعها صوت (آدم) الحاني قائلًا:

- " لم أكن سأصل لشيء لولا وقوفك بجانبي كل تلك السنوات، منذ فتحت عيني على الدنيا وأنت أمامي.. بجانبي.. أشعر بدفء حنانك وبعطر أنفاسك.. أمتع لحظات حياتي كانت يوم أن تلمس يدي يدك ونحن ذاهبان للمدرسة، وأتعس لحظاتها عندما كنا نفترق في نهاية اليوم."

فجأة تركت (بتول) الملعقة، وهي تقفز من مقعدها بخفة ظل، قائلة:

- " انتظر هنا ولا تتحرك، فقد وجدت مفاجأة جميلة وأنا أنظف الشقة اليوم."

لم تكد تنهي عبارتها، حتى جرت ناحية غرفة النوم للحظات، ثم عادت وهي تحمل مجموعة ضخمة من الأوراق وألبومات صور كثيرة، وضعتها جميعًا أمامه، بعد أن قامت بإزاحة أطباق الطعام من أمامه على المنضدة.

- " وأنا أنظف ما فوق دولاب الملابس، وجدت صندوقا قديما مغلقا، وتذكرت أننا أحضرناه معنا إلى الشقة عندما انتقلنا، ونسينا أن نفتحه، فقمت بفتحه، ووجدت جميع الخطابات والكروت التي كنت ترسلها لي منذ كنا أطفالا، وألبومات الصور التي جمعتنا."

كان (آدم) متشوقًا حقًا ليرى الألبومات، فأمسك أحد الألبومات وفتحه، فوجد في أوله صورة لمجموعة أطفال لم يتعدوا سن الرابعة، وخلفهم آباؤهم يضحكون.

- " هل تتذكر أيام المرحلة الابتدائية يا ابن العم "

شرد (آدم) لثوان وهو يقول:

- " نعم أتذكر حتى قبل أن ندخل المدرسة، عندما كنا نلعب جنبًا إلى جنب."

أراحت (بتول) رأسها للوراء، ونظرت باتجاه السقف وهي تقول:

- " وأنا أيضًا أتذكر عندما كان والدي يوصيك أن لا تحرك عينيك من عليّ ونحن نلعب صغارًا. هل تتذكر ونحن في السادسة، عندما قام (عادل)، الطفل الذي كنا نلعب معه بقذفي بحجر في وجهي؟"

ضحك (آدم) وهو يتذكر الموقف قائلًا:

- " لحظتها لم تنهي لوالدك، بل أتيت لي، ودخلت غرفة نومي وأنت تبكين، وترويت لي ما حدث. قمت أنا من على الفراش، ونزلت إلى الشارع بسرعة، حتى وصلت لمنزل (عادل)، ووجدته يلعب تحت المنزل، فقفزت عليه وأنا أكيل له اللكمات والركلات، وهو مذهول لا يفهم ماذا يحدث. "

أكملت (بتول):

- " بالرغم من أن عمرك لم يتعد السادسة؛ ولكن بسبب ما فعلته فإن (عادل) قد شجت رأسه، وظلت الكدمات ظاهرة لأسابيع، والألم لا يفارقه."

ضحك الاثنان، في حين نظرت له (بتول) وهي تقول:

- " لن تصدقني لو قلت لك إنني اعتبرتك والدي منذ ذلك اليوم، كنت أنظر لك كأنك كائن خرافي، قد جاء من الحكايات، التي ترويها لي أمي، ليحميني. "

- " وأنا كنت أنظر إليك كابنتي، التي أخاف عليها.. ثم تحول ذلك إلى شعور بالحب عند ذهابنا للمدرسة الابتدائية، وأنا أسير كل يوم بجانبك كي نصل للمدرسة، ثم نعود مرة أخرى لمنزل العائلة كي نأكل سويًا. "

- " كنت أرفض أن أتناول الطعام بدونك، وكثيرًا ما كنت أبكي عند غيابك مع والدك في أي مكان، وأنتظرك كي أتناول الطعام معك. "

أمسك (آدم) بأحد الخطابات التي على المنضدة وهو يقول:

- " وفي السنة الرابعة تجرأت وأعطيتك أول رسالة حب، صارحتك فيها بمشاعري، وفي اليوم التالي انتظرت ردك أثناء سيرنا إلى المدرسة، ولكنك ظللت صامتة طول الطريق، وأنت تسيرين بجانبي، حتى وصلنا إلى باب المدرسة. وتوقفت فجأة، واحمر وجهك، ونظرت إلى الأرض، وقلت (أحبك)، ثم جريت فجأة إلى فصلك قبل أن ألحقك. "

قالت (بتول) بعتاب:

- " كنت في قمة الخجل وأنا أقول هذه الكلمة يا (آدم). "

- " ولكن هل تعرفين.. وجهك لحظتها كأنه وجه ملاك يبتسم في خجل."

ابتسمت (بتول) ثم قالت:

- " هل تصدق أننا تربينا في منزل واحد، كنت لا آكل إلا في حضورك، لا أبتسم إلا لك، لا أتحدث إلا معك، كنا نتعامل بعضنا كأننا أزواج منذ الصغر، وكان الجميع يعرف أننا سنتزوج في يوم من الأيام. "

قال (آدم) لها بسرعة:

- " وكان الزواج منك هو أمنيتي الوحيدة في الكون."

انحنت رأس (بتول) في حزن وهي تقول:

- " حتى بعد أن أنجبنا (نور)، واكتشفنا أنني أعاني من ضيق بالشريان التاجي، وضعف في عضلة القلب، وأنني لن أنجب ثانية، مازلت تحبني؟ "

- " مازلت أعشقك أيتها الطفلة، ثم أنت تضخمين الموقف، فلقد تحسنت حالة قلبك بعد أن انتظمنا في أخذ الأدوية. لا تفتحي هذا الموضوع مرة أخرى أيتها الطفلة الشقية، كي لا أعاقبك."

قال (آدم) العبارة السابقة بمرح، فقالت هي بمرح متحدية:

- " لن تقدر."

هنا ارتفع صوت يأتي من غرفة النوم لصراخ طفل صغير، فقال (آدم) بلهفة:

- " هل استيقظت (نور) ؟؟ "

نهضت (بتول) لتذهب إلى غرفة النوم، ثم خرجت وهي تحمل طفلة صغيرة تبكي، و(بتول) تحاول أن تضحكها، بالرغم من بكاء الطفلة إلا أنها بمجرد أن رأت (آدم) سكتت فجأة، فأخذ (آدم) يقوم بحركات بوجهه وهو يخاطبها، فأخذت الطفلة تضحك له، وهي تشير بيديها الصغيرتين نحوه، وتصدر أصواتًا تختلط بضحكاتها، فأخذها (آدم) من (بتول)، وحملها وأخذ يلاعبها ويلاطفها وهي تضحك له .

كانت (نور) تحمل ملامح أمها، بالرغم من صغرها، فشعرها الخفيف كان بلون أصفر ذهبي، وعيناها بلون أخضر صافي، وذات وجه أبيض يمتلئ بحمرة الصحة.

جلس (آدم) وأجلس (نور) على قدمه، ثم نظر إلى (بتول) قائلًا:

- " بإذن الله بعد أن أتسلم المكافأة، سأقوم بدفع مقدم سيارة صغيرة لنا، وعند تسلم الأرباح سنحاول أن ننتقل لشقة أخرى في مكان أفضل من هذا المكان الموحش "

اقتربت (بتول) منه وهي تضع يدها على كتفه بحنان قائلة:

- " افعل ما شئت يا عزيزي.. المهم أن أكون معك في أي مكان تذهب إليه "

***

الثلاثاء ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٧ (الساعة ١٠:٤٠ مساءً)

المرآة تعكس مظهره المهيب، والذي يفتخر به أمام الناس.. طوله الفارع، قسمات وجهه الحادة والوسيمة في ذات الوقت، عينيه الزرقاوتين، شعره المصفف بعناية أسود اللون، الذي ورث نعومته من والدته.. كان مثالًا للرجل في مخيلة النساء اللاتي قابلهن. لم ترفض أي فتاة قابلها في صغره أن تصادقه؛ بل كانت تتمنى أن يتعطف عليها بنظرة، وخاصة بعد دخوله كلية الشرطة، زادت هيبته، وزاد تعلق الفتيات به، فهو العريس المثالي، والرجل المطلوب لأي فتاة. لكن في داخله لم يشعر بالأمان لأي فتاة.. فكل فتاة قابلها لم ترفضه، حتى ولو طلب منها ما يخدش الحياء كانت توافق برضا.. هنا بدأ تفكيره يقوده إلى أن أي فتاة قابلها من الممكن أن تسلم له نفسها طواعية، فماذا سيحدث لو تزوج، وجاء رجل آخر وسلمت زوجته نفسها له طواعية؟

ربما لذلك رفض الزواج حتى الآن، بالرغم من سهولة التكاليف المادية، وإمكانية موافقة أهل أي فتاة عليه، فهو حاليًا

ضابط بإدارة مباحث أمن الدولة، متيسر الحال، يمتلك شقته الخاصة، والتي ورثها عن والده المتوفى، لا يعيش معه أحد - باستثناء أمه التي انتقلت إلى الرفيق الأعلى منذ سنين فأصبح يعيش وحيدًا- وسيم، لكن مع كل هذا وصل إلى سن الثلاثين بدون زواج، وكل هذا بسبب شكوكه في أخلاق أي فتاة يقابلها.

أفاق الرائد (حسن) من شروده أمام المرآة ثم نظر نظرة أخيرة إلى القميص والسروال اللذان يرتديهما، وذلك المسدس المعلق في الحزام الجلدي تحت إبطه.. ارتدى (جاكيت) البذلة وتأكد من مظهره مرة أخيرة، ثم غادر الشقة وهو يتصل بزميله من هاتفه المحمول، كي يتأكد منه أنه سيقابله في الإدارة الآن، كي يتحركا الليلة للقبض على الشخص المطلوب من داخل منزله.

***

٢

الثلاثاء ١٤ / ١٢ / ٢٠٠٧ (الساعة ١١:٥٠)

دفعة قوية لباب الشقة لم يتأثر.. دفعة أخرى أقوى بدأ مصراع الباب في التأثر، والتحرك من مكانه.. دفعة قوية جعلت جزء من خشب الباب يتحطم من ناحية المصراع، وأصبح المصراع على وشك الخروج من الباب.

هذه المرة أتت دفعة قدم من خارج الشقة، لينكسر الباب، ويفتح بعنف و (حسن) يدخل الشقة، وخلفه ضابطان يرتديان الملابس العادية، ولكنهما أقل منه رتبة. نظر (حسن) يمينًا ويسارًا بملل، ثم تثاءب، ومن خلفه ظهر ستة رجال ضخام يدخلون من باب الشقة المحطم، وينتشرون في الشقة بسرعة.

مد (حسن) يده في جيبه، وأخرج علبة السجائر، وتناول سيجارة منها، وهم بإشعالها، لكنه سمع صوت صراخ امرأة، يأتي من إحدى الغرف، ثم صوت رجل يتكلم بعنف، فأكمل إشعال السيجارة، وتوجه بخطوات بطيئة إلى الغرفة حتى دخلها، لتقع عيناه على فتاة شابة، ترتدي قميص نوم، وتحاول أن تغطي جسدها بغطاء الفراش، وشاب يرتدي سروال نوم، وجذعه مكشوف، وهو يقف يحاول أن يدفع أحد رجال الذين

يمسكون به، وبيده الأخرى يضع يده أمام زوجته، في محاولة يائسة منه لحمايتها من أيديهم.

كانت صرخات (بتول) مستمرة، اختلطت بصرخات طفلة أتت من مكان ما، و(بتول) مازالت تحاول أن تغطي جسدها، و(آدم) لا يكف عن محاولة فهم ما يحدث، وهو يصيح في الجميع بأن يبتعدوا عن زوجته، حتى تكلم (حسن) بعدم اهتمام قائلًا لآدم:

- " أنت المدعو (آدم محمد عبد الرحمن)؟ "

- " نعم أنا !!! "

أشار (حسن) لأحد الرجال الذين قد دخلوا الغرفة بيده إشارة ما، فاقترب بسرعة من (آدم)، ثم كال له لكمة عنيفة، أطاحت به ليقع على الأرض.

هنا بدون وعي صرخت (بتول)، وقفزت من على الفراش متناسية الغطاء الذي يلف جسدها، والذي وقع وهي تحاول الوصول لآدم الذي وقع على الأرض، ولكن (حسن) تجمد في مكانه وهو ينظر إليها وهي تهرع لزوجها.

لقد اشتعلت في داخله رغبة في تلك الفتاة، شعرها الأصفر الطويل الناعم، وجسدها المنمق، وعينيها الخضراء، ووجهها

الذي حمل جمالًا لم يره من قبل، كل هذا مع ظهور أجزاء من جسدها بدون قصد جعله يأخذ قرارًا..

- " خذوه "

كانت (بتول) تجلس على الأرض بجانبه تحتضنه، وتكلمه كي يفيق من إغمائه، ولكن سبقتها أيادي الرجال، الذين تكاتفوا عليه وأخذوه منها، وهي تحاول التشبث به ومقاومتهم، حتى خرجوا به خارج الغرفة وهي تحاول أن تتبعه ولكن (حسن) قال لأحد الرجال الباقين سريعًا:

- " خذوها هي الأخرى، فأنا لن أقدر على حرمان حبيبين من بعضهما "

أمسكها أحد الرجال أثناء اندفاعها وراء زوجها، وآخر لفها بغطاء أخذه من على الفراش، وهي تحاول إبعاد أيديهم عنها.

أخذ (حسن) نفسًا ضخمًا من السيجارة التي يحملها، ثم خرج بهدوء وهو يحدث أحد الضباط بجانبه، و(بتول) مازالت تصرخ، وفجأة كأنها تذكرت شيئًا، والرجال يجرونها جرًا، فأخذت تنادي بحرقة، محاولة الإفلات منهم:

- " نورررررررررررررر "

ولكنهم لم يستمعوا لها، وجروها حتى خرجوا خارج الشقة، وأغلقوها.. ولم يبق في الشقة سوى صوت صراخ الطفلة.

***

غرفة صغيرة هي، تشبه غرفة النوم الصغيرة، ولكنها بلا أثاث تقريبًا سوى مقعدين من الخشب، يجلس على أحدهما (حسن)، وعلى الآخر الرائد (علي)، ويقف خلفهما ثلاثة رجال ضخام، يرتدون ملابس مختلفة، وعلى الأرض (آدم) ملقى، وأنفه محطم، وهناك آثار دماء قد جفت على وجهه، ويبدو أنه يفيق من غيبوبته. بالفعل عندما فتح عينيه، وتأوه، نظر بدهشة في البداية لحسن و(علي)، ثم تحولت الدهشة إلى رعب، عندما تذكر الموقف وهو يقول:

- " ماذا يحدث وأين أنا ومن أنتم ؟ "

قال (علي) بنبرات حادة:

- " لا تسأل أسئلة أيها الكلب، أنت هنا لترد على أسئلتنا نحن. "

في حين ابتسم (حسن) لآدم، وقال بطريقة ودودة:

- " صديقي العزيز أنت هنا داخل مباحث أمن الدولة، وصدقني لو فعلت ما أقوله لك بهدوء، فسنكون أصدقاء في

المستقبل، وسترى كل الحب والعطف مني.. وإذا اخترت الطريق الصعب، وأردت أن تمارس دور البطل، فدعني أقول لك شيئًا بسيطًا."

اقترب برأسه للأمام قليلًا، وابتسامته تزداد، ونبرات صوته تخرج صافية وهو يقول:

- " كل الأفلام التي شاهدتها، وكل الأساطير التي سمعتها عما يحدث هنا لا تظهر سوى ١ % مما يمكننا فعله يا صديقي.. يمكنني في خلال ساعة واحدة أن أرغمك على أن تكفر بوجود الله ببساطة، أو أجعلك تقبل قدمي كي تعترف بأي جريمة أطلبها.. كي أكون صريحًا معك، أقول لك إن تقطيع الأطراف، وهتك الأعراض هو لعب أطفال بالنسبة لما يمكن أن تراه هنا. فأنا بالذات رجل فنان، أحب الاستمتاع بعملي أثناء تأديته، ويمكنك أن تتأكد الآن من ذلك."

بعد أن سمع (آدم) تلك الكلمات، بدأ يتمالك أعصابه مرة أخرى وهو ينظر إلى (حسن)، ثم قال محاولًا أن تخرج الكلمات من فمه بهدوء:

- " تريدني أن أعترف بجريمة ما؟ ولما أنا ؟ "

أرجع (حسن) رأسه إلى الوراء وقال بارتياح:

- " نعم هذه هي طريقة الحديث التي أحبها بحق، يبدو أننا ستتعاون بلا مشاكل."

نهض (حسن)، واقترب من (آدم) وهو يشير بيده قائلًا بطريقته الودودة:

- " بيني وبينك يا صديقي لقد وقعت في مشكلة، حادثة صغيرة في أحد الملاهي الليلية.. قنبلة من المفروض أن تنفجر، وضعها حاقدون على الأمن المصري، ولكن عين الأمن الساهرة أوقفت القنبلة قبل ميعاد انفجارها، وقبضنا على من وضع القنبلة في الملهى، وقد دلتنا التحريات إلى أشخاص كثيرين، ولكن المتحكم الأول بالعملية هو شاب مجهول الهوية، لا نعرف سوى اسمه، وبعض المعلومات البسيطة عنه، والتي لن تمكنا من القبض عليه إلا بعد مدة، يا ترى هل خمنت اسم هذا الرجل؟"

ظهرت على عين (آدم) نظرة تساؤل، فأكمل (حسن) قائلًا:

- " اسمه هو (آدم محمد عبد الرحمن)، أليس شيئًا مميزًا يا (آدم)؟ "

اتسعت عين (آدم) وقد فهم اللعبة، في حين قال (علي) الذي كان مازال يجلس على المقعد:

- " اسمع أيها القذر.. سيتم تسجيل أقوالك في محضر رسمي، وستعترف بأنك أدرت شبكة من تحتك -سنخبرك بأسمائهم - لوضع قنبلة في أحد الملاهي الليلية، وأنك فعلت ذلك من وازع ديني "

تكلم (آدم) مفزوعًا وهو ينظر إلى (علي):

- " هناك الكثير من الأخطاء في القضية بهذا الشكل، وحتى لو قلت تلك الشهادة، فستصبح القضية ناقصة للكثير من الأدلة، ثم لماذا أعترف بشيء لم أفعله؟ "

طقطق (حسن) بفمه في ضيق، ونظر إلى الرجال الواقفين، فتحرك اثنان منهم بسرعة، وكبل أحدهما يد (آدم)، والآخر كال لكمة عنيفة إلى بطنه، جعلته يصرخ من الألم، ثم لكمتين في وجهه، كل هذا وهو مازال على الأرض، حتى قام الرجل الذي كبل يديه من خلفه، ورفعه ليقف وقد تراخى جسده تمامًا.

سار (حسن) حتى وقف أمامه وقال:

- "هل عرفت لماذا ستعترف بشيء لم تفعله؟"

بعد أن قال (حسن) تلك العبارة، أعطاه ظهره، ثم أخرج سيجارة وأشعلها، وأخذ منها بضعه أنفاس وهو يفكر، حتى نظر لآدم مرة أخرى وقال:

- " أنا أحببتك، ولذلك سأعطيك فرصة لتفكر قليلًا، قبل أن أتصرف بنفسي.. سأخرج الآن لساعة، ثم أعود إليك.. أرجو أن تفكر جيدًا، وخاصة وأنني سأجعل الرجال يهتمون بك طوال تلك الساعة."

ألقى السيجارة على الأرض، في حين نهض (علي) من مكانه وهو يغادر الغرفة، وتبعه (حسن)، ولكن قبل أن يغلق الباب خلفه، وقف ونظر للرجال، وقال لهم بابتسامة:

- " لا تنسوا واجب الضيافة.."

بمجرد أن انغلق الباب، تحرك الثلاثة رجال بانتظام، فظل أولهم ممسكًا بآدم، الذي ظل يحاول الإفلات منهم، أما الآخر، فقد أخرج من جيبه مطواة صغيرة، كان (آدم) كما أخذوه من غرفة نومه، عاري الجذع، لا يرتدي سوى سروال للنوم فقط. قرب الرجل المطواة من كتف (آدم)، وأحدث جرحًا لا يزيد عن اثنين سنتيمتر به، بهدوء وبحرفية شديدة، و(آدم) يصرخ ويتلوى، ولكن الآخر كان يكبله بإحكام. ثم قرب الرجل المطواة من موضع آخر في كتفه، وأحدث نفس طول الجرح السابق، ويبدو أنه جرح سطحي.

فعل الرجل الممسك بالمطواة ذلك ما يقرب من عشرون مرة في يده وأكتافه وبطنه وضلوعه و (آدم) يكاد يموت من الألم الذي يحرق خلاياه العصبية وهو يتأوه في كل جرح يحدثه .

فجأة ابتعد الرجل الممسك بالمطواة، ليتقدم الرجل الثالث وهو يحمل في يده زجاجة عطر من المسماة بالعامية (كولونيا)، كانت زجاجة ضخمة، فتح الرجل سدادتها، وبدأ يغرق جسد (آدم) بها، شعر (آدم) أن هناك نارًا تشتعل في جروحه، فأخذ يصرخ ويتلوى، وعيناه مغرقتان بالدموع مما يشعر. كان الرجل يتفنن في تعذيبه، فيصب العطر على بعض الجروح، وينتظر حتى يهدأ (آدم) من صراخه، ليصب فجأة على مجموعة أخرى من الجروح .

***

استيقظت (بتول)، لتجد نفسها في غرفة ضيقة مظلمة، وشعاع من الضوء يأتي من نافذة صغيرة في ذلك الباب المعدني الذي يغلق الغرفة.

قامت، وأحست أن رأسها ليس متزنًا، يبدو أن ضغطها مرتفع، لأنها أحست بألم خفيف في رأسها. جرت إلى الباب، وأخذت تصيح أن يخرجها أحد.. ظلت تدق بيديها الرقيقتين بعنف، وتصرخ بلا جدوى.

لحظة.. هناك ألم يأتي من قلبها عندما تصرخ، لذا فقد هدأت، ولكن الألم لم يهدأ، صحيح أنه ليس ألمـًا بالمعنى المفهوم، ولكنه يأتي للحظة وينتهي. جلست منهكة وهي

تتذكر طفلتها الصغيرة، وتحاول أن تداري عوراتها بقميص نومها، التي مازالت به.

***

- " كم بقي في الغرفة حتى الآن؟"

قال (جلال) الكلمات السابقة وهو ينظر في ساعته، ويرتشف رشفه من كوب الشاي الموضوع أمامه.

كانوا يجلسون في غرفة واسعة، داخلها مكتبان، وبعض الأثاث، وجهاز تليفزيون متصل بدش، وبجانب كل مكتب حاسب آلي صغير. في حين أنه في إحدى أركان الغرفة جلس ثلاثة رجال، اثنين منهما يأكلان شيئًا ما من لفافة موضوعة على منضدة صغيرة أمامهم، وآخر يمسك بكوب من الشاي، ويبدو أنه انتهى من طعامه معهم مبكرًا. الجميع يجلس على مقاعد تشبه مقاعد (الأنتريه) وأمامهم المنضدة الصغيرة.

- " أعتقد أنه اقترب من الساعة."

قال (علي) العبارة السابقة بفم مليء بالطعام، فرد عليه زميله (جلال):

- " تعتقد كم ساعة سيأخذ كي يعترف؟"

نظر (علي) إلى السقف مفكرًا لثوانٍ، ثم قال وهو يعاود الأكل:

- " ساعة أو اثنين على الأكثر."

ارتفع صوت (حسن) بسخرية، وهو لم يرفع عينيه عن الطعام قائلًا:

- " أراهن على أنه سيعترف بكل شيء قبل انتهاء ساعة من الآن."

نظر (علي) و (جلال) له بدهشة بسيطة، وقال (جلال) ساخرًا:

- " وما الذي يجعلك متأكدًا هكذا ؟ "

- " ليس من شأنك "

قالها (حسن) وهو يبتسم مازحًا، فأخرج (جلال) من جيبه ورقة من فئة العشرين جنيهًا، ووضعها على المنضدة أمامهم، وهو يقول بتحدٍ:

- " أتراهن على هذا ؟ "

أخرج (علي) هو أيضًا بأطراف أصابعه ورقة من نفس الفئة، وقال لـــ (حسن):

- " وأنا أيضًا أراهنك."

ابتسم (حسن) وهو يعتدل على مقعده، ثم يخرج منديلًا ورقيًا من جيبه ليمسح به يده، وقال:

- " وأنا قبلت."

هنا قال (جلال) متسائلًا:

- " ولكن ما فائدة اعتراف هذا الولد الآن، ونحن يمكننا أن نصبر بضعة أيام كي نقبض على الشخص الحقيقي؟"

نهض (حسن) ذاهبًا إلى مكتبه، ليلتقط علبة السجائر، ويشعل سيجارة قائلًا:

- " أنت لا تعرف سبب إتيان الأوامر العليا بوجود (آدم) الليلة بأي شكل. تلك الأوامر اعتدنا عليها قبل أن تنتقل أنت يا (جلال) للإدارة منذ عام."

عاد (حسن) مرة أخرى للجلوس أمامهم وهو يكمل كلامه، موجهًا حديثه لجلال:

- " في بعض القضايا الكبرى، عندما يأتي أمر من الجهات العليا بأن المتهم يجب أن يكون الليلة بأي طريقة، فذلك يعني أن خبر الجريمة قد تسرب للإعلام، وأنه سيذاع في اليوم التالي مباشرًا، وبالطبع لو أذيع الخبر بدون أن تكون المباحث قد

توصلت للجاني، فذلك سيضع الداخلية في موقف محرج جدًا، لذا فإنه يتم إظهار أحد الأفراد الذين يتعلقون بالقضية، ويصبح هو الفاعل، وينتشر الخبر على الوسائل الإعلامية في حين إنه يتم البحث عن الفاعل الحقيقي، ويتم التعامل معه بطريقة أخرى، ويظل الجاني الذي عرفته وسائل الإعلام هو الفاعل في نظر الناس.

الطريقة الثانية، أننا نختار شاب إما يمتلئ ملفه بالسوابق. أو شاب تتناسب ظروفه مع نفس ظروف مرتكب الجريمة، ويتم إلصاق التهمة به، كي يتم إسكات وسائل الإعلام، وهذا لا يحدث غالبًا إلا كل سنتين أو بضعة سنوات "

هز (جلال) رأسه بهدوء وهو يقول:

- " إذن أنت اخترت (آدم) لتشابه اسمه مع الفاعل، وهو سيكون الفاعل في نظر الإعلام والناس، وبالطبع ستتوافق الظروف، ليتم رسم سيناريو يناسب كونه الفاعل، ومن الناحية الأخرى أنت تبحث عن الرجل الآخر، لتغلق ملف القضية، ولكن بطريقة سرية"

- " بالضبط "

هنا نهض (علي) من مقعده وهو يقول بخمول:

- " أعتقد أن هذا يكفي الآن، ويجب أن نذهب لآدم كي نرى كيف ستكسب الرهان."

***

فتح (حسن) الغرفة، ليجد (آدم) ملقىً على الأرض، والجروح تملأ جسده، وأحد الرجال يجلس بجانبه، وهو يضع على بعض الجروح بلاستر طبي بعد أن يطهرها، و(آدم) فاقد الوعي، لا يدري شيئًا، وأحد الرجال يجفف العرق المتساقط منه، ويقوم بتطهير مجموعة جروح أخرى، ويمسح الدماء المتجمدة بمنشفة صغيرة مبللة بالماء.

بمجرد أن دخل (حسن)، اقترب منه أحد الرجال، وهمس في أذنه قائلًا:

- " كما أمرت، قمنا بنشر الجروح داخل جسده، وابتعدنا تمامًا عن يديه ووجهه وقدمه، وبعدها قمنا بإلقاء الكولونيا بتتابع مرة كل خمس دقائق، ثم تم ضربه في بطنه، وبعض الضربات البسيطة لوجهه، وأعطيناه عشر دقائق، ثم نشرنا الجروح على ظهره، وقمنا بإغراقه بالكولونيا، ولكنه لم يتحمل، ويبدو أنه أصيب بصدمة أفقدته الوعي، فتوقفنا منذ ربع ساعة، ونحن الآن نقوم بتنظيف الجروح، كي نكمل بعد أن يفيق "

هز (حسن) رأسه متفهمًا، ثم جلس، وتبعه (علي) و(جلال) على المقاعد - والتي أحضر أحد الرجال مقعدًا آخر كي يجلس عليه (جلال)- في حين أمر (حسن) الرجال بأن يجعلوه يفيق.

بالفعل انتهى الرجال سريعًا من مداواة جراحه، وأخذ أحدهم يرش جرعات من الماء على وجه (آدم)، الذي بدأ يفيق ويفتح عينيه، فاجتمع الرجال يقفون خلف (حسن)، الذي اعتدل في مجلسه قائلًا بسخرية:

- " أنت مازالت في الأرض يا (آدم)، لم تمت بعد. والآن بعد أن أعطيتك مهلة للتفكير بذهن صافٍ، وإرادة حرة.. ما هو قرارك؟"

كان (آدم) يتحسس جروحه، التي ملأتها لاصقات الجروح، وهو ينظر لحسن بغل، ويقول:

- " أنت تريد أن أعترف بأنني المدير لعملية تفجير؟ "

رد (حسن) ببساطة:

- " نعم.. "

فقال (آدم):

- " وبالطبع سأحاكم على تلك القضية، وأدخل السجن."

- " لا تخف.. لن تزيد عقوبتك عن عشر سنوات على الأكثر لو تعاونت معنا، في حين أنه يمكن أن تصل إلى الإعدام لو ظللت تنكر هكذا."

رد (آدم) بدهشة قائلًا:

- " أنكر ماذا؟ "

ابتسم (حسن) وهو يقول:

- " أنك فعلت ذلك فعلًا، أنت لا تفهم، في كل الحالات ستكون أنت المتهم.. هذا شيء مفروغ منه. ولكن يمكنك أن تكون متعاونًا، فتربح حياتك وحياة أحبائك، أو جاحدًا، فتخسر كل شيء."

ثم أضاف قائلًا:

- " وفي كلا الحالتين أنا سأربح."

ظل (آدم) صامتًا لحظات، فنفخ (حسن) في ملل. هنا تحرك أحد الرجال بسرعة ناحية (آدم)، وظل يصفعه على وجهه وقفاه، و(آدم) يحاول إبعاد يده، والرجل يصفعه بسرعة، و(آدم) يصرخ.

ظل الحال هكذا دقيقتين، حتى تراجع الرجل، ووقف مرة أخرى خلف (حسن)، و(آدم) مازال يحمي وجهه، خائفًا أن تأتيه صفعات أخرى.

- " صديقي حتى الآن.. أنا لم أبدأ بعد، وصبري بدأ ينفد"

نهض (علي) من مجلسه، واقترب من (آدم)، الذي وضع يديه أمام وجهه في خوف، فركله (علي) على وجهه بعنف، مما جعل رأس (آدم) يرتطم بالأرض، وفي تلك اللحظة وضع (علي) حذاءه على وجه (آدم)، مجبرًا إياه أن يظل وجهه على الأرض، وحذاء (علي) فوقه وهو يقول:

- " أنت الذي اخترت الطريقة القادمة في التعامل يا ابن الكلب."

ثم نظر إلى الرجال وهو يقول لهم:

- " اجعلوه يحصل على بعض المتعة."

خرج أحد الرجال من الغرفة، وتوجه أحدهم إلى (آدم) ليكبله، في حين نادى (حسن) على الثاني، وقال له شيئًا في أذنه، ليخرج الرجل الثاني هو الآخر..

- " صديقي العزيز.. أرجو أن لا تأخذ الذي سيحدث الآن بمحمل شخصي بيننا، فهذا عملي كما تعرف، وأنت رأيت أنني عرضت عليك أن تنفذ ما أقوله، ولكنك تحاول التهرب."

أخذ (آدم) يحاول التملص من الرجل الذي يكبله، ولكن الضعف الذي غزا جسده جعله لا يمتلك القوة، لذلك فأخذ يصيح في وهن:

- " ماذا ستفعل أيها الحقير؟"

دخل في تلك اللحظة الرجل الأول، وهو يحمل عصا مدببة، وأعطاها لـ حسن، والذي ضحك بمجرد أن أمسك بها، في حين مال (حلال) عليه مبتسمًا وهو يقول همسًا:

- " الوقت ينفد، ويبدو أنك ستخسر الرهان."

فنظر إليه (حسن) ضاحكًا، وقال:

- " ستعرف حالًا أنني سأكسب الرهان."

سمع الجميع صوت فتاة تصيح من الخارج، وتبكي، وصوت خطوات تقترب من الغرفة، حتى دخل الرجل، وهو يسحب في يده (بتول)، التي تحاول أن تتملص منه، وتغطي بكفها جسدها الذي ينكشف أجزاء منه أثناء سيرها، وهو يمسك بيدها اليسرى، ويجرها جرًا

- " بتول؟؟؟ "

قالها (آدم) والغضب والدهشة يجتمعان على وجهه، ثم أخذ يصيح:

- " لماذا أحضرتها أيها القذر؟"

زاد تملصهن لدرجة أنه كان سيفلت من الذي يكبله، مما جعل الرجل الآخر يسرع في مساعدة زميله في تكبيله، في حين أن (حسن) لم يتحرك من موضعه، وقال بهدوء:

- " مدام (بتول) أتيت بك الآن لنشاهد عرضًا لذيذًا، سيستمر لدقائق أرجو أن تستمتعي به، كما سنستمتع نحن."

لم ينظر (حسن) لبتول، التي تقف خلفه، ولكن زميلاه أخذا يتأملا جسدها بانبهار، ولكنهم أخفوا ذلك، ونظروا باتجاه (آدم)، الذي ظل يصرخ، والرجلان يجبرانه على النوم على بطنه، وأحدهما يخلع سرواله في عنف، في حين أعطى (حسن) العصا المدببة لأحد الرجال، والذي أخذها، واقترب من (آدم)..

***

بعد عشر دقائق، كان (آدم) ملقىً على الأرض يبكي، وهو منكس الرأس، و(بتول) تقف تداري عينيها، وهي تبكي بحرقة.

لم يلحظ أحد أن (حسن) قد وقف منذ بداية الأحداث، والجميع ينظر إلى (آدم)، لم يلحظه أحد وهو يدور حولهم، ويقف في أحد أركان الغرفة، ليس ليشاهد (آدم)، ولكن

ليشاهد (بتول). أخذ يتأمل تفاصيل وجهها بصبر، خصلات شعرها الأصفر الناعم تتناثر على جبينها وعلى كتفيها، عينيها الذي يشع اللون الأخضر منهما مضيئًا وجهها الأبيض، شفاها الصغيرة، حتى حبات العرق على جبينها تعطيها جمالًا وأنوثة طاغية، في حين أن قميص النوم الذي ترتديه، ويظهر كل جسدها تقريبًا، كان يثيره بشدة. كانت تطلق صرخات وهي تداري وجهها مما ترى، وتبكي بحرقة، ولكنه لم ينتبه لكل هذا.. هو يريدها بأي طريقة كانت، ولن يتحمل أكثر من ذلك.

كان الرجال قد انتهوا مما يفعلونه بآدم، والذي جلس منكس الرأس، فأدار (حسن) عينيه بعيدًا عنها بسرعة، كي لا يلاحظ أحد ما أنه ينظر إليها، وسار حتى وقف أمام (آدم)، وقرب وجهه منه قائلًا:

- "يمكنني أن أعيد هذا العرض أمام زوجتك ألف مرة لو أردت، وأنا رجل مثلك، ويمكنني أن أفهم شعورك في تلك اللحظة يا عزيزي."

سكت بكاء (آدم) ورفع رأسه التي كان ينكسها، وعيناه مغرقة بالدموع إلى (حسن)، ثم أخذ نفسًا عميقًا بغضب، وفجأة بصق (آدم) في وجهه، وقبض على رقبته بيديه. ولكن

(حسن) لكمه في أنفه بعنف، وهو يتراجع بغضب، ويمسح آثار البصاق من على وجهه. في تلك اللحظة تقريبًا، دخل إلى الغرفة العميد (عمر)، ولم يتكلم، وظل يشاهد ما يحدث، فيبدو أنه على علم بما يجري في الغرفة.

نظر (حسن) لآدم بغضب وهو يقول:

- " إذن يا ابن (......) أنت الذي ستشاهد عرضًا هذه المرة."

أشار بيديه لاثنين من الرجال قائلًا:

- " امسكوه جيدًا "

جرى الاثنان ليكبلا حركته، هنا تقدم (حسن) بغضب، حتى وصل إلى (بتول)، التي حاولت الرجوع وهو يتقدم ناحيتها، حتى اصطدم جسدها بالحائط، فصرخت، فأمسك شعرها، وسحبها بعنف، فوقعت على الأرض، ولكنه ظل يسحبها، وهي تتأوه وتصرخ.

أما (آدم) فقد فهم ما يحدث، وحاول أن ينهض ولكن أيدي الرجال منعته وهو يصرخ في (حسن) كي يوقفه. ولكن (حسن) جر (بتول) إلى منتصف الغرفة، وهي تتألم وتداري جسدها .

وضع قدمه على بطنها ليمنعها من التحرك، وهي تصرخ وتبكي، وفي تلك اللحظة نزع الحزام الجلدي الذي يحمل مسدسه من تحت إبطه، وأعطاه للرجل الثالث، ثم نزع أزرار قميصه بسرعة، وقام بفك حزام سرواله .

(آدم) يصيح بأعلى صوته أن يتركها، ويتوسل إليه أنه سيعترف بكل ما يريد، لكن (حسن) لم يعد يشعر بما يفعله، ورفع قدمه من عليها، فحاولت الهرب، ولكنه نزل على الأرض، وكبل حركتها وهو يغتصبها بعنف. نهض (علي) من مقعده وهو يشعل سيجارة، ويقف بالقرب من (بتول)، التي حاولت أن تخمش وجه (حسن) بأظافرها، وهي تصرخ، ولكن (علي) وضع قدمه فجأة على ساعدها الأيمن، ليثبته في الأرض، ثم بقدمه الأخرى ثبت ساعدها الأيسر على الأرض، وهي تئن محاولة تحرير يدها من أقدام علي، الذي أخذ يضحك وهو يستنشق أنفاس السيجارة .

فجأة اتسعت عيناها، وزادت سرعة أنفاسها، وحاولت أن تقبض بيدها اليمنى على كتفها الأيسر وهي تتأوه بعنف، فتوقف (حسن) للحظات وهو ينظر إليها..

- " أزمة قلبية يا ابن الكلب، إنها مصابة بالقلب.. إنها مصابة بالقلب."

ظل (آدم) يصرخ كالمجنون بتلك العبارة، ولكن (حسن) نظر له بسخرية، وأكمل اغتصابها وهي تتلوى بعنف وتصرخ، وعيناها تتسع أكثر وأكثر، وهي تنظر لسقف الغرفة، وفجأة ارتعش جسدها لحظة، ثم انتفض، وخرج من فمها صوت مكتوم، ثم خبتت حركتها تمامًا .

توقف (حسن) وهو ينظر لها، وعيناها شاخصة لأعلى، وفمها مفتوح وجسدها متصلب.. (آدم) ينظر لها وهو مكبل، وقد سكت تمامًا عن الحركة.. مرت لحظة صمت على الغرفة، وفجأة ملئت الغرفة بالحركة.. كان (آدم) ينظر لمن بالغرفة، وعلى عينيه ارتسمت نظرة هادئة، وهو يشاهد الجميع في حالة هياج .. (علي) ابتعد عنها وهو يجري، ويساعد (حسن) كي يقف من على جثة (بتول)، وآخر يصيح فيهم و (جلال)يقف وهو ينظر حوله غير مصدق، وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.

جثة زوجته ملقاة على الأرض، وعورتها ظاهرة للجميع.. يجب أن يداريها، يجب أن يداريها.. قال ذلك في داخله. كان الرجلان الذين يكبلانه قد تركاه، وابتعدا غير مصدقين ما يحدث، و(عمر) يحدث (حسن)، الذي ارتسمت على عينيه نظرة بلهاء وكأنه لا يدري ماذا فعل.

حاول (آدم) أن ينهض من موضعه، ولكنه فشل.. لماذا لا يستطيع أن ينهض؟ زحف على الأرض حتى وصل لجثة

زوجته، وغطى عورتها، ثم خلع سرواله ووضعه على نصفها السفلي. وضع يده على جبينها، ليمسح قطرات العرق التي تكونت، ثم نزل بأصابعه ليغلق عينيها، وأخذ يرتب خصلات شعرها، التي تناثرت وهو شارد النظر، في حين أن أذنه تلتقط عبارات كثيرة.

- " ماذا فعلت أيها الغبي .. قتلتها."

- " اتركه الآن يا (جلال) فليس هذا وقته."

- " ستصبح مصيبة إذا بحثت وسائل الإعلام عن المتهم، واكتشفت اختفاء زوجته."

- " وماذا سنفعل في تلك الجثة؟ "

رد (علي) قائلًا بقرف:

- " سيلقيها الرجال في أي مزبلة.. ليست هناك مشكلة."

بعد أن قال (علي) عبارته، نظر للجثة بقرف، ولكن عينيه اصطدمت بعين (آدم) الهادئة تنظر إليه، فصرخ فيه قائلًا:

- " إلى ماذا تنظر أيها الغبي؟ ألا يكفيك ما حدث؟"

ثم هم بالانقضاض عليه ليركله، لكن (جلال)أمسك به في آخر لحظة، في حين أن العميد (عمر) نادى أحد الرجال، الذين ظلوا صامتين طوال تلك الفترة، وقال له:

- " (صابر)، خذ (لطفي) وألقوا بتلك الجثة في أحد مقالب القمامة بسرعة، وضعاها في جوال كي لا يلاحظها أحدهم إلا بعد مدة."

ثم نادى على رجل آخر قائلًا:

- " ضعه في زنزانة ٢٦ بسرعة، قبل أن يفيق من ذهوله هذا."

كان (آدم) يجلس كما هو، وهو يحتضن (بتول). وعندما أتى الرجلان ليسحبا منه الجثة، تركها وعيناه معلقتان بها، وأحدهما يحملها والآخر يساعده، حتى خرجا بها من الباب.

أمسك آخر بآدم، ورفعه من على الأرض، ولكن (آدم) لم يقاومه بل تركه يقوده.. كان الجميع يتحدثون بعصبية، و(حسن) يجلس على المقعد، يدفن رأسه داخل كفيه، وملابسه مبعثرة، وقميصه مخلوع. لا يعرف لماذا شعر بأنه يجب أن يرفع رأسه، فرفعها من بين كفيه.. لتصطدم عيناه بعين (آدم) وهو ينظر له، والرجل يقوده خارج الغرفة.

***

٣

الخميس ١٦ / ١٢ / ٢٠٠٧ (الساعة ٥ مساءً)

- " أعتقد أنك هدأت الآن يا (حسن). "

رفع (حسن) رأسه من الأوراق التي كان يطالعها على مكتبه إلى المتحدث، ليجده العميد (عمر) يدخل من باب المكتب وهو يبتسم، فنهض (حسن) من مقعده مبتسمًا، وهو يصافح (عمر) قائلًا:

- " البركة فيما فعلت يا سيادة العميد. "

جلس (عمر) على المقعد أمام المكتب:

- " هذا أقل ما يمكن فعله لشاب ناجح مثلك يا بني، فتلك الحادثة كانت ستنهي مستقبلك، ولكن الحمد لله قمنا باللازم. "

- " بالفعل تصرفك كان غاية في العبقرية يا سيادة العميد حينما جعلت أحد المسجلين إرهاب يعترف بأنه هو المنفذ الحقيقي للعملية، وأن اسم (آدم محمد عبد الرحمن) هو اسم مزيف انتحله وزوره في بعض الأوراق. وبالفعل عندما عرضت وسائل الإعلام أمس أن التحقيقات وصلت لمن يدعى (آدم) قمنا نحن بإظهار هذا الشخص، الذي اعترف بالتخطيط، وتم غلق القضية. "

- " ولكن أعتقد أنه لا فائدة من هذا الشاب الموجود في الحجز أليس كذلك؟ "

قالها (عمر) مستفسرًا، فرد عليه (حسن) وقد تغيرت تعبيرات وجهه:

- " نعم لا فائدة ولا خوف منه حتى.. فيبدو أنه فقد عقله أيضًا بعدما حدث."

تبع (حسن) عبارته بأن رفع سماعة أحد الهواتف على مكتبه، وضغط رقم ثنائي وقال:

- " أرسل لي (محمد) بسرعة."

لم تمر دقيقة حتى سمعا دقات على باب الغرفة، ثم دلف المخبر (صابر) الذي كان أحد الذي حضروا التحقيق مع (آدم)، فقال (حسن) له مستفسرًا:

- " ما أخبار (آدم) الآن؟ "

- " لم يذق طعام منذ ما حدث، كل ما كان يفعله أن يشرب بعض الماء من الطعام الذي كنا نضعه له، ويعود ليجلس في ركن القاعة، وعلى وجهه النظرة الشاردة.. جروحه قد أصابها شيئًا لأنها تعفنت وتقرحت، ويبدو أنه سيدخل في حمى قريبًا يا (باشا)"

هرش (عمر) في ذقنه، ثم قال له:

- " اسمع.. الليلة تأخذونه في سيارة بدون أرقام إلى أقرب مكان لمنزله، وترمونه هناك، وأنتم تعرفون عملكم جيدًا يا رجال. "

نظر (صابر) لـ (عمر) باحترام وقال:

- " تحت أمرك، ولكن هل سنتركه بقطعة ملابسه الداخلية التي كان يرتديها؟ "

هنا ارتفع صوت (عمر) بغضب مخاطبًا إياه:

- " وهل تريدنا أن نختار له ملابس سهرة وعطر وساعة يد .. اذهب، وافعل كما قلت. "

بعد أن انتهى (عمر) من العبارة، نظر إلى (حسن)، وقال له بابتسامة:

- " الآن انتهت تلك القضية للأبد يا بني، أليس كذلك ؟ "

نظر له (حسن)، وشبح ابتسامة يرتسم على وجهه، ولكن كأن هناك شيئًا ما يمنعه من الابتسام، ويجبره على تنكيس رأسه..

***

الخميس ٢٠٠٧/١٢/١٦ (الساعة ١١:٣٠مساءً)

في أحد الشوارع الجانبية بمنطقة (الخصوص)، توقفت سيارة شاهين حمراء اللون. كان الشارع مظلمًا، وفي آخره مقهى صغير، لا يجلس أحد عليه، أما الإضاءة في الشارع فكانت خافتة تمامًا. بعد أن توقفت السيارة، انفتح الباب الخلفي لها، وخرج رجل ضخم وهو يحمل شيئًا ما ملفوفًا، والشيء يتحرك.. يبدو أن هناك شخصًا آخرًا في السيارة يساعده على إخراج هذا الشيء، الذي اتضح أنه (آدم)، ولكنه مكمم الفم، ومعصوب العينين، ويداه مكبلتان خلف ظهره، وقد لف جسده في شيء يشبه الخيش.

بعد محاولات بسيطة، استطاع الرجل الضخم أن يخرج هذا الجسد من السيارة، ويلقيه على الأرض، ثم أخرج الرجل الضخم من جيبه مطواة، وقام بقطع الحبل الذي يربط يد (آدم)، ثم دخل السيارة بسرعة، وانطلقت السيارة بهدوء.

كان (آدم) قد حرر يديه، ثم أزال العصابة من على عينيه، والكمامة التي ربطت فمه. لم ير جيدًا في البداية، ولكنه نهض مترنحًا من مكانه، وهو ينظر حوله محاولًا أن يعرف أين هو.

في تلك اللحظة، خرج رجل عجوز من المقهى يرتب المقاعد، التي خرجت عن حدود المقهى، ويمسح المناضد. لقد

توقف العجوز وهو يشاهد (آدم) بتلك القطعة السفلية من الملابس الداخلية، وجذعه العاري المليء بالجروح والتقرحات، وشعره المنكوش، وحالته المزرية. حاول العجوز التدقيق أكثر وهو يشاهده يمشي مترنحًا زائغ العينين ناحية المقهى.. كان يتعثر وينهض مرة أخرى، ثم يتعثر وينهض.. يبدو أنه غير واع لأفعاله، ولا يشعر بما حوله. بمجرد أن اقترب (آدم) من المقهى بدرجة كافية، اتسعت عين العجوز وهو يصرخ بدهشة:

- " أستاذ (آدم)!!!!! "

جرى العجوز وهو يمسك به كي لا يتعثر مرة أخرى، و(آدم) ينظر إليه بعينين خاويتين، والعجوز يجلسه على أحد المقاعد، ثم هرول لداخل المقهى، وقد أحضر جلبابًا قديمًا، ألبسه لآدم -بسبب البرد - الذي ترك نفسه له، والعجوز يلبسه الجلباب، وهو يسأله عما حدث له،، لكن (آدم) لم يجب وظل كما هو، ينظر أمامه بشرود..

كان العجوز يعرف (آدم) شكلًا واسمًا فقط.. فهو يعلم عنه أنه يسكن بعد المقهى بمسافة قريبة، يعمل موظفًا بشركة ما، وهو طيب يلقي عليه التحية صباحًا وهو ذاهب إلى عمله، ومساءً عندما يعود مرة أخرى. ولكن صورته ظلت في رأسه، لأنه يراه تقريبًا كل يوم.

بعد أن ألبسه العجوز الجلباب قال له بلهفة:

- " انتظر هنا يا بني، سأحضر لك شيئًا دافئًا "

دخل العجوز للداخل بسرعة، ولكن (آدم) نهض من مكانه، وسار بعيدًا عن المقهى بدون أن يشعر العجوز.

سار بدون وعي في الشارع، والناس تتجاهله بسبب مظهره المزري، والذي يميز المتسولين، حتى وصل أمام العمارة التي يسكن داخلها، فصعد السلم وهو يرتكز بيده على الحائط، كي لا يسقط. وقف أمام باب الشقة لاهثًا من مجهود الصعود.. هنا وجد أن الباب ليس مغلقًا، بل هو مفتوح، ولكن الباب يظهر أنه مغلق، لكن لسان المزلاج لم يدخل في الحائط لأن اللسان متدلٍ من جراء كسره.

دفعه بيده، فانفتح الباب، ودخل (آدم) وهو ينظر لداخل الشقة، ويقف وهو يغمض عينيه، والدموع تنساب منها.

***

فتح الباب ببطء كي لا يحدث صريرًا، ثم دلف إلى الشقة على أطراف أصابعه، وهو يغلق الباب بلا صوت، ثم يسير ليبحث عن زوجته في الغرف.

فجأة شعر بمن يطوقه من الخلف بحنان، فانتفض لحظة من الفزع، ليسمع صوت (بتول) –زوجته– وهي تضحك بمرح

من فعل زوجها. حاول أن يتحرر من يدها لينظر لها، لكنها احتضنته بشدة، وأراحت رأسها على كتفيه من خلفه، فهدأت حركته وهو يقول بحب:

- " اشتقت إلى هذه اللحظات طوال اليوم "

أغمضت (بتول) عينيها، وهي مازالت تريح رأسها، وقالت برومانسية:

- " وأنا اشتقت لك طوال اليوم يا حبيبي.. لم تأخرت نصف ساعة كاملة عن موعدك؟ كدت أموت من اللهفة عليك."

***

فتح عينيه مرة أخرى، وهو ينظر من بين الدموع لغرف الشقة، ثم ذهب بخطوات مترنحة ناحية إحدى الغرف، وفتح بابها وأضاءها.

(نور) طفلته الوحيدة داخل فراشها، ذلك الملاك الصغير يرقد، على وجهها نظرة ألم، وقد اكتسى بزرقة مخيفة. اقترب من (نور)، وحملها بين ذراعيه، وهو يحدثها بحنان وبصوت خفيض:

- " طفلتي الحبيبة.. بابا آسف لما حدث لك يا حلوتي.. بابا يعلم أنك تعذبت كثيرًا وأنت تموتين.. لكن بابا يعدك يا

صغيرتي أنه سيجعلك تضحكين مرة أخرى.. سأرسم على وجهك الابتسامة كما تعودنا قديمًا أثناء لعبنا.. أليس كذلك؟"

الدموع تنهمر من عين (آدم)، لتسقط على وجه (نور) المتصلب، لكنه مازال يتكلم هامسًا، وهو يحاول أن يرسم ابتسامة على شفتيه، ويكمل حديثه:

- " ولكن قبل أن أرسم على شفتيك تلك الابتسامة يا حبيبتي، يجب أن تذهبي للقبر أولًا. أعرف أنه مكان موحش، ولكن أعدك أني سأفعل ما تريدين مع من كان السبب في موتك. ماذا تريدين أن أفعل معهم؟ "

قرب (آدم) أذنه قليلًا من (نور) وهو يقول:

- " ماذا يا حبيبتي ؟ تريدين أن آكلهم؟ كما تشائين يا صغيرتي.. كما تشائين."

قبلها من خدها، ثم وضعها مرة أخرى بحنان في فراشها، وهو يقول لها بنفس الصوت الخفيض:

- " والآن بابا سيذهب ليحضر ماما، لتكون معك في نفس المكان الذي ستذهبين إليه، كي لا تخافي."

أنهى عبارته، ثم خرج وهو يطفئ ضوء الغرفة، قبل أن يغادر الشقة.. كان يتذكر جيدًا عبارة أحد ضباط أمن الدولة وهو

يأمر رجاله بأن يرموا الجثة في أي (مزبلة)، أمامه مشوار طويل ليبحث عن جثة حبيبته في الخرائب.. وسيعثر عليها.

***

الجمعة ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٧ (الساعة ٢ صباحًا)

صورة من بلاغ المدعو (كرم عطية عبد الرحمن):

رقم البلاغ: ٢٤٥٨٧٥٦٦٦١

تاريخ البلاغ: ١٦ / ١٢ / ٢٠٠٧

مكان وقوع الحادث: الخصوص

الإجراء المطلوب: يتم القبض عليه

نوع البلاغ: مطلوب – غياب

ملخص البلاغ: تقدم المدعو (كرم عطية عبد الرحمن) صاحب مقهى بمنطقة الخصوص ببلاغ بمشاهدته للسيد / آدم محمد وهو يسير في الشارع في حالة غير متزنة وعلى جسده آثار جروح ثم اختفى من أمامه فتبعه لمنزله هو وصاحب بقالة مجاورة وصعدا لشقته فوجدا باب الشقة مفتوح وفي الداخل جثة ابنته الصغيرة والسيد آدم غير موجود بمحل سكنه ولا زوجته

هل تم الأخذ بصحة بلاغ المتعهد: نعم

خبر صغير من جريدة (المساء)

بتاريخ ١٧ / ١٢ / ٢٠٠٧

صفحة الحوادث

(في حادثة غريبة على أهالي منطقة (باسوس) عثر المدعو (شحاتة عبد الحي) والذي يعمل بجمع القمامة على جوال ضخم في إحدى الخرائب وعند فتحه للجوال الذي انبعثت منه رائحة كريهة عثر على جثة فتاة في العشرينات ترتدي قميص نوم ممزق، وقد أبلغ القسم التابع لمنطقته ليتم نقل الجثة حيث لم يتعرف عليها أحد من أهالي المنطقة، ويتم البحث الآن عن هوية صاحبة الجثة من خلال بلاغات حالات الاختفاء)

تحقيق: سارة مصطفى

***

السبت ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٧ (الساعة ٦ مساءً)

انتهى الطبيب الشاب من التهام الشطيرة الصغيرة التي يحملها، ثم تبعها برشفة من المشروب الغازي الموضوع أمامه على مكتبه، وهو يشاهد التلفزيون، داخل المكتب الصغير المتواضع، الذي يجلس فيه هو وزملاؤه أثناء راحتهم.

كان الطبيب الشاب يعمل في قسم الطب الشرعي منذ عام، وهو المسئول عن تشريح جثة الفتاة التي تسلمها أمس. سمع طرقات على باب المكتب، فأذن للطارق بالدخول، ليجده عم (سيد)، فرحب به، وأمسك بمجموعة أوراق على مكتبه، وأعطاها لعم (سيد)، الذي أخذ الأوراق؛ ولكن الطبيب الشاب أوقفه، وكأنه تذكر شيئًا ما، فأخذ منه الأوراق مرة أخرى، وفتحها وفي يده اليمنى قلمه، وأخذت عيناه تسير بسرعة على التقرير:

(الجثة لسيدة متزوجة، بين سن الثالثة والعشرين والخامسة والعشرين، بيضاء البشرة، لون الشعر أصفر، لون العينين أخضر، تمت الوفاة ليلة الثلاثاء ١٤ / ١٢ / ٢٠٠٧ بين الساعة الثانية بعد منتصف الليل والساعة الخامسة، الوفاة نتيجة توقف عضلة القلب عن العمل، إثر أزمة قلبية. ترتدي الجثة قميص نوم ممزق من الأعلى، ووجد داخل أظافرها آثار لقشرة جلدية من جسد شخص ما، تنتشر آثار العنف في جسدها، مع تمزق في أنسجة العضو التناسلي، نتيجة تعرضها للاغتصاب بطريقة عنيفة.

يتلخص سبب الوفاة في تعرضها لحالة عنيفة من الاغتصاب، لم يتحملها قلبها، فأصيبت بأزمة قلبية، ولم يتم إسعافها، فماتت. تم نقل الجثة من مكان مغلق فور حدوث الوفاة إلى المكان الذي وجدت فيه (مقلب القمامة)

انتهى الطبيب من مراجعة سريعة بعينيه على التقرير، والصور المرفقة، وتحليلات الأنسجة، وأضاف بعض الملاحظات بقلمه، ثم أعطى التقرير مرة أخرى لعم (سيد)، الذي أخذه، وخرج من الباب سريعًا .

***

الأربعاء ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٧

يمكنك أن ترى من بعيد هذا الشحاذ ذو الثياب الرثة، ينام بجانب كومة من القمامة، وقد نبتت ذقنه وهاش شعره، بجلبابه المتسخ الذي ضاع لونه من فرط ما تجمع عليه من أوساخ. كان ينام، وبجواره وضع أحدهم كسرات خبز على الأرض وقطعة جبن. لو اقتربت من هذا الشحاذ، ستجده هو (آدم)!!!

هو (آدم)، ولكنك ستتعرف عليه بصعوبة بسبب ما حدث لحاله وجسده، الذي يظهر أنه لم ينل تغذية حقيقية لأيام .

الآن هو يستيقظ من النوم، وهو يفرك عينيه، ثم ينظر حوله، ليجد كسرات الخبز وقطعة الجبن، فمد يده ليأكل قطعة من الخبز وقطعة من الجبن.

لم يتخيل من يشاهد هذا المشهد ما يدور بعقل هذا الرجل.. من يتخيل عقله المنظم، الذي يعمل الآن كأنه آله

حسابية دقيقة؟.. لقد وضع أولويات سريعة كي يواجهه حياته الآن.

هو يعلم أن زوجته التي عشقها منذ الطفولة ماتت، وطفلته الوحيدة التي كانت يمكن أن تعوضه عن غياب زوجته ماتت هي الأخرى. إذًا يجب في البداية أن يجد جثة زوجته، كي يدفنها بطريقة لائقة. الأوغاد قاموا برميها في أحد مقالب القمامة، وهو الآن يسير منذ أيام كي يجدها. ينظر له الجميع على أنه مجنون أو شحاذ، لكنه ببساطة يبحث عن جثة زوجته، لكي يكرمها بعد موتها، ويستر جسدها الذي دنسه الغير.

نهض من رقوده وهو مترنح قليلًا من آثار الأنيميا التي أصابت جسده وارتفاع حرارته منذ يومين. لا يهم شيء الآن.. سينعم بالراحة، لكن بعد أن يجد زوجته. سار قليلًا في الشوارع، ولكنه توقف فجأة أمام كشك بيع صحف يعرض بعض الصحف معلقة على حبل خارج الكشك، هذه هي صورة زوجته!!! وبجوارها صورة لها وهي مغمضة العينين.. لقد وجدوا زوجته.. لقد وجدوها أخيرًا. اقترب من الصحيفة وهو يقرأ "مانشيت" الخبر الذي ملأ الصفحة الأولى **(ومازالت التحقيقات جارية في سر مقتل الزوجة والطفلة، الشرطة تنفي علاقة زوجها المختفي بالحادث، البحث مازال جاريًا عن الزوج المختفي، عائلة المجني عليها تسلمت الجثتين اليوم)**

وقفت عينيه عند تلك العبارة وهو يقول في نفسه إن عائلته تسلمت جثة (بتول) و (نور) ؟ هل تعرضت (نور) للتشريح ؟

ذرفت الدموع من عينيه، وهو يتخيل ما حدث لزوجته وطفلته، فجرى بسرعة من أمام الكشك.

***

هذا هو الشارع الذي يقطن به، لقد وصله بعد أن جاء الليل، وبعد أن سار كل تلك الساعات.. العرق يتصبب منه بغزارة، وحرارة جسده في ارتفاع دائم، والدوار يحيط بعقله، ولكنه يقول في عقله إنه اقترب فعلًا من النهاية.. ما هذا ؟؟ هناك مقاعد تراصت تحت منزله، وصوت قرآن يأتي من مكان ما.. هذا هو عزاء زوجته، إذن لقد دفنوها بالتأكيد.

كان يقف مداريًا جسده خلف أحد المنازل، التي لم يكتمل بناؤها وهو يشاهد العزاء، وأهله يجلسون بصمت، ومن حين لآخر يأتي أحدهم ليصافحهم ويواسيهم، ثم يجلس على أحد المقاعد. هو يعرف بالتأكيد أين دفنت زوجته وطفلته.. في مقابر عائلته بالعباسية. هنا تراجع بهدوء، كي لا يكتشف وجوده أحد، وهو يسير مترنحًا في الشوارع الجانبية، كي يصل للمقابر.

***

الخميس ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٧ (الساعة ١١ صباحًا)

تحرك الأب الحزين، هو والخال، وبعض الرجال متجهين إلى حوش مقابر العائلة، لكي يقرأ الجميع الفاتحة لـبتول و(نور)، وليوصوا الرجل الذي يعتني بالمقابر، ويعطوه مبلغًا من المال، ليهتم بالتنظيف أمام القبر..

- " هل نذهب للقبر أولًا، أم نذهب للحاج (شريف) كي نعطيه المال؟ "

قال الأب تلك العبارة، فقال الخال بسرعة:

- " لا .. نذهب للقبر أولًا "

اتجه الجميع للشوارع المؤدية للقبر.. كانت المقابر عبارة عن حارات وشوارع وأبواب من الحديد أو الخشب تغلقها، وقبر العائلة يغلقه باب خشبي، وبعد البوابة ممر صغير، وعلى الجانب الأيسر منطقة قبر الرجال، وعلى الجانب الأيمن منطقة قبر النساء. ذهب الجميع حتى وصلوا أمام الباب، ولكنهم وقفوا ذاهلين مما رأوا !

الباب الخشبي، الذي يغلق بقفل، تم خلعه من مكانه!.. جرى الجميع داخل الممر، فقط ليجدوا مظهرًا غريبًا.. شاب يرتدي جلبابًا ممزقًا متسخًا، ووجهه منفوخ من مرض ما،

وشعره منكوش وحافي القدمين، هذا الشاب نائم بوضعية غريبة.. فهو نائم على ظهره، وجـ..ـده مسترخٍ، ويداه بجانبه!

اقترب الجميع ذاهلين من هذا المشهد؛ لكن الأب صاح بجزع

- " آدم !!!!!!!!! "

نظر الرجال للأب، الذي كان عم (آدم) في الأساس، وهو يجلس على ركبتيه بلهفة، محاولًا إيقاظ (آدم)، الذي يبدو أنه لا يشعر بشيء .

•••

٤

هذه هي مستشفى (......) لو نظرنا لقاعة الانتظار لوجدنا ما يقرب من عشرين شخصًا من عائلة (آدم) ينتظرون بلهفة أي خبر عن حالته وقد عرف الجميع أن والد (بتول) - وعمه - وجده هو ورجال من العائلة أمام قبر (بتول)، ونقلوه فاقد الوعي للمستشفى التي أدخلته العناية المركزة منذ خمس ساعات، في حالة تقترب من الموت، كما أخبرهم الأطباء.

لو صعدنا للطابق الثالث، خارج منطقة العناية المركزة، سنجد والد (آدم) يدفن رأسه داخل يده، وبجانبه والد ووالدة (بتول)، يجلسون مترقبين كل ساعة الممرضة التي تتابع حالة (آدم) داخل العناية المركزة، وهي تخرج لهم، وتخبرهم عن آخر أحواله.

نعود مرة أخرى لبوابة المستشفى، ووكيل النيابة يدخل منها، بصحبته اثنين من أمناء الشرطة، وكاتب النيابة.

صعد الجميع لمدير المستشفى، الذي رحب بهم، فقال له وكيل النيابة مستفسرًا:

- " متى يمكننا استجواب المريض (آدم محمد عبد الرحمن)، الذي دخل المستشفى اليوم الساعة الثانية عشر ظهرًا ؟ "

- " علمت عندما أبلغنا الشرطة أنه مطلوب للتحقيق في قضية هامة، ولكن المشكلة أن حالته حرجة جدًا، برغم أنه قد استعاد وعيه، وقليل من تركيزه، إلا أن الجروح الخطيرة التي أتى بها إلى هنا قد أدخلته في حمى شديدة، قد تحيل بينه وبين أن يجيبكم إجابات دقيقة. ولكن يمكنكم الانتظار هنا لمدة ساعة، فربما تحسنت حالته في الدقائق القادمة، ويمكنكم استجوابه. لكن أرجو ألّا يكون استجوابًا عنيفًا، كي لا يؤثر على حالته."

- " نشكرك يا دكتور (عادل).. سننتظر في الخارج، وعندما يمكننا الحديث معه، أرجو أن تبلغنا."

***

كان (آدم) يفتح عينيه بين الحين والآخر، فيجد نفسه في غرفة بيضاء مليئة بالأجهزة، ويشعر أن هناك ثقل على جسده. يرتدي على فمه شيء يتنفس منه، ويبدو أنه يشعر براحة عندما يتنفس..

نظر إلى ذراعه اليسرى، ليجد بجانبه محلولًا معلقًا متصلًا بها، أما جسده فلا يحتاج أن ينظر له، فهو يشعر أن قدمه محاطة بلفافات طبية، وظهره وصدره ويديه.

كان هذا ما شعر به عندما فتح عينيه أول مرة، ولكنه غاب عن الوعي مرة أخرى، لا يدري مم.. ثم بدأ يستيقظ، كل مرة

يجد نفس المشهد، ولكن في مرتين وجد ممرضة، ابتسمت له وهي تحدثه بهدوء، محاولة معرفة درجة تركيزه. هو في حالة تركيز طبيعية.. فهو يشعر بحروق في جسده، وألم في رأسه، وبعض الدوار؛ لكن بالنسبة لتركيزه، فيشعر أنه واعٍ جيدًا، لكنه لا يعرف لماذا فضل ألا يعطيها أي إشارة تدل على استجابته لأسئلتها !!! في المرة الأخيرة التي استيقظ فيها رأى طبيبًا شابًا، وبجانبه طبيب كبير السن، يرتدي نظارة طبية، وممرضتين، واحدة منهما تثبت محلولا آخرًا إلى ذراعه.

انتبه الطبيب الشاب لاستيقاظ (آدم)، فنبه الجميع، فاقترب الطبيب ذو النظارة منه مبتسمًا وهو يقول:

- " أهلًا بك يا بني.. هل يمكنك أن تقول لي ما هو اسمك؟"

حرك (آدم) شفتيه بصعوبة، وهو يقول بصوت خفيض:

- " آدم.. "

نظر الطبيب للممرضة، التي تقف خلفه وهو يقول لها شيئًا، ثم عاود سؤال (آدم):

- " هل تتذكر ما حدث قبل أن تأتي للمستشفى يا (آدم)؟"

نظر (آدم) للطبيب، والذكريات المحفورة في رأسه تتراص في ثوانٍ..

***

أخيرًا وصل (آدم) لمنطقة المقابر، على الرغم من أن الليل قد أتى منذ مدة، ولا توجد أي إضاءة في شوارع المقابر إلا إضاءة القمر؛ لكنه يعرف طريقه جيدًا من خلال زياراته المتعددة لمقابر عائلته. سار وهو ينظر حوله، كي لا يراه أحد..

يشعر بالراحة كلما اقترب من مقابر عائلته أكثر.. يشعر أنه سيقابل زوجته الحبيبة، وطفلته الشقية مرة أخرى.. يكفيه أن يرى المكان الذي دفنا فيه، كي يشعر بالأمان مرة أخرى.

نعم تلك هي البوابة الخشبية، ولكن عليها قفل!.. لقد نسيه.. ماذا سيفعل الآن؟ هو يريد أن يدخل، ليرى حبيبته وطفلته..

شعر بأن الدماء تغلي في عروقه من الغضب، وأن هذا الباب يمنعه من لقاء أحبابه، فجرى ناحيته بسرعة، ليصدم كتفه به. ربما شعر بالألم قليلًا؛ لكن هذا لا يهم. عاد وجرى بسرعة، ليصدم كتفه مرة أخرى بالباب، الذي بدأت مفصلاته الجانبية في الانثناء.. بالفعل الباب قديم، والمفصلات في حالة مزرية، بسبب تعرضها للشمس مدة طويلة. هذه المرة ضرب الباب

بكتفه بعنف، فانخلعت مفصلاته تمامًا، فدفعه هذه المرة بيديه ببساطة، فوقع الباب أرضًا، ليظهر ممر، يبدأ بسلم حجري ذي ثلاث درجات، صعده ببطء، ثم سار في الممر، لينظر يمينه وهو يبتسم.. زوجته وطفلته هنا.. هو يشعر بهذا..

- " السلام عليكم يا حبيبتي، وأنتِ يا صغيرتي.."

الابتسامة تغزو وجهه، والدموع تذرف من عينيه وهو ينظر لفتحة القبر المغلقة:

- " (بتول).. سامحيني لم يكن بيدي شيء، وأنت تعذبين. أنت تعلمين أنني كنت كالوحش المقيد، أرى نظرات عينيك المتوسلة وأنت تدافعين عن شرفك؛ ولكن لا أملك شيئا.. أرى الوجوه التي تشاهد جسدك، وتأكل لحمك، وهم يشتهونك، ولا أملك شيئا.. عيناك اللتان اتسعتا من الألم، وأنت تفقدين حياتك مازالتا أمام عيني، وأنا لا أملك شيئا.. جسدك الذي ألقوه في مقلب القمامة عاريًا، وقد كشفوا عورتك للناس، وكأنك حيوان، لم يمكنني إنقاذه، فأنا لا أملك شيئا.. طفلتنا الوحيدة ماتت من الجوع والألم، ولم أملك شيئا."

كان صوته يخرج متحشرجًا، ودموعه تسبقه، وهو يجلس على الأرض في مواجهه باب القبر، وهو يكمل قائلًا:

- " لكن أنا لم أكن أملك شيئًا لأدافع به عنك أنت وطفلتنا، والآن لم أعد أملككم أنتم أيضًا. أنا لم أعد أملك

شيئًا لأخسره.. وحيد أنا الآن بدونكما.. أعتقد أنني يجب أن أفعل شيئًا ما الآن.

لا أعرف.. لكني أشعر الآن بجوع شديد يا (بتول). لا أعرف لماذا أشتاق أن آكل لحمًا يا حبيبتي."

انتهت دموعه فجأة، وظلت الابتسامة هي الظاهرة وهو ينظر للقبر لدقائق، ثم قال:

- " (نور) يا صغيرتي.. أنت الآن بجانب والدتك، أحن شخص من الدنيا عليك. وأنت الآن يا (بتول) في ذمة الله الرحيم، الذي رحمكما من عذاب الدنيا، وأخذكما لرحمته. (نور) لا تضايقي ماما بشقاوتك.. (بتول) خدي حذرك على طفلتنا الوحيدة.. (نور) لا تضايقي الآن، فبابا سينضم إليكم قريبًا يا حبيبتي، لكن ليس قبل أن يفعل شيئًا ما، فهو جوعان، ويجب عليه أن يأكل قبل أن ينضم إليكما يا حبيبتي."

لا يتذكر (آدم) شيئًا بعد هذا، ولكنه يتذكر مشاهد ضبابية..

***

ردد الطبيب سؤاله مرة أخرى بصوت أعلى لآدم قائلًا:

- " يا (آدم).. هل تتذكر ما حدث قبل أن تأتي للمستشفى؟ "

عاد (آدم) من ذكرياته، وهو ينظر للطبيب مليًا، ثم قال بصوت هادئ:

- " لا أتذكر شيئًا."

نظر الطبيب له، ثم أخذ يدون في ورقة أمامه بعض الأشياء، وكل مرة يقوم بسؤال أو تمرين لاختبار وظائف أعضاء (آدم)، وأخذ يسأله بضعه أسئلة عن إحساسه بالألم، لكن (آدم) سأل الطبيب سؤالًا واحدًا:

- " من أحضرني إلى هنا ؟ "

- " عمك، وبعض الرجال "

- " هل يمكن أن أرى والدي وعمي؟ "

تنهد الطبيب ثم قال:

- " يمكنك أن تراهم.. لكن سأسمح لك فقط ببضعة دقائق. وإذا أردت أيضًا، هناك وكيل نيابة يريد أن يأخذ أقوالك في القضية المفتوحة الآن."

- " أية قضية؟ "

- " اهدأ، وسأدخل لك والدك وعمك، ويمكنك بعدها أن تخبرني عن رغبتك في استقبال النيابة أم لا، لكني أحذرك أني

سأضطر بعد دقائق أن أجعلك ترتاح مرة أخرى، لنكمل عملنا."

مرت دقائق، ودخل والد (آدم) وعمه، اللذان وقفا بجانب فراشه ووجهيهما يكادان ينفجران من الحزن.. والده قال بعد فترة صمت:

- " كيف حالك الآن يا بني ؟ "

تكلم (آدم) بصوت خافض قائلًا:

- " هل معنا أحد ما في الغرفة ؟ "

...

- " لا يا بني ؟!!!! "

قال (آدم) عبارة واحدة، وجهها لوالده وعمه بصوت خرج كأنه أجش للحظة:

- " سأسكت الآن، لتخبراني بكل ما حدث، وكيف عرفتم بموت (بتول) و (نور)، وكل ما حدث الأيام السابقة حتى الآن."

نظر الرجلين لبعضهما بدهشة، ولكن كلمات (آدم) الدقيقة، وعينيه اللتين اتسعتا أجبروهما على الكلام، فقال الوالد بحزن:

- " منذ أيام جاء استدعاء من قسم شرطة الخصوص، وكان استدعاء ودي.. حاولت الاتصال بك أو بتول، ولكن لم يرد علي أحد.. ذهبت، لأجد أن رجال المنطقة التي تسكن بها قدموا بلاغا بعثورهم على جثة (نور) -ابنتك- داخل الشقة، وذلك بعد ما شاهدك أحدهم وأنت بملابس رثة تدخل منزلك. عندما حضرت، كان المحضر قد تم تحويله للنيابة، وبدأت الإجراءات في التحقيق في غياب (بتول) وغيابك، حتى تم العثور بعدها بيومين على (بتول)، ومقارنه صورتها مع جثة وجدوها في .. في .. "

- " مقلب قمامة.. أعرف كيف وجدوها."

قالها (آدم)، فأخذ والده نفسًا عميقًا كي يمنع نفسه من البكاء، في حين أن عين عمه قد رغرغت بالدموع:

- " لقد وجدت الجثة يوم الجمعة، وتم تشريحها يا بني، فوجدوا أن.. أن أحدهم تعدى عليها، فماتت المسكينة."

هنا لم يتحمل العم أن يسمع باقي الكلمات، فاستأذن خارجًا وهو يكافح كي لا تسقط دموعه، في حين قال (آدم):

- " أكمل يا والدي "

- " بعد ما علمت النيابة بوجود آثار الاغتصاب، ثم إلقاء الجثة في مقلب القمامة، واختفاءك، وموت الطفلة، بعدت أصابع الاتهام من حولك، فلا يمكن لك أن تغتصب زوجتك،

وتترك طفلتك لتموت من الجوع، ثم تختفي أنت، لتظهر بجروح على جسدك كما قال الشاهد، وتختفي مرة أخرى. تسلمنا جثة (بتول) و (نور) من المشرحة أمس صباحًا، وقمنا بدفنها، والتحقيقات مازالت مستمرة.. والآن يا بني فسر لي كل شيء..! "

بنفس البرود، الذي أخبر به الطبيب أنه لا يتذكر، قال لوالده ذلك ولكنه أغمض عينيه، وطلب من والده الخروج قليلًا.

***

خرج وكيل النيابة من غرفة (آدم)، وعينيه تنظر أمامه شاردة، وهو يتجه لغرفة المدير، يتبعه الكاتب وأمناء الشرطة والضابط، حتى دق على غرفة المدير ودخلها، فرحب به المدير سائلًا إياه عما حدث، فقال وكيل النيابة مستفسرًا:

- " إجابات (آدم) كلها غريبة!! يقول إنه لا يتذكر شيئًا، وأنه يعتقد أن أمس هو الثلاثاء بتاريخ ١٤ / ١٢، وآخر ما فعله أنه عاد من العمل، وأكل الطعام، وجلس مع زوجته وطفلته قليلًا، ثم نام ليصحو ليجد نفسه هنا.. هل أعتبر هذا فقدان ذاكرة ؟ "

قطب مدير المستشفى جبينه وهو يفكر، ثم قال لوكيل النيابة، الذي جلس على المقعد المواجه للمكتب:

- " هناك بعض الحالات التي ترفض تذكر فترة معينة من الماضي، ربما بسبب موقف مر به، لا يريد أن يتذكره، فيفضل المخ حذف تلك الذكرى لفترة معينة من المخ. ولكن في الغالب، فإن المخ يعيد له تلك الذكرى أو الموقف تدريجيًا في خلال أيام، أو شهور على الأكثر. فالمخ يعيد للشخص الفترة التي نسيها، ولكن عندما يكون الشخص ذو قدرة على تقبل تذكر ذلك الموقف مرة أخرى. من الممكن أن تكون حالة (آدم) بنفس الطريقة "

نظر وكيل النيابة للأرض قليلًا وهو يفكر لحظات، ثم قال:

- " أعتقد أن الجروح التي ملأت جسد (آدم) هي نتيجة تعذيب مر به، وما أعتقده أيضًا أن زوجته كانت بجانبه في نفس وقت تعذيبه، لأنها ماتت في نفس يوم الاختفاء، أي أن الاثنين في الغالب كانا في نفس المكان !!! "

***

(مصحة الدكتور/فريد الطوبجي)

يمكنك أن تقرأ تلك اللافتة من أي مسافة على ذلك المبنى بمدينة نصر، في أحد الشوارع الهادئة. مبنى من سبع طوابق هو في الواقع مستشفى خاص للعلاج النفسي، تم إلحاق (آدم) به

في بداية عام ٢٠٠٨ ، كي يبدأ علاجه النفسي، بسبب إصابته بالاكتئاب. ولكن الغريب هو ما يمكنك أن تسمعه عن حالته، عندما تدخل لتلك المصحة من الداخل.

المصحة بالفعل مليئة بحالات الاكتئاب، وبطرق أسوأ من حالة (آدم)؛ لكن دعونا نستمع لعفاف وزميلتها (هدى)، وهما تجلسان ليلًا في الاستقبال، وأمام كل منهما كوب ضخم من الشاي، تشرب كل واحدة رشفة كل بضع دقائق، فهما مشغولتان بالحديث كي يسير الوقت، ويقترب الفجر .

قالت (عفاف) وهي تكافح النوم:

- " أكملي لي ماذا فعل (عبد الرحمن) عندما صممت على أن يأتي ليطلب يدك من أهلك؟ "

رشفت (هدى) رشفة من الشاي وهي تضحك قائلة:

- " بحق لم أكن لأتوقع أن يكون (عبد الرحمن) جادًا لهذا الحد، فهو قد وافق على الفور، ورحب وطلب مني أن أخبر والدي أنه سيأتي بعد أسبوع."

تهلل وجه (عفاف) وهي تقول لهدى:

- " ألف مبروك أيتها المحظوظة، سأقرصك في ركبتك قريبًا، لأتزوج في نفس الجمعة التي ستتزوجين بها "

واتبعت تلك العبارة بأن قرصتها في ركبتها اليسرى، فتأوهت (هدى) وهي تضحك، و(عفاف) تحاول قرصها مرة أخرى وهما تضحكان

- " وأنت يا منحوسة ألم تحن الفرصة بعد لتتزوجي؟"

قالتها (هدى) بجدية، فأراحت (عفاف) رأسها على يدها وهي تقول حالمة:

- " أريد زوجًا كما أتخيله يا (هدى) "

- " تقصدين يشبه (آدم) أليس كذلك؟ "

نظرت (عفاف) لها بعتاب، فأكملت (هدى) بجدية:

- " أنت معجبة بمريض يا (عفاف) وهذا ما يقودني للجنون، فأنت تقابلين مثله كل يوم !!!! "

نظرت (عفاف) للسقف حالمة تقول:

- " لا أعرف!.. ربما عيناه البنيتان.. ربما طوله الفارع، أو هو شعره الأسود.. ربما كانت نظرته الثاقبة وهو ينظر خارج نافذة حجرته.. أو ربما نظرة الخجل، التي ينظر لي بها، عندما أقدم له الطعام وأعطيه الدواء. ربما كان الغموض الذي يحيط بحالته.. لا أعرف؛ لكني أشعر بالشفقة عليه، أو ربما تسميها أنت إعجاب."

ردت (هدى) قائلة:

- " ربما كان الغموض المحيط به بالفعل، فهو أغرب حالة رأيتها.. منذ أن دخل المستشفى في شهر يناير السابق وهو لا يتكلم مع أحد إلا نادرًا، ويكتفي بالإشارة بيده لو أراد شيئًا، وكأنه يبذل مجهودًا كبيرًا في الكلام. أعرف أن حالته هي اكتئاب حاد، لكن لا أعرف ما سر كل تلك المشاكل التي قابلت تلك الحالة أثناء فترة العلاج! "

ترددت (عفاف) وهي تريد أن تقول شيئًا ما، لكنها في النهاية قالت بعد تردد:

- " في الحقيقة لقد قتلني الفضول منذ شهر، وقمت بالبحث في ملفات المرضى عن ملف (آدم) حتى وجدته، وذهلت مما قرأت. لقد اغتصب أحدهم زوجته، وألقى بجثتها في مقلب قمامة، وماتت طفلته في منزلها من الجوع، وهو نفسه قد اختفى فترة من الزمن، ولا يعلم أحد سبب الاختفاء. ويبدو أن فترة غيابه عن المنزل لا يتذكرها، وخصوصًا وتلك هي الفترة التي ماتت فيها زوجته وابنته. وبعد أن عاد، كان جسده مليء بالجروح، وظل تحت العلاج، حتى انتقل لهنا لاستكمال فترة علاجه النفسي. ولكن حسب ما قرأت في تقارير الأطباء الذين تابعوا حالته أنه أصيب بحالة اكتئاب حادة، جعلته يفقد

الرؤية بعينه اليسرى في شهر فبراير السابق، وفي شهر ابريل أصبح لا يشعر بقدمه اليسرى، مما جعل حالته في تدهور واضح، وفشل الأطباء في علاجه، وظل هو لا يتكلم كثيرًا، ويعيش في عالمه الخاص، الذي حاول الأطباء اختراقه؛ لكنهم فشلوا. لقد كان يطلب أوراقًا وأقلامًا كثيرة بانتظام، وفي كل ليلة نجد سلة القمامة مليئة بالورق الممزق بعناية، لدرجة استحالت على الأطباء تجميعها، فهو يمزق الورق لقطع تشبه الحبات، أما صوته فقد تغير قليلًا، وأصبح أقل انخفاضًا.. لكن الذي يجعلني أندهش هو شيء أراه كل مرة ولا أفهمه.. عندما أدخل عليه في أي وقت، فهو يعاملني باحترام، وينظر للأرض. وإذا حاولت أن افتح معه حوارًا، فإنه يهز رأسه باحترام، وقليلًا ما أجابني بطريقة مهذبة. لكن عند ميعاد جلساته مع الأطباء، فإنه يظل شاردًا، ويتغير تمامًا.. وأنا لا أعرف لهذا سببا، فأنا في رأيي أن (آدم) واعٍ لما حوله بطريقة كاملة.. أليس كذلك ؟ "

- " إن كان يشغلك (آدم) فأنا عندي سؤال ليس له جواب.. فمنذ دخوله المستشفى إلى الآن وهو يرفض زيارات أهله أو أصدقائه، والزيارات التي قبلها، سمعنا أنه لم يتكلم فيها إلا مع شخص واحد.. هل تتذكرينه ؟ "

ابتسمت (عفاف) بركن شفتيها بسخرية وهي تقول:

- " نعم الصديق الوحيد والزائر الغريب، منذ شهر يناير عندما طلب زيارته أول مرة و(آدم) لم يقبل، وبعد إلحاح غريب استطاع أن يدخل غرفته الخاصة، بصحبه الطبيب وممرضة أخرى، وكل ما فعله (آدم) أن نظر لدقائق للرجل، والرجل ينظر إليه، وكأنهما يتقابلان أول مرة _ هذا ما قالته الممرضة التي حضرت اللقاء _ ثم انتهت الزيارة، وخرج الرجل، لكنه عاد مرة أخرى بعد أيام، ولكن هذه المرة كانت الممرضة فقط في صحبتهما، وظلا ينظران كل منهما إلى الآخر حوالي ربع ساعة، وانتهت الزيارة أيضًا. وفجأة - بدون سبب- أصبح هذا الرجل يزور (آدم) بصفة منتظمة كل يوم ثلاثاء أو أربعاء من كل أسبوع، مما يجعلني أعتقد أن هذا الرجل أجازته من عمله يوم ثلاثاء أو أربعاء، وأصبحت الزيارة تتم في غرفة (آدم) بدون حضور أحد، وتظل الزيارة من عشر دقائق إلى ربع ساعة، ويخرج الزائر.

حاول الأطباء معرفة ماذا يحدث بالداخل، ولكنهم توصلوا لشيء واحد.. هذا الزائر يدخل، ويظل الاثنان ينظران كل منهما للآخر طوال فترة الزيارة، ثم يخرج الرجل. لم يفت أسبوع واحد بدون زيارة هذا الرجل لآدم حتى يومنا هذا، الشيء الذي يجعلك تشكين: أن هذا الرجل دائمًا ما يرتدي قبعة ونظارة شمس في كل زيارة، كأنه يتعمد ألّا يتعرف عليه أحد. فقط هو يخلعهم وهو بالداخل، ويرتديهما قبل خروجه."

أراحت (هدى) ظهرها للخلف، وظلت للحظات تفكر، ثم قالت:

- " لا أعرف يا (عفاف).. ولكن أشعر بأن (آدم) هذا يخفي سرًا أخطر مما تتصور."

نظرت (هدى) للساعة المعلقة على الحائط، والتي تشير عقاربها للثانية بعد منتصف الليل، وحانت منها نظرة سريعة على النتيجة المعلقة بجانب الساعة، لتقرأ تاريخ اليوم بملل:

الثلاثاء ١٢ / ٦ / ٢٠٠٨

وتذكرت أنه ربما سيكون هناك ميعاد للزيارة اليوم للزائر الغريب.

***

كان الجو حارًا قليلًا في هذا الوقت من الصباح بالرغم من أن الساعة لم تعد العاشرة، ولكن الرطوبة كادت تخنق الكل، لولا انتشار أجهزة التكييف داخل الغرف و الممرات، لأصبحت المستشفى كالجحيم .

جرت الممرضتان العربة الضخمة، التي تمتلئ بصحف طعام الإفطار، الذي يوزعونه على المرضى.. تتوقف العربة أمام كل غرفة، وتدق إحدى الممرضتين الغرفة، ثم تفتح بابها، لتدخل الأخرى تحمل صينية الطعام، لتضعها داخل غرفة المريض.

توقفت العربة أمام غرفة (آدم)، فدقت الممرضة الأولى الباب ثلاث دقات، وانتظرت.. ثم فتحت الباب لتدخل الأخرى وهي تحمل صينية الطعام، لتجد أن (آدم) مازال نائمًا، فوضعت الصينية، وخرجت سريعًا.

***

الساعة الخامسة مساءً.. هذا هو موعد الغداء، والعربة الضخمة تسير أيضًا وتتوقف أمام غرفة (آدم)، ونفس الدقات، لتدخل الممرضة حاملة الصينية، ولكن هذه المرة سمع الجميع الممرضة تصرخ، وصوت سقوط صينية الطعام من يدها يدب في أروقة المستشفى!!!!!

ساد الهرج بين النزلاء، ومنهم من فتح باب غرفته ليستفسر، ومنهم من صعد سريعًا من الطابق السادس إلى الطابق السابع على صوت الصراخ. هناك عبارة واحدة تنتشر بين المرضى والعاملين في المستشفى بسرعة.. (هناك مريض وجد ميتًا)

تكوم الجميع حول الغرفة، وكل شخص يحاول أن يطل برأسه، وفي الداخل وقفت ممرضتان تحاولان تحريك (آدم)، الذي سقط على وجهه بلا حراك، وعيناه شاخصتان للأعلى، حتى دخل عامل فتحة الغرفة، وهو يقول بحزم:

- " ابتعدا عن المريض بسرعة، وسيأتي الطبيب المختص حالًا. "

ابتعدت الممرضات بسرعة، وخرجن من الغرفة، والعامل يأمرهم بأن يصرفوا المرضى لغرفهم، ثم أغلق هو باب الحجرة، وجرى ناحية المصعد. بعد دقائق، حضر اثنان من الأطباء بلهفة، وهما يتجهان لحجرة (آدم)، وفتحاها بسرعة..

فقط ليجدا الحجرة فارغة !! لقد اختفى (آدم) ؟؟؟؟؟

***



الجزء الثاني

العــائـد

(إنه الطريق الذي نختاره بإرادتنا، وعندما نسير فيه نفقد تلك الإرادة)

١

نظرت البائعة، التي تسجل الأرقام الكودية للكتب، للشاب الواقف أمامها، ثم نظرت إلى الكتب التي وضعها أمامها على الكاونتر، كي تسجلها وتعطيه فاتورة بها، ليسددها في الخزينة، ويتسلم الكتب.

(جسم الإنسان بالتفصيل)

(تشريح العضلات والغدد)

(Atlas of Human Anatomy)

(علم التشريح عند العرب)

(وظائف المخ وعلاقتها بالجسد)

(Introduction to the Human Body)

(Snell's Clinical Anatomy)

(تشريح العين — بن الهيثم وتقاليد جالينوس)

(جراحة الجمجمة والدماغ عند العرب)

(Cardiac Surgery)

ما كل تلك الكتب الطبية ؟ يبدو أنه يهوى كتب التشريح، لأن تلك المجموعة ليست لطالب، بل هاوٍ.. قالت الفتاة كل

ذلك في عقلها، وهي تمرر الجهاز الصغير الذي تحمله بيدها على الأرقام الكودية للكتب، في حين أن عينيها وقعت على حقيبة بلاستيكية ضخمة يحملها الشاب، عليها شعار مكتبة أخرى بمدينة نصر، ويظهر من الحقيبة الشفافة مجلدات ضخمة، يبدو أنها تتعلق أيضًا بالتشريح!!!

***

خطوات بطيئة، لكنها ثابتة.. عرج بسيط لا تلتقطه إلا عين خبيرة.. قوام مفرود، تظهر الثقة على حركات جسده، وهو يقف أمام مقهى بسيط في أحد أحياء شبرا، ثم يشير بيديه للنادل الشاب، الذي حضر سريعًا، فانحنى الرجل على أذنه، وقال بضعة كلمات، ثم وضع في يده -بطريقة لم يلحظها العامة- ورقة من فئة الخمسين جنيها. نظر النادل للورقة بطرف عينيه، فاندهش، وتهللت أساريره وهو يتكلم بصوت خفيض مع الرجل، يصف له طريقًا ما.

تركه الرجل، وسار في الشوارع على حسب وصف النادل، حتى وصل إلى شارع جانبي ضيق جدًا، في آخره صيدلية صغيرة جدًا، اتجه لها حتى دخلها، وهو يقول بصوت خفيض مبحوح:

" أريد أن أتكلم مع دكتور (محمود الشامي). "

ضحك الرجل العجوز، الذي يجلس على مقعد صغير داخل الصيدلية، وقال للرجل: " أنا (محمود) .. طلباتك ؟ "

ابتسم الرجل الواقف وهو يقول بصوت خفيض وبحروف بطيئة:

- " أريد شراء بعض الأدوية الخاصة، وأريد تعلم استخدامهم "

تبع تلك العبارة بأن أخرج من جيبه رزمة من النقود، فابتسم له الرجل العجوز بخبث وهو ينهض له.

***

الثلاثاء ٣ / ١١ / ٢٠٠٩

أنا وطني .. نعم أنا وطني، وأحب بلدي وأعشق ترابها أكثر من أي شخص آخر، يتشدق بالشعارات والكلمات، ويريد إثارة أزمات داخل وطني. كل من يتعاملون معي لا يعلمون حجم المجهود الذي يبذله أمثالنا في حماية أمن الوطن.. تجد الواحد منهم يذهب لعمله صباحًا، ثم يعود لمنزله ليأكل.. وينزل ليجلس على المقهى، ويعود مرة أخرى لمنزله، ويفتح التلفزيون، ويجلس آمنًا بجانب أطفاله وزوجته، حتى ينام هنيئًا في فراشه.

هذا الرجل لا يعلم ما تفعله نحن ليل نهار، كي نحميه هو وأسرته. نحن لا نذوق طعم النوم تقريبًا، ولا نشاهد أطفالنا ولا زوجاتنا في سبيل أن يأمن هذا المواطن .

أنا مخبر في أمن الدولة.. هل خفت مني ؟ الكل يخاف مني بمجرد أن يعرف ذلك، ولكن ما المشكلة ؟.. نعم أنا أفتخر بذلك، وأفتخر بعملي الذي لا يعلم أسراره أحد من العامة. ينظر العامة لنا على أننا أدوات تعذيب، ورجال جبارين على الضعفاء، ولم ينظر لنا أحد بأننا كنا السبب في حماية عائلته من عشرات القنابل، التي كانت من الممكن أن تنفجر فيه، ومن عشرات الانقلابات التي ستنهي حياته ومستقبله، ومن آلاف المجرمين الذين يحاولون أن يعيثوا بأمن وسلامة الوطن.

اسمي هو (لطفي عبد البر محمد) سني خمس وخمسون عامًا، لكني مازلت في كامل صحتي، كأني في العشرينات من عمري، لا يهم مظهري، ولكني أسمر اللون، أحب تربية شاربي، فهو يجعلني مهيبًا بين اللصوص والمجرمين، عندما كنت في معهد أمناء الشرطة تعلمت قانون واحد .. (الناس نوعين ظالم أو مظلوم وعليك أن تختار نوعك، كن ظالمـًا كي لا تكن مظلومًا) .

وهذا ما فعلته في شبابي في المعهد، كنت كالعفريت لا أهاب شيئًا وأفعل كل شيء، شربت الحشيش والخمور،

وتاجرت في كل أنوع المخدرات.. سرقت أموالًا، واقمت زملاء لي بسرقتها.. نمت مع كل داعرة قابلتها.. لم يردعني شيء.. وكان حافزي الوحيد هو الخوف.. نعم الخوف، فأنا أخاف أن أصبح المظلوم في يوم من الأيام.. أخاف من أن يعاملني الآخرين بقسوة، أو يهينني أحدهم، وبسبب كل هذا. اخترت طريقي من البداية.. كنت مقربًا عند الصول الذي يشرف على تدريبنا في المعهد، فقد كنت ألبي طلباته مهما كانت غريبة. ليس هناك مشكلة من أن ألمع حذاءه مرة، أو أنظف غرفته، أو آتي له بداعرة تقضي معه ليلة حمراء، وأقف أنا في الخارج انتظر كي ينتهي منها.

كان هذا الرجل هو حمايتي في المعهد من كل شخص. أفعل ما أريد، ولا يردعني أحد. حتى جاء اليوم الذي اختارني فيه الصول مع اثنين آخرين للذهاب للعمل بمباحث أمن الدولة. والعجيب.. أنه قال لي إنه تم اختياري على أساس ملفي، الذي يحتوي على الكثير من النقط السوداء والشغب، فهم يريدون رجالًا أقوياء أشداء في أروقة أمن الدولة.. لا مكان للضعيف بينهم. وذكرني قبل أن أغادر المعهد بالمقولة التي لازمتني طوال حياتي (يجب أن أكون ظالمًا بدلًا من أن أكون مظلومًا)، والتحقت بأمن الدولة، وبدأت حياتي في التغير.

لا أعرف هل سيصدقني أحد أم لا؛ ولكنني في تلك الفترة توقفت مشاغبتي، وشعرت بوجوب أن أتقرب إلى الله. أقلعت

عن الحشيش والخمور والرذيلة، وتزوجت فتاة طيبة من بلدتي، وأنجبت منها.. وظلت هي وأطفالي مقيمين في قريتي، وأنا أزورهم في الأسبوع ثلاث مرات.. وواظبت على الصلاة في المسجد.

هل أنا أختلف عن أحد إذن؟ بالعكس أنا أشعر براحة بيني وبين ربي، أشعر أن الله قد سامحني على ما ارتكبت من أخطاء.. ما المشكلة أن أقبض على كل شخص يحاول أن يضر بلدي ووطني، ولو وصلت لأن أعذبه، كي يدلني على الحقيقة؟.. ما المشكلة ؟

لو أخطأت، ما المشكلة؟.. من فضلك لا تقل لي إنك لا تخطيء، فأنت ظلمت بالتأكيد أحدهم في يوم من الأيام، وربما قمت بضربه. أما نحن، لو ظلمنا فذلك لغاية أسمى، وهي جعل الشعب في أمان دائم.

ما المشكلة أن نقبض على المئات في سبيل الملايين، أتحدى أي واحد ممن يتشدقون من العامة أننا نعذب الناس بالباطل وأننا شياطين .. أتحداه أن يتسلم أمن الوطن يومًا واحدًا، وأرى ماذا سيفعل.. لو كان يعتقد أن المجرمين والخونة يمكنه أن يوقعهم بالحب والكلام المعسول والحنان فهو مجنون. الموضوع أن الشعب يرى ما نفعله بمنظور معين، فهم لا يغطون كل المناظير. وأعتقد أن السبب في كل هذا الدعاية السيئة عنا في

الصحف والكتب والأفلام، فهم يظهروننا بأننا الجبابرة، الذين نشرب دماء العامة، وهم لا يعرفون أن المئات ماتوا منا ونحن ندافع عن تراب هذا الوطن.. كم من شهيد قتل وهو يحاول أن يلحق بجريمة قبل أن تبدأ، أو يطارد أحد الفارين.

وبعد أن نموت شهداء، يكتب علينا ألّا يُعرف عنا شيء، ونظل طي الكتمان.

ربما ارتكبت بعض الأخطاء وأنا استخدم سلطتي في مصالح شخصية، ولكن ما المشكلة في هذه أيضًا؟ أليس الجميع يستخدم مناصبه كي يربح حياته ويجعلها سلسة؟.. ربما عدت من وقت لآخر أتناول الحشيش، أو أدخن سجائر البانجو؛ لكني أعود مرة أخرى لصوابي.. أنا أخاف على أطفالي أكثر من نفسي، وأحب زوجتي وأرعاها، وأودي فروض صلاتي داخل المسجد، وأهتم بعملي جيدًا، وأحمل كفني على يدي فداء تراب وطني.

هذا أنا سواء صدقتني أم لا..

***

الثلاثاء ٣/ ١١/ ٢٠٠٩ (الساعة ١٢ مساءً)

انتهى (لطفي) من المكالمة في هاتفه المحمول، بعد أن قام بإبلاغ العميد (عمر) بانتهائه من مراقبه الطالب الجامعي، وتسليم المراقبة لزميله. وقد أبلغه العميد بأنه الليلة سيكون

إجازة، ويمكنه العودة لزيارة أهله، ولكن عليه أن يتواجد غدًا في تمام العاشرة، ليسلم التقارير المطلوبة منه.

بعد أن أغلق المحمول، ونظر في ساعته، فكر وهو يقف بأحد شوارع وسط البلد.. هل يعود الليلة لقريته، ليزور زوجته وأطفاله؟.. قرر أنه لو عاد، فسيعود متأخرًا ولن يلحق بميعاد الصباح، فقرر أن يذهب لشقته في بولاق، كي ينام، لأنه منهك منذ الصباح في المراقبة. وقف أمام موقف الميكروباص، وانتظر حتى وجد عربة، فركبها متجهًا لأقرب نقطة لمنزله.

نزل من الميكروباص، وأخذ يسير بين الشوارع ما يقرب من ربع ساعة، حتى وصل إلى الشارع الذي يسكن فيه. كان شارعًا هادئًا برغم انتشار المحلات به. أخذ يسير وهو يلقي السلام على أصحاب المحلات، الذين كانوا يردون التحية باحترام بالغ، مما جعله يضحك في داخله من هؤلاء الذين ارتعدوا بمجرد أن علموا أنه يعمل مخبرًا بأمن الدولة. وصل (لطفي) لمنزله، الذي يتكون من أربعة طوابق. كان المنزل مبني على النظام القديم، فواجهته لم تدهن بعد، مازالت ظاهرة بالطوب الأحمر، وكانت جميع منازل الشارع بهذا الشكل متلاصقة، بنفس عدد الطوابق تقريبًا أو أعلى قليلا.

صعد حتى الطابق الثالث، ثم أخرج المفاتيح من جيبه، ووضع مفتاح الشقة في الباب، وأدار المفتاح وفتح الشقة، ثم

دخلها وأشعل الإضاءة. كانت شقة متوسطة الأثاث، تتكون من صالة وغرفتين، والصالة وضع بها منضدة طعام، وجهاز تلفزيون قديم، وأريكة ومقعدان، وبعض المقاعد الخشبية. بمجرد أن دخل للشقة، اتجه مباشرًا إلى الحمام، لكنه توقف عند باب الحمام، بعد أن ضغط زر الإضاءة وهو ينظر للمرآة بدهشة.. المرآة مهشمة!

لم يكن (لطفي) غبي ليقف كي يفكر في السبب، بل نظر خلفه بحذر، ثم ذهب لغرفة النوم ليحضر المسدس من دولابه. لكنه عندما أضاء الغرفة، وجد المرآة الكبيرة -الموضوعة على التسريحة- مهشمة أيضًا !!!!

نظر حوله بسرعة ليتنبه لأي هجوم محتمل، ثم اقترب من الدولاب بحذر، وهو ينظر لخارج الغرفة، متوقعًا هجومًا في أي لحظة.. مد يده ببطء كي لا يسمعه أحد، ليفتح الدولاب، ويمد يده داخله.

لكن فجأة رأى شخص ما يخرج من الدولاب وهو يلكمه بعنف، فسقط (لطفي) من عنف الضربة على ظهره، وفجأة شعر بألم شديد من جراء ضربة ثانية على رأسه، واسودت الدنيا.

***

الثلاثاء ٣/ ١١/ ٢٠٠٩ (الساعة ١:١٩ مساءً)

جاهد (لطفي) كي يفتح عينيه.. لماذا يشعر بخدر في جسده، وشعور بالنوم يتنابه؟.. حرك رأسه ناظرًا حوله، وهو يتذكر ما حدث.. لقد ضربه أحدهم على رأسه.. لحظة شعوره بجسده يعود مرة أخرى، ولكنه مازال يشعر بالنعاس، وبثقل جسده.

نظر لأسفل، فوجد جسده قد قيد، الغريب أنه بدأ يدرك أنه مقيد في مقعد خشبي في صالة شقته، ومن قيده ربط الحبل بإحكام عجيب حول جسده، فلم يترك حتى مجال لحركة بسيطة لقدمه أو يده. أغمض عينيه لحظات، ثم فتحهما، ليزيل أثر النعاس الذي يزداد..

- " أهلًا بالصديق القديم.. أتشعر بالنعاس ؟ ربما كان ذلك بسبب جرعة المورفين التي حقنتها لك، قبل أن تفيق بدقيقة."

سمع (لطفي) العبارة السابقة يقولها أحدهم، وهو يقف خلفه تمامًا. كان الصوت رخيمًا وهادئًا، ويشبه الفحيح قليلًا، وصاحبه يتكلم بطريقة، كأن لسانه ثقيل، أو كأنه تعاطي مخدرًا قبل كلامه.

حاول أن ينظر خلفه، ولكنه لم يستطع رؤية المتكلم، الذي وضع يده اليمنى على كتف (لطفي)، الذي قال:

- " من أنت أيها المجرم، وماذا تريد مني ؟ "

جاءه الصوت الغامض يقول:

- " كنت أسير بالقرب من مترلك، وشعرت بالجوع، فجئت إليك.. هل أخطأت؟"

زمجر (لطفي)، وحاول أن يحرك جسده، وقال بغضب:

- " هل تعرف من أنا يا غبي؟ سأسامحك هذه المرة فقط لأنك أتيت لتسرق طعامًا، ولكن فك قيدي يا ولد. "

شعر (لطفي) أن أنفاس الرجل الذي يقف خلفه تصطدم برقبته.. إذًا فهو يقترب الآن من أذنه.. وبالفعل سمعه يقول بجانب أذنه:

- " لقد فهمت معنى عبارتي خطأ، لقد جئت لآكل من حقي أنا. "

- " ماذا؟"

ابتعدت خطوات الرجل للوراء؛ ولكن حين سمعها (لطفي)، شعر أنه يعرج قليلًا.. فهناك دق لقدم واحدة، وقدم أخرى ترحف بصوت غير واضح. المهم أن الرجل ابتعد للخلف، ويبدو أنه جلس على شيء ما، ثم بدأ بالحديث:

- " هل اليوم الثلاثاء أم الأربعاء؟ لا أعرف بعد، فالساعة قد تعدت الثانية عشر، فيمكننا أن نعتبر أن اليوم الأربعاء.. ولكن في الحقيقة نحن الثلاثاء ليلًا.. امممم لا أعرف ماذا أختار: الثلاثاء أم الأربعاء؟ "

فعل المخبر حركة بذيئة بفمه بسخرية، وهو يقول:

- " هل جئت لشقتي لتسألني عن اليوم؟"

- " نعم.."

اختفت نظرة السخرية من على وجه (لطفي)، وحلت موضعها نظرة الدهشة، فأكمل الغريب كلامه:

- " جئت أسالك بالفعل عن اليوم.. الثلاثاء ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٧، هل تتذكره؟ "

زالت نظرة الدهشة من وجه (لطفي)، وعادت النظرة الساخرة وهو يقول:

- " إذًا أنا قد سجنتك في هذا اليوم، وجئت الآن لتنتقم هاهاهاهاها.. ألن تكفوا عن مشاهدة تلك الأفلام الرخيصة التي تعرضها السينيمات "

قام الغريب من على المقعد، وخطا ناحية (لطفي) وهو يقول:

- " (آدم محمد عبد الرحمن).. هل تتذكر الاسم؟"

توقف (لطفي) عن الضحك، وقد لمعت عيناه واتسعت، فهو يمتلك ذاكرة قوية منذ صغره، تمكنه من حفظ الأسماء بسهولة.. وكأن الاسم قد فتح بئر مسدود في عقله.

- " أتذكر الاسم.. لقد كان أحد الناشطين في العمليات الإرهابية، وقام بمحاولة تفجير فاشلة بمـــ... "

- " لا يا صديقي.. لمَ لا نقول المعلومات الحقيقية؟"

قاطعه الغريب بتلك العبارة، وقد اقترب منه مرة أخرى قائلًا:

- " أتكلم عن (آدم) الشاب، الذي قبضتم عليه في تلك الليلة، وقمتم بتعذيبه واغتصابه، ثم اغتصاب زوجته وقتلها، ورمي جثتها لكلاب الأزقة.. هل تتذكر ؟ "

برغم مفعول المورفين الذي يسري في جسده، شعر (لطفي) بغضب.. أعصابه أصبحت مشدودة، وهو يتذكر ما حدث..

- " لقد كنا نحاول أن نحمي الأمن العام، وهذه أشياء لا يفهمها أمثالك."

اقتربت أنفاس الغريب من رقبة (لطفي) من الخلف، وقال:

- " إذن فقد قمتم بتعذيبه، وقتل زوجته."

صرخ (لطفي) بغضب:

- " فلتفعل ما تريد، (آدم) وزوجته وطفلته ماتوا، ولا يوجد دليل واحد يؤكد قصتك."

هنا أطلق الغريب صرخة، وهو يقول بغضب:

- " أنا الدليل.. أنا الدليل."

قالها وهو يدور حول (لطفي)، ليصبح أمامه، ثم صرخ وهو يقرب وجهه منه:

- " أنا (آدم) "

اتسعت عينا (لطفي) وهو ينظر له قائلًا:

- " مستحيل ...!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! "

***

الأربعاء ٤/ ١١/ ٢٠٠٩ (الساعة ٥ مساءً)

الناس تحيط بالمنزل؛ بالرغم من وجود العساكر حوله، والجميع يعرفون أن القتيل هو (لطفي)، الذي يعمل مخبرًا بمباحث أمن الدولة، والكل متشوق ليعرف أي معلومة كي ينشرها في الحي، والذي كثرت فيه الإشاعات منذ أن تم اكتشاف الجثة منذ ساعات.

يمكنك أن تدخل المنزل، لترى الكثير من أفراد الشرطة يملئون المكان.. تصعد السلم، فتجدهم في كل موضع وكل طابق، وداخل كل شقة يستجوبون أصحابها، وقد انقلب المنزل الهادئ إلى قسم تحقيق.. لو صعدت للطابق الثالث، ودخلت إلى الشقة، فستجد مشهدًا لا يخطر ببالك..

اثنان من رجال البصمات يفحصون كل أجزاء الشقة، ويقومون برفع البصمات بخبرة وهدوء.. فريق مكون من أربعة رجال من المعمل الجنائي: اثنان يفحصان جوانب الشقة، ويجمعان بعض الآثار، واثنان يقفان عند الجثة يجريان بعض الفحوصات.

يمكنك أن تندهش من وجود هذا الكم الهائل من ضباط الشرطة بمختلف الرتب، وضباط يرتدون ملابس عادية يبدو أنهم من جهة رسمية.

ربما كان كل هذا الاهتمام لأن القتيل يعمل بجهة أمنية، وربما أيضًا لأن من اكتشف الجريمة زميل له، أتى لزيارة منزله في الواحدة ظهرًا، وظل يضرب الجرس، ثم اتصل على هاتف القتيل المحمول، ليسمع صوت الهاتف يأتي من داخل الشقة، مما جعله يكسر باب الشقة ليدخل، ويقوم هو بإبلاغ رؤسائه أولًا، والذين أبلغوا الشرطة، وتحرك الجميع.

وفوجئ الجميع بهذا المشهد عندما دخلوا الشقة.. القتيل يجلس وقد انفتح فمه، والدماء تخرج منه مغرقه جسده، و ... عيناه غير موجودتين، والدماء تخرج من موضعهما، ودماء تخرج من أذنيه .. كل هذا والقتيل يجلس على المقعد، الذي امتلأ بالدماء !!!!

لهذا السبب صارت القضية هامة.. القتيل كان يعمل بجهة أمنية، وقتل وتم تشويه جسده بطريقة انتقامية. لن يمر هذا بسهولة.

لكن عندما بدأت المعاينة الدقيقة، وجدوا شيئًا غريبًا !!!

آثار طبخ في مطبخ القتيل، وبقايا صحون وبهارات متناثرة و.. طبق موضوع على المنضدة التي أمام القتيل، وبجانب الطبق شوكة وسكين وكوب ماء وبقايا شيء يؤكل..!

بعد أن عاين الطبيب معاينه مبدئية للجثة، اكتشف أن اللسان تم قطعه، مثلما تم قطع العينين .. لقد أخرجت العينان من محجريهما، وقطع اللسان، وأدخلت أداة حادة في الأذن، ثم دخل القاتل المطبخ وقام بطهي كل هذا، وجلس أمام القتيل ليأكلهم بهدوء !!!!!!!!!

***

العميد (عمر) يكاد يستشيط غضبًا مما حدث. أخرج علبة سجائره، وأشعل واحدة، وأخذ يسحب أنفاسها بغل وهو يفكر. كان جالسًا داخل مكتبه، منتظرًا تقرير المعمل الجنائي في قضية (لطفي)، المخبر الذي كان يعمل معه في الفترة الأخيرة.

منعت الصحافة من التكلم عن الجريمة، وتم وضعها على أعلى درجات السرية، حتى يتم الكشف عن القاتل. تم التعاون الودي بين إدارة مباحث أمن الدولة والشرطة في جمع التحريات لمعرفة الجاني. كان (عمر) يتلقى التقارير أولًا بأول، ونسخة من المحاضر التي تقوم بها الشرطة، وتقارير المتابعة التي تقوم بها أمن الدولة، وهو الآن ينتظر التقرير النهائي من داخل المعامل الجنائية، حيث أرسل في طلب الحصول على نسخة من التقرير عند خروجه، وها هو ينتظر أحد رجاله حتى يأتي له بالتقرير.

مرت الدقائق بطيئة، و(عمر) يحرق سيجارة وراء الأخرى، حتى دق الباب ودخل المخبر الذي أتى بالتقارير، فأمسكها (عمر) بلهفة، وأشار للرجل بالانصراف، وفتح التقارير، ثم أخذ يقرأها..

تقرير الفحص الأول للجثة في مكان الجريمة

(انتقلت أنا (محمد إبراهيم عبد العزيز) و (عيد أحمد) و(مينا مجدي جورج) و(محمد عادل فوزي) ضمن فريق

البحث الجنائي يوم ٤/ ٢٠٠٩/١١ الساعة الثانية وعشرون دقيقة إلى موقع الحادث، وهو العقار الذي يقطن فيه المجني عليه بشارع (.......) بمنطقة بولاق، وبدأنا معاينة الجثة، وكانت كالآتي:-

- الجثة تجلس على مقعد من الخشب وأمامها منضدة من الخشب مخصصة للطعام، والجثة تمت إراحة ظهرها للخلف، ووضع اليدين على المنضدة.

- الجثة لرجل في الخمسينات من عمره، أسمر اللون، ذي شعر خشن، ويمتلك شاربا ضخما، ويرتدي قميصا من القماش بني اللون، وسروالا قماشيا أسود اللون، وحذاء جلديا، وجوارب سوداء.

- من الفحص البسيط، لا وجود لآثار اختناق على رقبة القتيل، أو طعنات سكين، أو قطوع، أو تمزق بالملابس، عدا الدم الذي يغرق ملابسه، ومصدره هو وجهه.

- خيط من الدماء يخرج من أذنيه وعينيه وفمه، وبالفحص تم ملاحظة استخدام آله حادة رفيعة لثقب الأذنان، وتم استخدام آله حادة تشبه المشرط الجراحي في

قطع جفون العينين، ثم إخراجهما من محجريهما، وقطع الشرايين الموصلة للمخ، وبنفس الآلة الحادة قطع اللسان.

- إصبع القتيل السبابة ملطخ بالدماء، وأمامه على المنضدة كتبت ثلاث كلمات بدمائه، كل كلمة تحت الأخرى: (لا أرى، لا أسمع، لا أتكلم).

- في مناطق القدم والأيدي والبطن والأكتاف، وجدت أثار حبال، يبدو أنه تم فكها بعد موت القتيل.

- هناك آثار قيء تحت أرجل القتيل، مما يعني أن المنضدة كانت بعيده عنه في البداية، وقد قربها القاتل منه بعد فترة.

- من الفحص في موضع الحادث، تبين أن القتيل قد مات عن طريق نزف الدم من شرايين العين والأذن))

انتهى (عمر) من قراءة التقرير، وقام بمشاهدة الصور التي تم التقاطها وهي تظهر (لطفي) جالسًا، والدماء تغطيه، ثم صور للمنضدة التي كتبت عليها بدمائه، لا أرى لا أسمع لا أتكلم، وقد كتبوا بخط متناسق، أي أن هناك أحد ما أمسك يد (لطفي) وحركها ليكتب بأصابعه تلك الكلمات .

قلب (عمر) الأوراق، حتى وصل إلى ورقة فحص البصمات، ليجد أن الفحص سلبي تمامًا، ولا يوجد بصمات

سوى للقتيل، وثلاثة بصمات منهم واحدة لزوجته، التي ظهر أنها تزوره من وقت لآخر لتعتني بالمنزل، وبصمات زميله الذي اقتحم الشقة، وبصمات لشقيقه الذي كان يزوره أيضًا من وقت لآخر، مما يعني أن القاتل قد ارتدى قفازًا منذ بداية دخوله الشقة، وحتى خروجه منها، وعلى الأرجح أنه لم يتخلص من القفاز في الشقة، أو بجانب الشقة أو في المنزل بأكمله.

قلب في الأوراق مرة أخرى، حتى وصل إلى تقارير أخرى فرعية لرجال المعمل الجنائي، فوجد أشياء غريبة.

(بعد أن تم التأكد من استخدام أدوات الطهي، هناك بقايا بهارات في المطبخ متناثرة، ويبدو أن القتيل لم يكن يستعملها وهي على الترتيب (فلفل أسود شديد الكثافة - ورق لورا - زنجبيل - شطة - قرنفل) ويبدو أنه خلطهم بعض أثناء الطبخ، حيث وضع إناء على النار به الماء، وتم سلق العينين التي انتزعهما القاتل من الجثة، واللسان، ثم تمت التصفية من المياه، وقليهم على النار، مع إضافة التوابل أثناء القلي ببعض الزيت، ثم استخدم طبق لوضع اللسان والعينين، التي تحولتا لعجين بعد الطبخ، وتمت إضافة النكهات مرة أخرى، ونقل القاتل الطبق أمام القتيل، وأكل أمامه مستخدمًا شوكة وسكينا، وبعد أن انتهى قام بمسح الشوكة

والسكين بمنديل ورقي، وقد ترك قطعة من عين القتيل المطبوخة. هذا عما وجد في المطبخ، أما الشيء الذي تكرر في كل مكان هو تهشيم مرآة الحمام، ومرآة غرفة النوم بدون سبب، فلم يستعمل الزجاج المهشم في شيء، ولم يتحرك من موضعه. أما عن دخول القاتل لباب الشقة، فأصبح ذلك غير واضح، بعد تهشيم باب الشقة بواسطة زميل القتيل، ولكنه أفاد أن الباب كان موصدًا بطريقة طبيعية عند اقتحامه).

كانت هناك صور أخرى مرفقة مع التقرير، أخذ يتأملها وهو ينظر للمرآة المهشمة في الصورة بدهشة، متسائلًا عن سبب تهشيم المرايا بدون سبب!!

(تقرير تشريح جثة المجني عليه)

(تقرير الوفاة)

تاريخ الوفاة: ٤ / ١١ / ٢٠٠٩

موعد الوفاة: من الساعة ٤ صباحًا إلى ٥ صباحًا

بعد المعاينة الدقيقة لملابس المجني عليه، وجدت بقع دموية منتشرة على قميصه، وبقع صغيرة منتشرة على السروال، وثلاث بقع على القميص نتيجة قيء المجني عليه، واختلاط القيء بالدماء، مما يعني أن لسانه قد قطع بآلة حادة، ثم تقيأ المجني عليه. بقع الدماء على ملابسه لم تأتِ نتيجة قطوع

شريانية في جسده، أو وجود أعيرة نارية، أو استخدام آلة حادة، بالنسبة للرأس، وهو أكثر الأماكن التي تواجدت بها الدماء، فبالنسبة للعين، تم استخدام مشرط جراحي لقطع الجفون في البداية، وقد كان المجني عليه إما في حالة تخدير أو حالة وعي، وذلك لأن اليد التي قطعت الجفون من الممكن أن تكون قد وجدت مقاومه من المجني عليه، أو أن اليد التي قطعت الجفون كانت في حالة ارتعاش، ثم قطع الجاني اللسان، ولكن بحرفة عالية فيبدو أن المجني عليه بكل تأكيد كان في حالة تخدير كاملة. وبعد قطع اللسان بمدة، تم إدخال الجسم الطويل المدبب للأذن بمدة لا تزيد عن خمس دقائق من قطع اللسان. ثم ترك المجني عليه لينزف، ولكن رأيي أن سبب الوفاة تمت بعد ساعتين من ذلك العمل، والوفاة جاءت نتيجة صدمة عصبية أصيب بها المجني عليه، جعلته يدخل في شبة غيبوبة، ويبدو أن وعيه قد عاد أكثر من مرة قبل أن يموت، ولكنه وجد نفسه فاقدًا لحواسه، فيعود مرة أخرى للغيبوبة، والتي انتهت بتوقف القلب، وذلك يعني أن النزيف لم يقتله، ولكن الصدمة هي ما قتلته.

تم معاينة الأظافر والشعر واليد، وباقي أجزاء الجسد، ثم غسلت الجسد جيدًا، وقمت بحلق شعر الرأس، لأكتشف إن كان هناك علامات ضرب على الجمجمة من الأعلى بشيء ثقيل، ووجدت بالفعل علامة استخدام شيء ثقيل على

مقدمة الجمجمة، وهناك علامات تقييد المجني عليه بالحبال بقوة شديدة فترة طويلة، ومن المؤكد أن الحبال قد فكت بعد عملية التعذيب بمدة وجيزة.

في الدم، وجد آثار لجرعة مورفين قليلة، قد دخلت عن طريق محقن في الذراع اليمنى من جسد المجني عليه، بجانب مادة أخرى قليلة النسبة من المواد المخدرة، جرعة المورفين هي التي جعلت القتيل في حالة شبه غيبوبة، وربما منعت عنه الكثير من إحساس الألم أثناء التعذيب، ولكن لقلة الجرعة لم يغب المجني عليه عن الوعي تمامًا، وظل مدركًا للكثير من حوله.

أغمض (عمر) عينيه قليلًا من شدة الألم، الذي بدأ بها بسبب قلة نومه الأيام السابقة، ثم عاد وفتحها ثانيًا، وهو يقلب مرة أخرى بالأوراق والصور بتمعن، ويعود بذاكرته بسرعة لمحاضر الاستجواب، التي شاهد نسخ منها، ولم تدل على شيء، ولكنه قال في داخله بغضب " إن من فعل ذلك بلطفي فعله بدافع الانتقام، وهذا المجرم سيدفع الثمن قريبًا."

***

سحب الرجل نفسًا آخرًا من الشيشة، ثم تبعه برشفة من كوب القهوة الموضوع بجانبه، وهو ينظر إلى العمارة التي أمامه، والتي يبدو أنها في آخر مراحل التشطيب، ولكنها لم تكتمل.

ربما تلك الشقة هي الوحيدة التي اكتملت في العمارة بأكملها.
نظر الرجل لجانبه وهو يحدث صديقه قائلًا بدهشة:

- " شيء ولا الأفلام الأجنبي، تقول إنك تصدق حكاية شقة (آدم) هذه. قل كلام غير هذا، فأنت متعلم يا صاحبي."

- " في البداية سمعت مثلك عن حكاية تلك العمارة، كما سمع الباقين، عن (آدم) الشاب التي تزوج حبيبته (بتول)، وأنجب منها (نور)، ثم فجأة اختفى الجميع، ليظهر (آدم) بعد أيام وهو كالمجنون ليدخل شقته، فيجد الطفلة ماتت من الجوع.. ثم يختفي مرة أخرى، وفي نفس الوقت تظهر جثة (بتول) وهي بقميص نومها، وقد قتلها أحدهم بعد أن اغتصبها.. يدخل (آدم) مستشفى الأمراض العقلية، ويموت فيها.. ومن هذا اليوم تبدأ الأحداث الغريبة بالشقة."

تنحنح الرجل وهو يرشف قليلًا من كوب القهوة، ويقول:

- " سمعت الكثير من الأساطير حول الأحداث الغريبة مثل سماع أصوات بكاء من الشقة، وأصوات تحرك أثاث وأضواء حمراء وأشياء من تلك التخاريف، ولكن حتى الآن ليس هناك ما يثبت هذا."

رد صديقه بسرعة قائلًا:

- " في ليلة كهذه، كنا نجلس بعد منتصف الليل على تلك القهوة، وكان عددنا ٦ أشخاص، وسمعنا جميعًا أصوت بكاء تأتي من الشقة، وضوء أحمر يخرج من النافذة، فصعدنا كلنا العمارة حتى وصلنا إلى الشقة، واسترقنا السمع، فلم نسمع شيئًا.. وعندما نزلنا مرة أخرى كان الضوء الأحمر انتهى، وأصوات البكاء اختفت.. في اليوم التالي، جاء صاحب المنزل، وقام بفتح الشقة أمامنا، ودخلناها، ولم نجد شيئًا ما يريب سوى الأثاث القديم، الذي لم يخرج من الشقة بعد، والكثير من الصناديق القديمة المغلقة.

ومر أسبوع آخر، وحدث ما حدث، ولكن هذه المرة لم ننتبه لتلك الأحداث، أو لصوت الأثاث الذي سمعناه ينتقل من مكانه، وبعض أصوات الطرق على النافذة.. بسبب تلك الأحداث الغريبة لم يسكن أحد في تلك العمارة منذ تلك الحادثة أكثر من أيام، حتى من قاموا بحجز شقق بها، لم يكملوا تشطيبها، وتركوها معلقة هكذا."

نظر الرجل مرة أخرى للعمارة وهو يسحب نفسًا آخر من الشيشة، ويقول في باله:" ربما كانت إشاعة، وربما كانت حقيقة، ولكنها مازالت لغزًا كبيرًا."

***

٢

الثلاثاء ١٠/ ١١/ ٢٠٠٩ (الساعة ١٢:٣٥)

برغم من سدول الليل، ولكن شارع محمد فريد مازال مليئًا بالحركة والحياة، وكأنه الظهر. فالليل في شوارع وسط البلد يبدأ قبل الفجر، حين يعم السكون الشارع؛ ولكن قبل ذلك تظل المحلات ساهرة، والناس سائرين، والأطفال يلعبون، والحياة تستمر. في أحد الشوارع الجانبية، من الشارع الرئيسي، هناك شاب غير واضح الملامح يسير ببطء وهو يعرج قليلًا، ولكن بدون صوت. الصحة تبدو على جسده، والهدوء يبدو على وجهه، الذي كان ينظر إلى الأرض قليلًا، وهو يسير في انكسار أو خضوع لأي شخص يراه، وكأنه يحمل هموم الدنيا على كتفيه.

دخل في الشوارع الجانبية، وظل يسير حتى دخل أحد الشوارع، ووقف أمام منزل قديم، ثم فتح باب المنزل الحديدي، ودخل بهدوء وثقة.

***

نحن الآن في غرفة النوم المظلمة، وعلى الفراش رجل وزوجته يغطون في النوم، لا يشعران بباب الغرفة وهو يفتح.. لا يشعران بالشاب الذي يدخل منه وهو يعرج قليلًا.. لا

يشعران وهو يقف بجانب الزوجة التي تنام وقد ظهر جزء من ذراعها، ثم يدب المحقن الذي يحمله في ذراعها. فتحت عينيها فجأة، ولكن الشاب كان سريعًا، فقد أفرغ المحقن، ووضع يده على فم الزوجة بسرعة، ليكتم صرختها التي كانت تستعد لتخرجها.

لم يشعر الزوج بزوجته التي كانت تهتز للحظة، ثم فجأة شعرت بوعيها يغيب عنها، ورأسها يثقل ويغيب في الظلام. ربما شعر الزوج في تلك اللحظة باهتزاز زوجته، ففتح عينيه بتثاقل وهو ينظر لزوجته.. فجأة وجد أحدهم يكيل له لكمة قوية، سمع معها صوت تحطم أنفه، ولكنه ما لبث أن حاول استيعاب الموقف، ونهض بتثاقل، لكنه شعر بشيء يصطدم برأسه، ويجعله يتثاقل، ويبدأ في الغياب عن الوعي. ولكن قبل أن يغيب عن الوعي، شعر بشيء يشبه المحقن يدخل ذراعه.

بعد أن غاب الزوج عن الوعي، تراجع الشاب، الذي يعرج، للوراء، ثم نظر خلفه إلى مرآه غرفة النوم. لم تمر لحظة وهو ينظر فيها للمرآة إلا وقد دارى وجهه بيديه، وكأنه يخفي وجهه بسرعة، ثم اقترب وهو مازال يداري وجهه من المرآة، وبعد اقترابه بمدة كافية، أمسك زجاجة عطر، موضوعة على تسريحة المرآة، ثم قذفها على المرآة، فتهشم الزجاج.

***

بدأ يفيق، ويحاول أن يتذكر ما حدث قبل لحظات الإغماء؛ لكن قبل أن يفتح عينيه، اخترقت أنفه رائحة طعام شهي، تشبه رائحة شواء اللحم، ولكنها رائحة أثقل بكثير.. يبدو أن هناك الكثير من التوابل التي أضيفت لهذا الشواء.

حاول أن يفتح عينيه، لكنه شعر بثقل جفونه، مع تنميل تام في أطرافه، فلا يشعر بيده ولا قدمه، لكن حاستي السمع والشم كانتا تعملان على أكمل وجه، فأنفه تجد رائحة شواء، وأذنه تسمع صوت احتكاك شوكة بطبق، ما ثم صوت مضغ.

بدأ الثقل في جفونه يضيع تدريجيًا، حتى استطاع بمجهود أن يفتح عينيه، ولكنه لم ير شيئًا في البداية، وكأن على عينيه طبقة من الدموع، تحجب الرؤية، وتجعلها صعبة.

مرت ثوانٍ، ثم بدأت الرؤية تظهر شيئًا فشيئًا.. ولكن مازالت بعض الرؤى غير واضحة. إنه مازال في منزله، وهذه هي مرآة غرفة الطعام التي يعرفها.. ولكن هل الرؤية مازالت غير واضحة لعينيه، أم أن المرآة مهشمة؟

سمع صوت المضغ مرة أخرى، ولكنه استطاع تحديد الاتجاه الذي يأتي منه صوت المضغ.. إنه على يساره. ولكن المشكلة هو شعوره بخدر في أطرافه، فلا يستطيع النظر ليساره. حاول بشيء من الجهد أن يحرك رقبته لليسار، حتى يرى مصدر

صوت المضغ، ولكنه فشل في أول مرة.. حاول مرة أخرى، وهذه المرة نجح في تحريك رقبته حركة بسيطة لليسار، ليجد شيئا غريبا.

مازالت الرؤية مشوشة، ولكنه قادر على التمييز، حيث رأى رجلًا يجلس على أحد أطراف منضدة الطعام، وأمامه طبق صغير، داخله شيء ما يأكله، وهناك طبق آخر كبير أمامه، يحتوي على شيء ما، يبدو أنه قطع لحم مشوي. الرجل يأكل باستمتاع وهو ينظر لطبقه، وفجأة نظر أمامه، لتصطدم عيناه بعين الرجل، الذي خدرت أطرافه.. ثم ابتسم !!!!

كل من الرجلين ينظر للآخر، ولكن الفرق أن الرجل الذي يأكل ينظر له بابتسامة، أما الآخر فيحاول أن يتبين ملامح الرجل الذي يأكل بصعوبة، وكأنه لا يرى ملامحه.

توقف الرجل عن المضغ، وهو مازال ينظر له مبتسمًا، ثم قال:

- " قطعة لحم شهية، أشبعت جوعي."

لم يفهم الرجل الذي تم تخديره ما المقصود من العبارة فأكمل الرجل:

- " أعذرني.. وددت لو تشاركني في تذوق ذلك اللحم اللذيذ، ولكن أعرف أنك ستمانع قليلًا لأسباب شخصية."

قال الرجل العبارة السابقة، ثم أشار بإحدى يديه في اتجاه معين في جسد الرجل الآخر، فما كان من الرجل الآخر إلا أنه حاول بشيء من الجهد أن يحرك رقبته، لينظر للموضع الذي أشار له الرجل الذي يأكل اللحم.

بعد مجهود، استطاع تحريك رقبته لأسفل قليلًا، ليجد أن هناك لونًا أحمرًا يقابل عينيه أثناء نزولها لأسفل. فجأة شاهد الرجل شيئًا ما عند قدمه، فاتسعت عيناه برعب، ونظر باتجاه الرجل الآخر بسرعة.

لقد رأى نفسه لا يرتدي سروالا، وقدماه مبتورتان من عند الركبة، وفخذاه مقطعان، وأجزاء من لحمهم غير موجودة، وعظام الفخذ يظهر جزء منها له !!!

نظر مرة أخرى للرجل الجالس، ولكن مازالت الرؤية مشوشة، وكأنه تحت تأثير مخدر.

لا يعرف.. هو يعتقد أنه يعرف صاحب هذا الوجه، ولكن تركيزه مازال غير كامل حتى الآن. أغمض عينيه للحظات، يحاول أن يسترجع الأحداث الأخيرة. هو لا يتذكر شيئًا !! ولكنه مازال في شقته !!

- " (علي حسن عثمان)، ألا تتذكرني يا سيادة الرائد؟ "

٥

بدأ الإدراك المشوش ينقل لـــ (علي) صوت الرجل الجالس، وكأنه يعاني من ثقل في اللسان، وبطء في الكلمات، وصوت مبحوح مثل من يعانون مشكلة في الأحبال الصوتية.

حاول أن يتكلم، فوجد لسانه ثقيلاً جدًا، والكلمات تخرج بصعوبة:

- " من أنت ؟ ماذا تريد مني ؟ "

أكمل الرجل الجالس مضغ شيء ما في فمه، وهو يخرج أصوات من فمه دلالة على استمتاعه بمذاق اللحم، ثم قال:

- " كي لا أكثر عليك التفاصيل، هل تتذكر قضية (آدم محمد عبد الرحمن)، الشاب الذي اغتصبتم زوجته، وألقيتم بجثتها في مقلب القمامة؟"

قال تلك العبارة وهو ينهض من المقعد، ويسير حتى صار خلف (علي)، الذي قال بعدم فهم:

- " ماذا تقول؟"

وضع الرجل يده على كتف (علي)، والذي لم يشعر بملمس يده، بل شعر بتنميل في أطراف جسده، في حين قال الرجل بصوت خفيض:

- " هل تريد أن أنعش ذاكرتك؟ في ليلة جميلة منذ عامين، تحركت قوة من مباحث أمن الدولة، وقامت في ليلة الثلاثاء بالقبض على شاب يدعى (آدم)، وقمتم بإحضار زوجته، وتركتم طفلته في الشقة، وهناك قمتم بتعذيبه كي يعترف بتهمة تفجير ملهى ليلي، وعندما رفض اغتصبتم زوجته أمامه بدون رحمة.. "

***

- " ماذا يحدث، وأين أنا، ومن أنتم ؟ "

قال (علي) بنبرات حادة:

- " لا تسأل أسئلة أيها الكلب. أنت هنا لترد على أسئلتنا نحن. "

***

نهض (علي) من مجلسه، واقترب من (آدم)، الذي وضع يديه أمام وجهه في خوف، فركله (علي) في وجهه بعنف، مما جعل رأس (آدم) يرتطم بالأرض، وفي تلك اللحظة وضع (علي) حذاءه على وجه (آدم)، مجبرًا إياه أن يظل وجهه على الأرض، وحذاء (علي) فوقه وهو يقول:

- " أنت الذي اخترت الطريقة القادمة في التعامل يا ابن الكلب. "

نهض (علي) من مقعده وهو يشعل سيجارة، ويقف بالقرب من (بتول)، التي حاولت أن تخمش وجه (حسن) بأظافرها وهي تصرخ، ولكن (علي) وضع قدمه فجأة على ساعدها الأيمن، ليثبته في الأرض، ثم بقدمه الأخرى ثبت ساعدها الأيسر على الأرض، وهي تئن محاولة تحرير يدها من أقدام علي، الذي أخذ يضحك وهو يستنشق أنفاس السيجارة.

***

ظلت عين (علي) شاخصة، وهو يتذكر أحداث تلك الليلة، ومن خلفه وضع الرجل يده اليمنى على كتف (علي)، وهو ينظر إليه بغضب. مرت لحظات، ثم ارتفع صوت الرجل الهادئ وهو يقول بنبرة غاضبة:

- " هل تذكرت ما فعلت في تلك الليلة؟"

شعر (علي) بجفاف في حلقه، فحاول أن يبتلع ريقه، ثم قال بصوت مهزوز:

- " من أنت؟ وما علاقتك بذلك اليوم؟ "

وضع الرجل يده اليسرى على الكتف الآخر لعلي، فبذلك وضع كلتي يديه على كتفيه، ثم قال وهو يضغط بيديه على أكتافه:

- " في تلك الليلة استمتعت وأنت ترى (بتول) و(حسن) يهتك عرضها.. كنت أرى علامات التلذذ على وجهك. حاولت أن تداريها، ولكنك فشلت. كنت تريد أن تكون موضع (حسن) ولكنك جبان، اكتفيت بأن تقف بقدمك على يديها، كي تمنعها من المقاومة. حتى وهي تقاوم مغتصبها تمنعوها.. تأكلون لحمها وتمنعوها من الصراخ.. تستمتعون بألمها، وتمنعوها من الاعتراض.. لقد ظهرت النشوة على وجهك وأنت تقف على يديها وهي تحاول الإفلات منك. قدمك، التي وضعتها في وجه (آدم) كي تهينه.. قدمك، التي وضعتها لتمنع (بتول) من الدفاع عن عرضها.. تلك القدم اشتهيت أن أتذوقها منذ ذلك اليوم. ما أجمل طعمها، وأنا ألوك لحمها اللذيذ. لا أعرف يا سيادة الرائد ماذا حدث لي وأنا آكل تلك الوجبة الشهية.. إنه نوع من النشوة وراحة القلب، وكأن هناك نارًا مشتعلة في قلبي، وأكل لحم قدمك يطفئها."

شعر (علي) بالغثيان وهو ينصت لكلمات الرجل الغريب حتى انتهى منها، فقال بحزن:

- "أنت.. (آدم)؟"

قهقه الرجل ضاحكًا بصوته المبحوح، وهو يحرك يديه على رقبة (علي)، ويتلمسها وهو يقول:

- " (آدم) .. يا له من شاب طموح.. لا يا سيادة الرائد، أنت لا تتذكر جيدًا.. فأنتم قتلتم (آدم) تلك الليلة، وصنعتم بدلًا منه مسخًا بشعًا.. صنعتم غولًا يشتهي اللحم . لقد صنعتم... "

توقف الرجل عن الحديث لحظة وهو يمسك بيديه كتف (علي) ثم يقول بنشوة:

- " صنعتموني. "

هنا شعر (علي) بشيء يخترق كتفه الأيمن، لقد قضم الرجل بأسنانه كتف (علي)، الذي لم يشعر بألم بسبب التنميل الذي لم يغادر جسده بفعل المخدر.

•••

- " والآن هل تعرفت عليّ؟ "

قالها الرجل والدماء تقطر من فمه، بعد أن قضم قطعة من جلد كتف (علي)، والذي قال وهو في حالة من الضعف والوهن:

- " أرجوك يمكنني أن أعوضك عما فعلناه معك.. فقط اتركني لأعيش. "

- " إذًا أنت تعترف بأنكم قضيتم على عائلة كاملة في تلك الليلة؟"

رد (علي) وهو يكافح الشعور بالغثيان قائلًا:

- " لم نقتل أحدًا، فقد ماتت الفتاة بسبب قلبها، ولم يقـ...... "

قلب الرجل المقعد فجأة على جانبه وهو يقول بغضب:

- " اخرس.. "

وقع المقعد على الجانب الأيسر، وشعر (علي) باصطدام رأسه بالأرض، ولكنه لم يشعر بألم الصدمة بسبب هذا المخدر الذي لا يعرف نوعيته. بعدها سمع صوتا من خلفه، وعرف أن الرجل يجلس قريبًا منه، وهو يحدثه بسرعة بصوته الخفيض:

- " تقول إن ذنب موتها هي وعائلتها ليس في رقبتكم!.. اغتصبها زميلك حتى صعدت روحها إلى ربها، ثم تقول ليس ذنبكم!.. اعتقلتم زوجها بلا سبب لأيام، حتى ماتت طفلته في المنزل من الجوع، وتقول ليس ذنبكم!.. أصيب (آدم) بالجنون، وانتهت أحلامه وطموحاته، وتقول ليس ذنبكم!"

ساد الصمت لدقيقة كاملة حتى قال الرجل:

- " نسيت أن أبارك لك على زواجك.. مباركتي متأخرة قليلًا، ولكني سأعوض ذلك، والآن يمكنني أن أتركك لتعيش، فهذا أسهل ما يكون، وسأبلغ الإسعاف لتأتي حالًا، وسيفعلون اللازم لينتهي الموضوع، وتعيش باقي حياتك.. ولكن مقابل ذلك ستدفع ثمنًا بسيطًا."

رفع (علي) عينيه للأعلى محاولًا شحذ تركيزه وهو يستمع للرجل الذي قال:

- " شعرها الأسود الطويل، وعيناها البنيتان، وجسدها الممشوق أعجبني. نعم هي زوجتك.. لقد شدتني منذ اللحظة الأولى، وأنا وبكل صراحة أريدها الآن. أنت صديق قديم، ولن أخفي عليك حاجتي واشتياقي إلى جسد زوجتك. قديمًا يا صاحبي أخفيت طمعك في جسد (بتول) والآن ولأنني صريح لا أخفي طمعي في زوجتك. سأنهض الآن لأدخل لغرفة النوم، وزوجتك مازالت بقميص نومها المثير. هي نائمة بفعل المورفين، ولن تشعر بشيء.. سأفعل ما أريده بها على فراشك الدافئ.. سأمزق ملابسها برومانسية شديدة، وأفعل ذلك معها.. سأفعله مرة واثنتين وثلاثة وأربعة وخمس مرات.. وسأصل إلى قمة نشوتي معها.. يا إلهي.. ما أجملها من متعة سأحصدها الآن!"

أخذ (علي) يزوم من فمه بوهن، وهو يسمع عبارات الرجل، ويحاول أن يحرك جسده بغضب، ولكن ضعف قواه يمنعه.

- " ماذا يا صاحبي هل تريد شيئاً؟ نلتقي بعد ساعة من الآن، بعد أن أكون أخذت كل ما أريد منها، وأعدك أنني سأعود إليك لأنقذك، كي تعيش مع زوجتك حياه سعيدة هانئة."

انسابت الدموع من عين (علي) وهو يزوم، ويحاول أن يصرخ، ولكنه يفشل في كل مرة في إخراج الصرخة من حلقه؛ في حين نهض الرجل، ومر من على جسد (علي) الملقى على الأرض، وهو يتجه إلى غرفة النوم وهو يعرج قليلاً .. نظر (علي) للرجل، الذي يسير نحو الغرفة وهو يحاول أن يهز جسده ويصرخ، ولكن صرخاته لا تخرج، حتى اختفى الرجل من أمامه، عندما دخل للغرفة.

مرت نصف ساعة و(علي) لا يكف فيها عن محاولة الصراخ، والدموع تذرف من عينيه في سرعة شديدة، وهو يقول كلمات بسيطة بين الحين والآخر، محاولاً التوسل للرجل، ولكن كلماته كلها خرجت بصوت ضعيف، يكاد هو يسمعه بصعوبة. أخذ يتخيل زوجته وهي تغتصب الآن، وهو مقيد في

مقعده. ظل في تلك الحالة إلى أن أخذت محاولاته في الهدوء شيئًا فشيئًا، وانتهى الصوت الذي يخرجه من حلقه، وخبتت حركته البسيطة تمامًا، وظلت عينيه شاخصة، والدموع تغلفها..

***

الثلاثاء ١٧/ ١١/ ٢٠٠٩ (الساعة ١١ مساءً)

- " هل عندك بسكويت بالشيكولاتة يا عم (صابر)؟ "

قالت العبارة تلك الطفلة الحسناء، التي لم تتجاوز الخامسة وهي تقبض بيدها على جنيه قديم، أعطته لها والدتها لتحضر الحلوى التي تحبها، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى بقالة عم (صابر) في آخر شارعهم. ابتسم (صابر) لها وهو يناولها الحلوى قائلًا بابتسامة:

- " تفضلي طلبك ككل ليلة يا عروسة."

ناولته الطفلة الجنيه، وأخذت الحلوى، وجرت وهي سعيدة، لتذهب للمنزل، كي تأكل الحلوى بجانب والدتها، التي كانت تنظر لها من نافذة شقتها، كي تتابعها حتى تعود للمنزل مرة أخرى.

كان عم (صابر)ـ كما يطلق عليه شباب الحي ـ يمتلك محل بقالة منذ عام، قام بافتتاحه بعد تقاعده من عمله، الذي

تضارب الأقوال عليه فالبعض يقول إنه كان يعمل مخبرا بالشرطة، والبعض يقول داخل مباحث أمن الدولة، والبعض يقول إنه كان صولًا في الشرطة.. لا يهم ما كان، ولكنهم يشهدون بطيبته، وحبه الشديد لأطفال الحي، بسبب أنه لم يرزق بأبناء.

كان عم (صابر) يفتح البقالة كل يوم، حوالي الساعة العاشرة صباحًا، ويغلق العاشرة مساءً أو الحادية عشر على الأكثر. المحل في أسفل العمارة التي يسكنها، وقد استأجره من صاحبة المنزل منذ عام ونصف، وأقام فيه بعض التجديدات، ثم حوله لمحل بقالة متواضع. عندما اعترضت زوجته على تركه العمل بلا سبب لم يتأثر.. عندما ناشده الأهل والأقارب بألا يترك عمله وهو لم يتعد الخمسين بعد، ويمكنه أن ينتظر فيه لعشر سنوات أخرى لم يتأثر.. حاول الكثيرون معرفة السبب، الذي جعله يقرر ذلك فجأة، ولكنهم فشلوا، وظل الحال هكذا، حتى اقتنع الجميع برغبته، وبالفعل قدم على معاش مبكر، واستقر في حياته الجديدة.

نظر (صابر)لساعة يده، التي تجاوزت الحادية عشر بقليل، يجب عليه أن يغلق المحل الآن، فزوجته تنتظره على العشاء. أغلق المحل، وأدخل الصناديق التي تحتوي على الحلوى والطعام

لداخل المحل، ليغلقه بذلك القفل الضخم، ثم يصعد لشقته بالطابق الخامس.

بعد أن دخل الشقة، وغسل يده ووجهه، خرج إلى الصالة حين كانت زوجته تضع طعام العشاء على المنضدة، فذهب إلى المطبخ ليساعدها في نقل الأطباق، ثم جلسا وهما يتحدثان عن أحوال بعض الأقارب ومشاكلهم، وظلا يتكلمان حتى انتهيا من العشاء، فدخل (صابر)الحمام ليغسل يديه، ثم خرج واتجه إلى الصالون، وأمسك بالمصحف، الذي يضعه على المنضدة الصغيرة، وبجانبه نظارة القراءة التي ارتداها وهو يفتح المصحف، ويقرأ فيه في حين أن زوجته جلست أمام التلفزيون، وهي تتابع مسلسلًا، وقد خفضت الصوت كي لا يشتت زوجها عن القراءة.

***

(الساعة ٢:١٠ صباحًا)

شعر (صابر) بمن يهزه ببطء، ففتح عينيه، ولكن ظلام الغرفة منعه من رؤية من يجلس على فراشه. حاول أن يسترق السمع، بعد أن فتح عينيه، ليسمع أي صوت، فربما كان يحلم. ولكنه سمع من يقول بصوت خفيض مبحوح، وبحروف بطيئة:

- " لا تحاول أن تتحرك، أو سأضطر إلى قتلك قبل أن تفكر بالتحرك."

سمع (صابر) العبارة، وبدأ يشعر بالخوف يختلط بالتحفز، وشعوره القديم بالقوة عندما كان يعمل مع المجرمين يعود إليه مرة أخرى، فحاول أن يحرك يديه بخفة، كي يعرف مكان من يحدثه، حتى اصطدمت يديه بيد رجل، فأمسك بها بقوة، وهو يوجه لكمة لصاحبها بيده الأخرى، وبالفعل اصطدمت اللكمة بوجه صاحب اليد، محدثة صوتًا عنيفًا، لاصطدام قبضته بعظام وجهه. ولكن الرجل حرر يده التي أمسكها (صابر) بسرعة، فحاول (صابر) أن يبحث عنه مرة أخرى، ولكنه شعر بقبضة تصطدم بأنفه بعنف، فتراجعت رأسه للخلف قليلًا، ثم عادت نفس القبضة لتصطدم برأسه مرة أخرى، ولكنه تلك المرة لم يتحمل، وسقط في غيبوبة، لم يستيقظ منها إلا بعد مرور دقائق.

في البداية، شعر بنشاط في جسده فجأة، وأنه يريد أن ينهض. ولكنه استوعب سريعًا أنه مكبل بالحبال في مقعد الأنتريه القديم، الموضوع في الصالة. فتح عينيه بسرعة، ليجد التلفزيون يطالع عينيه مباشرًا، ولكن شاشته محطمة، وأيضًا لاحظ أن المقعد اقترب من التلفزيون عن سابق، مما يعني أن أحدهم قد حركه للأمام لغرض ما.

- " لم تحقن كرملائك بمادتي السحرية بعد."

نظر (صابر) خلفه بسرعة باتجاه الصوت، واستطاع أن يشاهد خيالًا أسودًا، يجلس من خلفه، ولكن رأسه لن يمكنها الالتفاف أكثر من ذلك، كي يمكنه تحديد شخصية من يجلس خلفه.

- " لماذا فعلت ذلك بنفسك؟ لماذا استقلت من عملك؟ "

قالها نفس الصوت المبحوح الخفيض، فقال (صابر)بسرعة:

- " من أنت؟ ولماذا فعلت ذلك؟ هل أنت لص؟ "

قهقه صاحب الصوت وهو يقول:

- " لم أسمع عن اللص الذي يتعامل بهذه الطريقة يا... يا عم (صابر)."

نهض صاحب الصوت، واتجه لصابر، الذي كان يحاول تحرير إحدى يديه من الحبال التي قيد بها، ثم اقترب أكثر وهو يقول:

- " كنت أمر بالقرب من منزلك، وشعرت بالجوع، فجئت إليك.. هل أخذت ؟ "

توقف (صابر) عن الحركة، وهو ينصت لصاحب الصوت. لم يكن غبيًا.. فهم أن من يحدثه جاء له شخصيًا، وليس لسرقته.. ولكن ما معنى جوعه؟

قال (صابر) بصوت أراد أن يجعله ودودًا وهو يحدث الرجل خلفه قائلًا:

- " يا بني إن ما تفعله خطأ كبير، ولكن مازال يمكنك إصلاحه. قل لي ماذا حدث، ولماذا تفعل بي ذلك؟"

ساد الصمت لحظات، ثم تكلم الرجل قائلًا:

- " سأراهن على أنك ستتذكر كل شيء بمجرد أن أذكر لك الاسم.. (بتول).."

لم يظهر على (صابر) أي علامات من التغيير، ولكنه نظر للأرض بهدوء، وهو يسترجع الأحداث بسرعة:

***

قرب الرجل المطواة من كتف (آدم)، وأحدث جرحًا لا يزيد عن اثنين سنتيمتر به بهدوء وبحرفية شديدة، و(آدم) يصرخ ويتلوى، ولكن الآخر كان يكبله بإحكام.. ثم قرب الرجل المطواة من موضع آخر في كتفه، وأحدث نفس طول الجرح السابق، ويبدو أنه جرح سطحي.

فعل الرجل الممسك بالمطواة ذلك ما يقرب من عشرين مرة، في يده وأكتافه وبطنه وضلوعه، و(آدم) يكاد يموت من الألم، الذي يحرق خلاياه العصبية، وهو يتأوه في كل جرح يحدثه..

فجأة ابتعد الرجل الممسك بالمطواة، ليتقدم الرجل الثالث وهو يحمل في يده زجاجة عطر من المسماة بالعامية (كولونيا). كانت زجاجة ضخمة، فتح الرجل سدادها، وبدأ يغرق جسد (آدم) بها.

***

في حين أن العميد (عمر) نادى أحد الرجال، الذين ظلوا صامتين طوال تلك الفترة، وقال له:

- " (صابر).. خذ (لطفي) وألقوا بتلك الجثة في أحد مقالب القمامة بسرعة، وضعاها في جوال كي لا يلاحظها أحدهم إلا بعد مدة."

ثم نادى على رجل آخر، وقال له:

- " ضعه في زنزانة ٢٦ بسرعة، قبل أن يفيق من ذهوله هذا."

كان (آدم) يجلس كما هو وهو يحتضن (بتول).. وعندما أتى الرجلان ليسحبا منه الجثة، تركها وعيناه متعلقتان بها، وأحدهما يحملها والآخر يساعده، حتى خرجا بها من الباب.

رفع (صابر) رأسه وملامحه لم تتغير بعد، ثم تنحنح وقال بهدوء:

- " رحمها الله "

لم يتكلم الرجل من خلفه، ولكنه سمع همهمة تصدر منه، فلم يعلق، وحاول أن يستمع لأي شيء من بين الهمهمة، إلى أن ميز ما يقوله الرجل.. لقد كان يقرأ سورة الفاتحة !!!!!

- " هل تقرأ الفاتحة لها ؟؟؟؟ "

قالها (صابر) وهو مندهش لذلك الفعل، ولكنه لم يتلق ردًا، بل شعر بالرجل يقترب من خلفه، وفجأة أمسك بشعره بعنف، مما جعله يتأوه بصوت عال. قال الرجل بعنف لصابر:

- " بما أنك تملك ذلك القلب الرحيم، الذي يترحم عليها، فلماذا فعلتم ما فعلتم بها؟ هل يمكنك أن تجيبني؟ "

كان يتكلم وهو يهز رأسه بعنف، وصوته المبحوح يعلو بغضب، في حين قال (صابر) وهو يتأوه:

- " لقد ندمت على ما فعلناه في تلك الليلة.. أي.. لكن الندم لن يعيد شيئًا، وليس بمقدوري فعل شيء بعوض ما حدث. "

ترك الرجل شعر (صابر) بقرف، ثم عاد للخلف مرة أخرى وهو يقول:

- " هل يمكنني أن أحكي لك عما حدث؟ ولكن دعني أتكلم بطريقتي.. بعد أن ماتت (بتول) أمامكم، وسيدكم يغتصبها أمامكم، وأنتم كالكلاب تشاهدون ما يحدث بدون أن يتحرك أحدكم، جاء الأمر من أسيادكم أن تلقوا جثتها لمقلب القمامة، كي تنهش عيون الناس عورتها. حتى وهي في ذمة الله تصرون على هتك شرفها أمام الجميع!.. حملت أنت جسدها بيديك النجسة هذه، وأنت لا تراعي حرمة موتها، ثم ألقيتها في القمامة. أقسم بالله.. لو كانت عاهرة، لكنت احترمتها أكثر من ذلك. وبعد أن أتممت مهمتك، وأطعت أسيادك، عدت لتمارس حياتك الطبيعية كما هي.. تصحو من النوم، وتأكل، وتذهب لعملك، وتخيف اللصوص والمجرمين، ثم تعود لمنزلك لتجامع زوجتك، وتنام هانئًا بعد أن تشعر أنك فعلت ما يجب عليك، وكما يقول البعض (ليس في الإمكان أبدع مما كان).. تمر الشهور، وتعلم بأن (آدم) مات بحسرته على (بتول) وطفله، فتشعر أنك يجب أن ترضي ضميرك قليلًا، فتقوم بعمل معاش مبكر، وترتدي الجلباب الأبيض، وتداوم على الذهاب إلى المسجد، وترسم على وجهك نظرة الورع، وأنت تجلس على مقعدك ممسكًا المسبحة، تلعب بحباتها وعقلك منشغل بتجارتك وحياتك وعائلتك، وتشعر أنك فعلت ما

يجب عليك فعله، فأنت بذلك قد أصبحت عم (صابر)، الرجل الطيب الشيخ الفقيه، الذي يحترمه الجميع ويبجله.

هذه هي الحقيقة التي أراها أنا، هل توافقني على ما أقول يا... عم (صابر)؟"

انسابت الدموع من عين (صابر) وهو يسمع كلمات الرجل. يشعر بطعم دموعه المالحة في فمه، ولكن هناك طعما آخرًا تكوّن داخله.. إنه طعم المرارة، ويا له من مذاق يشعر به. حاول أن يقول شيئًا، ولكن صوته خرج متقطعًا:

- " لن أدافع عن نفسي، ولكن يعلم الله ما بداخلي من ندم على ما فعلت. لقد حاولت فعل كل شيء يكفر عن ذنبي، ولكن ما الفائدة والجميع ماتوا. عندما علمت بموت (آدم)، عرفت أنني من قتله.. عرفت أنني من قتل طفلته.. عرفت أنني من اغتصب زوجته. تذكرت حينها عينيه وهو ينظر لجثة زوجته، وأنا أرفعها كي أخفيها.. عيناه لم تكن غاضبة، ولا حزينة، بل كانت بلا تعبير، وكأنني أنظر إلى دمية.. أفزعتني عيناه ذلك اليوم.. يدي، التي حملت زوجته الميتة، ظللت أشعر بأنها تحمل دماءها إلى اليوم. لن تصدقني عندما أقول لك إنني أتقيأ يوميًا، كلما أتخيل يدي وهي ترفع جثتها من على الأرض.. لن تصدق عندما أقول إن عين (آدم) مازالت

تطاردني في كوابيسي كل ليلة.. يا ترى هل ستصدقني لو قلت لك إنني أتمنى الموت في كل لحظة، لأرتاح من ذلك العذاب؟"

- " لا لا لا ... لقد انسابت الدموع من عيني من كلماتك يا رجل.. اعذرني، ولكن لا يمكنني أن أصفق لك، فسامحني."

انتهى الرجل من عبارته وهو يبتسم قائلًا من وسط دموعه:

- " والآن انتهى وقت الألعاب، وحان وقت العشاء اللذيذ، مع قليل من المشهيات التي أحضرتها معي. كنت أريدك أن تشاركني العشاء، للأسف لا يمكنك أن تكون مدعوًا على تلك الوجبة المغذية."

لم تتغير أي من تعبيرات وجه (صابر)، ولكنه قال وهو يبتلع ريقه:

- " ستقتلني.. لا يهمني، ولكن هناك سؤال أريد أن أعرف إجابته قبل أن أموت.. أنت (آدم) أليس كذلك؟ "

مرت دقائق بدون أن يتكلم الرجل أو (صابر).. هدوء يخيم عليهما وكأنهما ينتظران شيئًا ما.. لكن فجأة شعر (صابر) بيد الرجل اليسرى تطوق فمه، وتسحب رأسه للخلف بشدة، فحاول أن يتملص وهو يطلق أنينًا، ويهز جسده محاولًا

المقاومة، ولكن الرجل قرب فمه من أذنه اليسرى وقال بخفوت:

- " عليّ أن أعترف أني فقدت شهيتي للطعام، ولا أرغب بتذوقك، ولذلك سأكتفي بشيء بسيط هذه الليلة. أما بالنسبة لسؤالك عن شخصيتي.. "

توقف (صابر) عن الحركة والتملص وهو يستمع..

- " أنا من أتيت من أعماق عقلي.. أنا الرغبة بجسدة.. أنا من أردت أن أكونه، وأخاف أن أكونه.. أنا المسخ الذي عاد لكم"

فجأة شعر (صابر) بمحقن يخترق عنقه، وسائلًا ما يدخل لجسده عن طريق أوردته، ثم شعر بارتخاء في عضلاته، والرجل يكمل كلماته قائلًا:

- " أنا (آدم)"

***

حرك رأسه قليلًا وهو يخور بلا فائدة، كان مازال يجلس على المقعد كما هو، وقد فك عنه الرجل الحبال التي تحيط به. لا يسمع، ولا يرى، وبدون لسان، ويده اليمنى مقطوعة من الرسغ. أخذ يتنفس بسرعة وهو يبتلع ريقه المخلوط بالدماء وهو يحرك رأسه.. أخذ يتحسس بيده اليسرى السليمة رسغه

الأيمن المقطوع، والدماء تنزف منه بغزارة.. لقد فهم.. شرايين يده قطعت، وسيموت في خلال دقائق على الأكثر. هناك صداع فظيع يلسع مخه، وكأن هناك شعلة من اللهب داخل جمجمته.. لا يشعر بالألم في أجزائه إلا من بعض التنميل والألم البسيط.

بيده اليسرى أمسك بيد المقعد، وتشبث بها وهو يحاول النهوض، ولكنه فشل.. أطرافه كلها مسترخية.. حاول مرة ثانية، ولكنه نجح هذه المرة في تحريك جسده، ليقع على الأرض. فجأة تضاعف الألم في رأسه، بعد اصطدام جسده بالأرض. لقد وقع على سجادة الصالة، لكنه قال لنفسه إنه يجب أن يصل لبداية السجادة. أخذ يتحسس الأرضية، ثم يحاول أن يزحف للأمام، ولكنه لا يمتلك القوة ليجعل يده اليسرى تسحب جسده.

أخرج من فمه صوتًا كالخوار مرة أخرى، وهو يشعر هذه المرة بوعيه يتسرب منه. هل سيموت الآن؟ جاءت في رأسه فكرة أسهل، لينفذ بها ما يريد. أخذ يسحب السجادة بيده اليسرى، كي يصل لنهايتها.. وبالفعل وصلت ليديه بداية السجادة، التي رفع بدايتها من على الأرض، ليتحسس البلاط البارد بيده اليسرى.

غاب دقيقة عن الوعي، ولكنه أفاق مرة أخرى، وهو يرتعش من فكرة أن يموت هكذا. مد يده اليسرى ناحية يده

اليمنى التي تنزف، وبلل إصبعه، ثم وضع الإصبع على البلاط، وكتب بخط مرتعش..

(آدم عاد)

***

٣

السبت ٢١ / ١١ / ٢٠٠٩

• دخل (سامح) لمكتبه في الساعة الثامنة إلا الربع- كما هي عادته اليومية منذ بداية عمله في جهاز المخابرات منذ ثماني سنوات- كان (سامح) قصير القامة قليلًا، متناسق الجسد، يرتدي نظارة طبية، يمتلك شعرًا أسود اللون، كثيف، يصففه للخلف، يرتدي حذاءً رياضيا، وسروالا من الجينز، وقميصا قماشيا.

منذ بداية عمله وجميع من يعلمون أنه يعمل بالجهاز، وأنه أحد رجال المخابرات يندهشون بسبب مظهره البسيط، والذي يحمل لمحة من الطيبة والبساطة، عكس ما يتخيله العامة عن رجل المخابرات الذي يرتدي بذلة، ويتميز بالوسامة، والشدة، والكاريزما المرعبة.. تلك الصورة التي تكونت من الأفلام والمسلسلات، التي روت تاريخ المخابرات في البداية، وعمل مجموعة من الرجال، الذين حملوا كاريزما خاصة في بداية عمل الجهاز.

لكن (سامح)، الذي يبلغ من العمر سبعة وثلاثين عامًا، حمل من خلف قناع بساطته عقلية غريبة، أهلته للعمل بالجهاز، بعد أن كان ضابطًا بالشرطة.. عقلية تعتمد على المنطق، وعلى

نوع غريب من الحدس والاستنتاج معًا، وحساب الأمور بنسبية غير مفهومة للعامة. لم يتم اختياره لأنه ذكي ويجيد التفكير المنطقي، لا .. فكثير من رجال الشرطة يجيدون ذلك، ولكن تم اختياره بسبب كونه يجيد القدرة على دمج خياله بتفكيره، وإخراج الاستنتاج بسهولة، تظهر للبعض أنها عشوائية في التفكير، ولكنها دقة وصعوبة قامت على أساسها الكثير من العمليات الاستخباراتية في داخل الجهاز.

نعود مرة أخرى لسامح، الذي دلف إلى مكتبه، وأشعل الضوء، ثم اتجه إلى الخزانة الموضوعة بجانب مكتبه على منضدة صغيرة، وقام بضغط بعض الأرقام في واجهتها، حتى سمع صوت أزيز مكتوم، فأخرج سلسلة مفاتيحه من جيبه، وفتح الخزانة، ثم أخرج منها بعض الملفات، وأغلقها بحرص، ثم وضع الملفات على المكتب، وجلس هو أمامها. ولكنه انتبه أنه وضع الملفات على ملف آخر موضوع على سطح المكتب، فأزاح الملفات، وأمسك الملف بيده، وهو يفتحه بدهشة، فهذا معناه تسليمه عملية جديدة بجانب عمليات المتابعة التي يقوم بها. أمسك بسماعة الهاتف، وضرب رقمًا داخليًا، وقال:

- " أوصلني بمكتب السيد (رفاعي) "

انتظر قليلًا ثم قال:

- " كيف حالك يا (رفاعي) ؟ وجدت اليوم ملف لعملية جديدة على مكتبي.. هل كلفتني الإدارة بحالة جديدة؟ نعم نعم سأنتظرك في المكتب حالاً."

أغلق (سامح) الهاتف، ثم فتح الملف، وبدأ في القراءة، حتى ارتفع حاجبيه من الدهشة وهو يقلب في صفحات الملف بسرعة. حتى سمع طرقات على باب المكتب، ثم فتحه أحدهم، ودخل وهو يبتسم لسامح، الذي صافحه بحرارة، وأجلسه أمامه وهو يقول:

- " هناك خطأ بالتأكيد يا (رفاعي) في ملف تلك العملية!!! هل تلك العملية تتعلق بقضايا سياسية أو دولية أو مخابراتية؟"

ابتسم (رفاعي) وهو يقول له:

- " هذا الملف لا يخص عملية خاصة بالجهاز، هذا ملف جرائم قتل بدأت منذ أسبوع ."

قال (سامح) بدهشة:

- " عمليات قتل، وليس لها علاقة بقضايا من اختصاص الجهاز؟"

- " نعم .. الموضوع عبارة عن تعاون ودي بين جهاز المخابرات وبعض الأجهزة الأمنية في القبض على القاتل، لأنه تخصص في قتل أفراد يعملون بجهة أمنية واحدة، وبطريقة غريبة، ويبدو أيضًا أن تلك الجرائم ستتكرر مرة أخرى لأفراد بعينهم، ويجب البحث عن القاتل فورًا، لأن الموضوع تسرب للإعلام، وسيتم تضخيمه في الأيام القادمة إذا لم يتم العثور على القاتل الحقيقي."

عدل (سامح) وضع نظارته على عينيه وهو يفكر لحظات، ثم قال:

- " ما هي مهمتي وصلاحياتي؟ ولماذا تم ترشيحي لتلك العملية؟"

- " مهمتك أن تعثر على القاتل، وصلاحياتك هي توفير كافة المعلومات من الجهات الأمنية المتعاونة عن القضية، وتنفيذ المطالب التي ستطلبها أثناء العمل في القضية، ولكن المشكلة أنك لن تعمل بنفس قوانين العمل داخل الجهاز، فأنت في الخارج لست ضابط حالة، يمكنك أن تحتفظ بأسرار العملية حتى عن رؤسائك، ولكن عليك مشاركة معلوماتك واستنتاجاتك مع باقي فريق العمل، وستجد تصريح اشتراكك في القضية داخل الملف الذي أمامك. أما عن اختيارك أنت، فقد اختارك السيد (محمد) بسبب عملك سنوات عديدة في

الشرطة، وملفك المشرف بها.. هل هناك أسئلة أخرى قبل استلامك للعملية؟"

رد (سامح) بلهفة:

- " والعمليات التي أديرها كضابط حالة، والعمليات الوقائية التي تسلمتها منذ أيام.. ما هو مصيرها؟"

- " سيتم تحويلها لضابط آخر لحين انتهاءك من القضية، نسيت أن أقول لك.. لن يمكنك الاستعانة بأي من الذين يعملون داخل الجهاز بطريقة قانونية، فيمكنك أن تكوّن فريق للعملية من أي جهة أمنية تختارها للعمل معك. هذه العملية بصفة ودية بين الأجهزة الأمنية وجهاز المخابرات، فيجب عليك أن تحذر وأنت تتعامل مع ضباط الأجهزة الأخرى."

ابتسم (سامح) وهو يقول لرفاعي:

- " لا مشكلة في ذلك، سأبدأ العمل اليوم."

***

إحدى جرائد المعارضة هي.. برغم ذلك واسعة الانتشار داخل مصر. لو ذهبنا إلى مكتب رئيس التحرير، لوجدناه يجلس على مقعد المكتب وهو ينظر بتركيز نحو هذا الصحفي الشاب، الذي جلس وهو يتابع ما يقوله في حماسة:

- " وكل ما فات من كلامي لا يساوي شيئًا مقابل القادم.. فكما قلت لك منذ قليل إن جريمة القتل الأولى حدثت منذ أسبوع لمخبر يعمل هناك، وكانت بشعة بكل المقاييس، ولكن الجريمة الأخرى التي حدثت منذ أيام هي التي تجعل هناك خيطًا خفيًا بين الجريمتين.. تم تعذيب القتيل قبل قتله، استخدم القاتل فكرة أكل أجزاء من أعضاء القتيل، هناك جهة أمنية واحدة يعمل بها المجني عليهما، وحتى الآن لا وجود لخيط يؤدي للقاتل، أو للسبب الذي ارتكب به جريمته. لقد توصلت لبعض الصور والتقارير الخاصة بالجريمتين، ولو قمنا بنشر الصور والتقارير والمعلومات حول الجريمة، سنحصل على سبق إعلامي غير مسبوق، وخصوصًا أن القضيتين في طي السرية حتى الآن، والمعلومات التي حصلت عليها تمت بطريقة غير شرعية."

ابتلع رئيس التحرير ريقه وهو يقترب من الصحفي قائلًا بهدوء:

- " هذا التحقيق خطر يا (سالم)، وسنفتح على أنفسنا أبواب العذاب من كل الجهات في الدولة."

رد (سالم) بلهفة:

- " أنت تعرف أن تحقيق كهذا سيكون سبقًا يمكن أن يقلب الدنيا رأسًا على عقب، بل إنه سيعيد للعقول حادثة بني مزار، التي شغلت الرأي العام مدة طويلة."

ظل رئيس التحرير ينظر لسالم لدقيقة كاملة، وعلى وجهه علامات التفكير، وقد قطب جبينه وهو يحرك عينيه كثيرًا، وفي النهاية قال:

- " مازال التحقيق خطرًا عليك، ولكنه سبق إعلامي كما قلت أنت، لذا فما رأيك أن ينشر التحقيق تحت اسم مستعار، حتى لا تسأل أمنيًا عن مصدر معلوماتك. وأما عن نفسي سأكتب لك ورقة تفيد بأنك تكتب بمجموعة مقالات صحفية عن حوادث قتل تحت اسم مستعار، وسأكتب اسمك والاسم المستعار، وأقوم بتسجيلهم في الشهر العقاري كي أحفظ حقك في التحقيقات وفي نفس الوقت سيمكنك جمع المزيد من التحقيقات من مصادرك بدون الإضرار بك.. ما رأيك ؟ "

فكر (سالم) مليًا، ثم ابتسم ببشاشة، وقال:

- " موافق.. ومن الأفضل أن ننشر التحقيق يوم الأحد القادم، إذا سمحت يا سيدي، أي غدًا "

- " سينشر كما طلبت أنت، وسنجعل له نصف الصفحة الأولى، والصفحة السادسة بالكامل."

زادت ابتسامة (سالم) أكثر وهو ينهض من على المقعد بحماس:

- " وأنا سأقوم بإكمال التحقيق، وجمع أكبر عدد من المعلومات من مصادري."

- " انتظر.."

قالها رئيس التحرير وهو يكمل متأملًا سقف الغرفة:

- " (الجزار) يثير الهلع بين رجال الأمن، هذا هو المانشيت الرئيسي للصفحة الأولى في يوم السبت.. ما رأيك؟"

ردد (سالم) العبارة وهو يتذوقها بين شفتيه، ليرى وقعها، ثم ابتسم لرئيس التحرير وهو يتجه إلى باب المكتب، ليخرج وصوت رئيس التحرير يتبعه قائلًا:

- " لا تنس أن تمر على الخزينة، لتأخذ منها الثلاثة آلاف التي دفعتها لمصادرك، بالإضافة لخمسمائة جنيها مكافأة لك على هذا التحقيق."

***

في داخل مكتب العميد (عمر)، جلس هو وأمامه جلس ضابطان من الشرطة، والجميع يتحدث في حين أن (عمر) أخرج علبة سجائره، وأخرج سيجارة، وأعطاها لأحد الضباط، الذي أخذها شاكرًا، ولكن رفض الضابط الآخر

بلطف، ثم جلس على مقعده مرة أخرى، وأشعل قداحته وهو يقول والسيجارة مازالت بين شفتيه:

- " سيأتي الآن، ومهمته واضحة وهي المساعده في القبض على القاتل."

انتهى من إشعال السيجارة، فأعطى القداحة للضابط، ليشعل سيجارته، في حين قال الضابط الآخر بملل:

- " شيء مضحك أن يشترك ضابط مخابرات في حل قضية من اختصاص الداخلية. من أين له بالخبرة الميدانية في العمل في مجال التحقيقات والجرائم؟ في رأيي وجوده سيكون بلا فائدة."

أخذ (عمر) نفسًا من السيجارة، ثم قال باقتضاب:

- " لا تستهين بخبرة رجال المخابرات يا (عبد الرحمن) ثم إن التعاون جاء من أوامر عليا، رأت أن يقوم التعاون بين الأجهزة في تلك القضية، وبطريقة سرية، وليس لنا حق الاعتراض على الأوامر."

كانت الساعة الآن تدق العاشرة تمامًا، عندما سمع الجميع طرقات على [illegible]، ودخل رجل وهو يؤدي التحية العسكرية قائلًا بأن [illegible] من يريد مقابله العميد (عمر)، ويقف خارجًا [illegible]ره (عمر) أن يدخله.

- " وأنا سأقوم بإكمال التحقيق، وجمع أكبر عدد من المعلومات من مصادري."

- " انتظر.."

قالها رئيس التحرير وهو يكمل متأملًا سقف الغرفة:

- " (الجزار) يثير الهلع بين رجال الأمن، هذا هو المانشيت الرئيسي للصفحة الأولى في يوم السبت.. ما رأيك؟"

ردد (سالم) العبارة وهو يتذوقها بين شفتيه، ليرى وقعها، ثم ابتسم لرئيس التحرير وهو يتجه إلى باب المكتب، ليخرج وصوت رئيس التحرير يتبعه قائلًا:

- " لا تنس أن تمر على الخزينة، لتأخذ منها الثلاثة آلاف التي دفعتها لمصادرك، بالإضافة لخمسمائة جنيها مكافئة لك على هذا التحقيق."

***

في داخل مكتب العميد (عمر)، جلس هو وأمامه جلس ضابطان من الشرطة، والجميع يتحدث في حين أن (عمر) أخرج علبة سجائره، وأخرج سيجارة، وأعطاها لأحد الضباط، الذي أخذها شاكرًا، ولكن رفض الضابط الآخر

بلطف، ثم جلس على مقعده مرة أخرى، وأشعل قداحته وهو يقول والسيجارة مازالت بين شفتيه:

- " سيأتي الآن، ومهمته واضحة وهي المساعده في القبض على القاتل."

انتهى من إشعال السيجارة، فأعطى القداحة للضابط، ليشعل سيجارته، في حين قال الضابط الآخر علل:

- " شيء مضحك أن يشترك ضابط مخابرات في حل قضية من اختصاص الداخلية. من أين له بالخبرة الميدانية في العمل في مجال التحقيقات والجرائم؟ في رأيي وجوده سيكون بلا فائدة."

أخذ (عمر) نفسًا من السيجارة، ثم قال باقتضاب:

- " لا تستهين بخبرة رجال المخابرات يا (عبد الرحمن) ثم إن التعاون جاء من أوامر عليا، رأت أن يقوم التعاون بين الأجهزة في [illegible] القضية، وبطريقة سرية، وليس لنا حق الاعتراض على الأوامر."

كانت الساعة الآن تدق العاشرة تمامًا، عندما سمع الجميع طرقات على [illegible]، ودخل رجل وهو يؤدي التحية العسكرية قائلًا بأن [illegible]ن يريد مقابلة العميد (عمر)، ويقف خارجًا [illegible]ه (عمر) أن يدخله.

دخل (سامح) من الباب، وهو يلقي التحية عليهم، ويتقدم ليصافح (عمر) وهو يقول له:

- " (سامح صبحي) "

- " العميد (عمر زهران)، تشرفت بك يا سيد (سامح)."

صافح (سامح) أول الضباط، والذي عرفه بنفسه أنه المقدم (صالح عبد الحي)، والآخر الذي عرف نفسه بأنه المقدم (عبد الرحمن عبد العزيز). جلس (سامح) على مقعد بجانبهم، أمام المكتب، والثلاثة يتأملونه بعيون خفية. مظهره العادي، والذي لا يوحي بعلاقته بالمخابرات أو بعوالمها، التي طالما تغلف بالسرية والكتمان والغموض.. كان مظهره وملبسه وطريقة حديثه عادية، ليس بها ما يميزه بكونه رجل مخابرات، بالفعل كان مخيبًا للآمال بشكل كبير.

قطع (سامح) الصمت، وهو يقول باقتضاب:

- " تشرفت بالعمل معكم، متى سنبدأ العمل؟ "

رد (عمر) بسرعة قائلًا:

- " من الآن لو أحببت، ولكن ما هو مدى إطلاعك على معلومات القضايا؟ "

- " تسلمت ملف مبدئي للعمل بالقضايا، ويحتوي على معلومات بسيطة عن ثلاث قضايا، وقعوا على فترات ثابتة، ويبدو أن منفذ الجرائم شخص واحد، أو جهة واحدة، وقرأت بعض التقارير البسيطة عن القضايا، ولكن كما تعرف هذا لا يكفي، فيجب أن أطلع على كل التفاصيل."

أطفأ (عمر) السيجارة في المطفأة التي أمامه، ثم نظر لسامح، واعتدل في جلسته:

- " من اليوم سيكون لك مكتب بجوار مكتبي أثناء فترة عملنا بالقضايا. ولقد أمرت اليوم بعمل نسخة من كل ورقة أو ملف أو صورة تتعلق بالقضايا، وستكون جميع الأوراق على مكتبك بعد ساعات قليلة.. كل ما تريده يمكنك أن تطلبه مني، أو من أي ضابط يعمل على تلك القضايا."

تنحنح (صالح) بعد انتهاء جملة (عمر)، ثم قال موجهًا حديثه لسامح:

- " أنا لا أقصد إهانة لك يا سيدي، ولكن ما صلة عمل المخابرات بالقضايا الجنائية؟ أنا أعلم أن ضباط المخابرات بعيدين كل البعد عن الشئون الداخلية."

ظهرت نظرة متوعدة على وجه (عمر)، في حين رد (سامح):

- " بالفعل ضباط المخابرات ليس لهم صلة بجرائم القتل والسرقة إلا إذا كانت تتعلق بقضايا أخرى سياسية أو دولية، ولكن أوامر القادة جاءت بالتعاون بين جميع أجهزة الدولة، وذلك لاحتواء القضايا مما فهمت على ألغاز تخرج عن كونها جرائم عادية.. مثل تلك الصورة التي رأيتها للمجني عليه الأخير المدعو (صابر)، والذي كتب بدمائه قبل موته (ادم عاد)، مما يعني أن هناك معرفة قديمة بينه وبين القاتل، وبالتالي فجميع من قتلوا كانوا على معرفة بهذا الشخص والذي قام بثلاث جرائم قتل بطريقة غريبة على عقلية الرجل المصري، وبدون ترك أي دلائل تقود إليه في مسرح الجريمة.. وطالما هناك لغز، وهناك الكثير من الرجال الذي تربطهم علاقة عمل بجهة أمنية يقتلون، إذًا القضية تتعلق بأمور خطيرة، ويجب الوقوف عليها بسرعة، قبل وقوع عدد كبير من الضحايا."

فهم (صالح) من إجابة (سامح) أنه يقول له بلطف (ليس هذا من شأنك) لأنه لم يعطه جواب شافٍ، بل تكلم معه عن القضية، محاولًا الهرب من الإجابة بلطف.

سمع الجميع طرقات على الباب، ثم دخل شاب طويل القامة، وسيم الملامح، وهو يلقي التحية ليصافح الجالسين في الغرفة، وصوت (عمر) يرتفع بفخر قائلًا:

- " أعرفكم بالرائد (حسن المهدي).. انضم أمس لفريق البحث في القضية."

مد (سامح) يده وهو يصافح (حسن)، ويتأمل ملامح وجهه، التي تحمل وسامة، ولكنها وفي تلك اللحظة كانت تحمل لمحة من الهم والحزن.

- " الرائد (حسن) كان صديق شخصي للمرحوم (علي)، غير أنه عمل مع (صابر) و(لطفي) قديمًا."

قال (عمر) تلك العبارة في نفس اللحظة التي سحب فيها (حسن) مقعدًا، وجلس عليه.

***

(الساعة ٤:٢٥)

شكر (سامح) العسكري، الذي أحضر آخر الملفات، ووضعهم أمامه على المكتب، ثم سأله إن كان يأمر بشيء آخر، فشكره (سامح) بلطف، فخرج العسكري، بعد أن أدى التحية العسكرية لسامح، الذي هز رأسه. فبالرغم من عدم معرفة

مهمة (سامح) إلا أن العسكري قد استشف خطورة هذا الرجل، فلقد خصص له مكتب مغلق خاص، وتم نقل ملفات قضايا على مكتبه، ثم ذلك الأمر من سيادة العميد بتلبية كل متطلباته أثناء تواجده داخل المكتب، والأغرب أن العميد شدد على الجميع بأن لا يعلم بتواجده أحد.. لم يكن من الصعب على العسكري وزملائه، الذين علموا بقدوم الزائر، أن يتوقعوا أنه على درجة عالية في إحدى الجهات الأمنية، لذا وجب احترامه.

بعد خروج العسكري، عدل (سامح) وضع منظارهن وهو يتأمل الغرفة التي يجلس بها.. كانت غرفة متوسطة الحجم، يبدو أنها استخدمت كغرفة لحفظ الملفات، لأنها تحتوي على الكثير من الأرفف والدواليب، ولكنها قد نظفت -قبل مجيئه- من الملفات القديمة، ووضع بها مكتب أنيق، لا يتناسب مع شكل الغرفة، ومقعد جلدي ضخم يناسب المكتب، وهاتف، وبعض الأقلام، وأوراق.

أخذ (سامح) نفسًا عميقًا، وهو يشعر بالضيق لانتظاره كل تلك الساعات حتى تأتيه ملفات القضايا والتحقيقات.. بالرغم من وعد العميد (عمر) أنها ستأتي بعد ساعات قليلة، إلا أنها تأخرت حتى هذا الوقت، والذي فضل (سامح) أن يقضيه في

الغرفة، التي أعدوها له. ظل جالسًا هكذا، يتأمل الغرفة كثيرًا - كعادته عند دخوله أي مكان أن يتأمل كل تفاصيله، ويحفظها في ذهنه لأي ظرف يمكن أن يقابله عن هذا المكان مستقبلًا- .. وأخيرًا أتت الملفات، وأمسك بأحدها يتأملها، وهو يأتي بورقة خالية، ليضعها بجانبه على سطح المكتب العاري، بدون أن يضع تحتها شيئًا، ثم أمسك القلم، وفتح الملف، وأخرج الصور، ووضعها جانبًا، والتحاليل الجنائية في جانب، والتحقيقات والتقارير في جانب آخر، ثم أخذ الصور ليتفحصها.

صور كثيرة لموقع الحادث.. صورة لمرآة غرفة نوم كبيرة مهشمة، ثم صورة أخرى لمرآة تشبه مرآة الحمام -مهشمة أيضًا- ومرآة يبدو أنها كانت جزءً من دولاب قبل تهشيمها، ثم صورتين لمرايا أخرى مهشمة.

نظر (سامح) للورقة الموضوعة بجانبه، وكتب بها (مرآة) ثم نظر مرة أخرى، وهو يتأمل صور لمطبخ، وصور أدوات طبخ، وأطباق، وملاعق، ثم طبق ضخم موضوع فيه قطعة لحم كبيرة مشوية، ثم صور لقدم ملقاة على الأرض، وقد ظهرت عظامهما، فنظر إلى الورقة مرة أخرى، وكتب (أقدام).

قلب الصور لمسرح الحادث، حتى وصل إلى صور للمجني عليه ملقى على الأرض، بجانب مقعد ملقى بجانبه، والدماء

تغرق نصفه الأسفل، الذي ظهرت منه عظام فخذيه، وقد بترت قدماه من الركبة.. ظل يقلب الصور المقربة لوجه الجثة، والتي تظهر مدى الألم الذي ارتسم على وجهه قبل موته، حتى وصل إلى صورة لحائط، وقد كتب عليها بخط أنيق بالدماء (أقدامي تجري إلى الموت)، فاتسعت عين (سامح) وهو يكتب العبارة في الورقة. لم يكمل تصفح الصور، ولكنه وضعها جانبًا، وقام بفتح تقرير المعامل الجنائية، والذي جعله يجمع فكرة لا بأس بها عن الجريمة.

المجني عليه (علي أحمد عثمان)، رائد بأمن الدولة، بعد بلاغ من الزوجة، التي تقول إنها لا تتذكر شيئًا سوى أنها فتحت عينيها ليلًا، لتشعر بمحقن يخترق ذراعها، لتغيب عن الوعي، وتفيق الساعة التاسعة صباحًا، وتشاهد جثة زوجها في الصالة، فأبلغت الشرطة، والتي بدورها أبلغت الجهة التي يعمل بها القتيل، بعد معرفة أنه أحد رجال الأمن. لا وجود لبصمات غريبة إلا بصمات بعض الأقارب، وبصمات الزوج والزوجة، وطفل صغير قريب لهم، يأتي لهم أيام في الأسبوع ليقيم معهما، ثم يرحل بعد أيام.. القاتل دخل الشقة بطريقة بسيطة جدًا، فقد صعد سلم العمارة، ثم قام بتسلق (المنور) حتى وصل إلى نافذة الشقة، وقام بفتح النافذة بطريقة بدائية عادية، ودخل منها، ثم أغلقها وراءه، ودخل إلى غرفة النوم، وحقن الزوج والزوجة، ثم نقل الزوج وهو حي إلى الصالة، وكبله جيدًا

بأحد المقاعد، ثم وباستخدام المنشار، الذي يستخدم في العمليات الجراحية، قام ببتر القدم من منطقة الركبة، وتبعها باستخدام مشرط جراحي، بقطع أجزاء من الفخذ بطريقة فنية، وكأن له خبرة تشريحية سابقة، لأنه قام بإخلاء اللحم من الأقدام المبتورة، ثم نقل أجزاء اللحم إلى إناء طعام ضخم، وقام بسلقها في مدة من الممكن أنها تجاوزت الساعة، ثم وضع قطعة كبيرة منها في صينية للشواء، وأضاف عليها قطع بصل، وطماطم وبهارات وصلصة.. مكونات البهارات والصلصة أتى بها القاتل معه، فلم تتعرف عليها الزوجة، ثم وبعد نضج اللحم، نقله إلى الصالة مرة أخرى، وأخذ يأكل أمام القتيل، حتى انتهى من جزء من اللحم، ثم قام بإسقاط المجني عليه على الأرض وهو مقيد في مقعده، وتركه هكذا حتى مات، بعد أن نزف جزء كبيرًا من دمائه، بين الساعة الثالثة والخامسة فجرًا، ثم كتب على أحد حوائط الصالة عبارة (أقدامي تجري إلى الموت) بإصبعه، بعد أن بلله بدماء المجني عليه. بعدها فك الحبل عن الجثة، وحمله معه، ثم فتح باب الشقة، وخرج منها.

أما عن الجثة تشريحيًا، فلا تحتوي على أي أشياء غريبة، إلا أثر كدمة في الرأس، تكونت من ضربة عنيفة، تلقاها المجني عليه، غير هذا لا توجد آثار أخرى، حتى بعد حلق شعر الجثة وغسلها جيدًا، لم تظهر أي من الآثار سوى آثار ذلك الحبل، الذي قيدت به الجثة. أما عن الدماء، فقد وجدت جرعة من مخدر المورفين، وجرعة لا تذكر من مخدر آخر غير معروف!!

كانت الورقة الآن أمام (سامح)، مليئة بالكلمات مثل (مورفين) (مرايا) (نافذة)، وكلمات أخرى يستخدمها (سامح) للدلالة على أفكار في عقله، تخصه هو.

فتح المحاضر، وبدأ بقراءتها بتعمق، وهو يقرأ محاضر الزوجة، والأقارب، والأصدقاء المقربين، وبعض رجال الحي.. ثم فتح تقارير قدمها فريق البحث في القضية، وظل يتابعها بهدوء حتى انتهى منها.. عاد مرة أخرى، وقرأ تقارير المعامل الجنائية، والتقارير لفريق البحث والمحاضر، وكان يدون بعض الكلمات في الورقة التي بجانبه، ثم -وللمرة الثالثة- قرأ الأوراق الخاصة بالقضية، وشاهد الصور بتعمق أكثر.

جمع الصور والأوراق، وأعادها مرة أخرى لملف القضية، ثم أحضر ورقة أخرى، ووضعها في موضع الورقة السابقة، وأزاح الورقة السابقة جانبًا، وفتح ملف قضية (لطفي عبد البر محمد)، وظل يتابع الصور والتقارير والملفات الجنائية وتقارير الشرطة والمباحث والمحاضر، وهو يدون على الورقة الجديدة كلمات مثل (مورفين) (مرايا) (عين – أذن – فم) (بمارات) (مسدس) حتى انتهى من الملف، وراجعه مرة ثانية وثالثة بدقة.

فتح الملف الثالث وهو يتأمل الصورة، التي أثارته عندما اطلع على نسخة منها صباح اليوم...

رجل ينام على وجهه، وقد انتشرت دماء تحت رأسه، ويده اليمنى مقطوعة، أما يده اليسرى فهي ممدودة بطولها، وفي نهايتها طرف سجادة مرفوع، ومكتوب بالدماء، وبخط مهزوز وباهت يصعب قراءته (ادم عاد) !!!!!!!

ظل يتأمل الصورة دقيقة كاملة، وهو يحاول أن ينشط خياله عن تلك الشخصية، التي كتب القتيل اسمها. ثم قلب الصور ليجد صور لمرايا تم تهشيمها وصور أخرى للقتيل وقد قلبه رجال المعمل الجنائي ملتقطين صور لوجهه وعينيه المقلوعة والدماء التي تخرج من فمه ثم صور للمقعد وصور مقربه ليده اليمنى المبتورة.

ولكن توقف (سامح) وهو يسأل نفسه عن عدم وجود أي صور لأواني مطبخ، أو أدوات طبخ مثلما حدث في باقي القضايا؟؟ .. كان يسجل الملاحظات في ورقة جديدة، ولكنه توقف فجأة عند صورة مقربة لعبوة زجاجية، تحتوي على مسحوق أصفر اللون، ملقاة على الأرض.. هنا اتسعت عين (سامح) وهو يهتف لنفسه بدهشة:

- " أميتال الصوديوم ؟؟!!!! "

***

مطعم بمنطقة الهرم، تعود العميد (عمر) أن يأخذ أطفاله وزوجته إليه في أيام العطلات، كي يقوم بالترفيه عنهم، وخاصة لكثرة غيابه وانشغاله. كان يرتاح بطبيعة الحال في ذلك المطعم، لكثرة المرات التي ذهب فيها إليه، وكان هذا هو أول مكان قرر أن يصطحب إليه (حسن)، كي يتحدثا بعيدًا عن جو العمل، ويتناولا الغداء.

كان (عمر) يجلس مبتسمًا وهو يأكل من الأطباق الموضوعة أمامه، ويتكلم مع (حسن) الذي جلس شاردًا، يرد بأقل الإجابات. توقف هنا (عمر) عن الأكل، وتغيرت ابتسامته، ثم تكلم بجدية:

- " إذًا أنت مازلت تفكر بهذا الموضوع.. لنتحدث إذًا عما تريد، من أين تريد البدء؟"

نظر (حسن) للأرض شاردًا وهو يقول:

- " (آدم) عاد "

مد (عمر) يده في جيبه، ليخرج علبة سجائره وهو يقول بعدم اهتمام:

- " (آدم) من ؟؟ "

نظر (حسن) حينها في عين (عمر)، الذي أشعل السيجار ثم نظر إلى يد (حسن) اليمنى، وأشار ناحيتها وهو يقول بابتسامة:

- "ما أخبار الخطوبة؟"

نظر (حسن) ليده اليمنى، وبالتحديد إلى الدبلة، التي أحاطت أحد أصابعه، ثم زفر نفسًا طويلًا وهو يقول:

- " بخير.."

- " إذًا فقد فهمت رسالتي."

ظهرت ملامح السؤال على وجه (حسن)، فقال (عمر) بنفس الابتسامة:

- " رسالتي لك تقول إنك ستتزوج قريبًا، ثم تصبح أبًا، وتتحمل الكثير من الأعباء، وتذوق الكثير من الراحة والاستقرار.. بعد كل هذا وأنت تريد أن تنبش في ملفات الماضي؟ أليس هذا غباء يا بني؟"

تحفز (حسن) وهو يرد على (عمر) قائلًا:

- " أي ماض هذا الذي أنبش فيه؟ الماضي هو من عاد لنا من جديد يا سيادة العميد.. عاد في شخص (آدم) مرة أخرى."

ظلت ملامح (عمر) جامدة وهو يقول:

- " أي (آدم)؟ (آدم) الذي نعرفه هو اسم انتحله أحدهم في قضية هامة منذ سنتين، وتم القبض على الفاعل.. أما (آدم) الذي تتكلم عنه فهو سراب."

- " وكيف تفسر قتل (علي) و(صابر) و(لطفي)؟ ولماذا هم دون غيرهم؟"

اعتدل (عمر) في مقعده وهو ينظر إلى أحد المناضد التي جلس عليها رجل وزوجته وطفلة صغيرة تبتسم لهم، ثم أشار برأسه ناحيتهم وهو يقول:

- " هل ترى تلك العائلة يا (حسن)؟"

نظر (حسن) بطرف عينيه للمكان الذي أشار إليه (عمر)، الذي أكمل قائلًا:

- " تلك الابتسامة التي تكونت على شفاههم، نحن من نسهر للحفاظ عليها.. نحن من يموت منا الآلاف في سبيل تلك الأسرة.. نحن من يرسم الإعلام لنا صورة السفاحين، الذي يتسلون بتعذيب الشعب، ذلك الشعب، الذي يقدر بعشرات الملايين، نحن من نحميه.. ولو يومًا ما أخطأنا وعذبنا عشرات، حاسبونا وكأننا عذبنا الملايين.. لتعيش تلك الملايين في سعادة، ما المشكلة من بعض الأخطاء؟ لا أعتقد أن أحدًا

من هؤلاء يتخيل ما يدبر لهم في الخفاء.. تلك القنبلة، التي كانت ستنفجر في الملهى الليلي، في تلك الليلة منذ سنتين، في القضية التي تشغل بالك، لو انفجرت كم رجلًا كان سيموت؟ كم امرأة؟.. عشرات؟ مئات؟ ولكن قل لي ماذا لو أمكنني أن أمنع تلك الحادثة، وسيكون الثمن رجلًا أو اثنان أو حتى ثلاثة؟"

كانت عين (حسن) على شفاه (عمر) وهو يتحدث، مكملًا كلامه بعد أن أخذ نفسًا من السيجارة:

- " هذا نحن.. زوار الفجر.. من يرتعش منهم رجل الشارع، وفي نفس الوقت يرتعد منا المجرمون، وهذا هو المطلوب. لا يوجد فيلم أو مسلسل أو قصة إلا و صورتنا رجالًا يرتدون ملابسًا سوداء، وعلى وجوههم نظرة سادية متوحشة، ونحن نقتل الأبرياء، لدرجة أننا أنفسنا صدقنا تلك الدعاية، برغم أننا لا نفعل مثلما يحدث في تلك الأفلام، ولا نحتاج لذلك في كثير من الأحيان. لكن لو وصل الموضوع إلى أمن الملايين، فأنا مستعد أن أفعلها بنفسي، وأقتل العشرات في سبيل حياة الملايين."

أطفأ السيجارة في منفضة صغيرة في وسط المنضدة، وهو يقترب من (حسن) قائلًا بصوت خافت، وهو يضغط على مقاطع الكلمات:

- " هل تريد الحقيقة؟ أنا نفسي أعرف أني أفعل الكثير من الأخطاء.. ربما مرت الكثير من الليالي على عقلي وأنا أحاسب نفسي.. ولكن من في مثل ظروفنا لا يمكنه التراجع، وعليه أن يسير في الطريق، مهما قابل أو واجه.. هل قلت لك إني أتخيل أني أقتل في نهاية حياتي؟ نعم أقتل.. نوعي من الرجال ليس هذا النوع الذي يسوي معاشه، ثم يجلس في المترل يداعب أحفاده، ويتحدث مع أبنائه، ثم يموت على فراشه وهو يبتسم، بل سأقتل"

اتسعت عينا (حسن) وهم بأن يقول شيئا، لكن (عمر) قال بسرعة بغضب:

- " ولكن لن أموت على يد قاتل غبي، يدعي أنه قد عاد من الموت لينتقم لعائلته. تلك الأفلام القديمة تثير أعصابي.. سأقتل على يد أحد أعداء الوطن، وحينها سأكون شهيدًا.. أما أن أموت ميتة مهينة كتلك، فهذا لن يحدث.

اسمع يا بني.. ما نحن فيه الآن هو طريقنا، الذي اخترناه. هذا هو الطريق الذي نختاره بإرادتنا، وعندما نسير فيه نفقد تلك الإرادة."

بعد أن انتهى (عمر) من كلماته، ابتسم مرة أخرى، وأرجع ظهره للوراء، ثم عاد ليأكل وكأن شيئًا لم يكن.. أما (حسن)، فقد نظر إلى (عمر) دقيقة وهو يفكر، ثم قال:

- " وماذا سنفعل؟"

ظل (عمر) يأكل كما هو وهو يقول ببساطة:

- " هي قضية مثل أي قضية يا بني، وسنقبض على القاتل في غضون أيام، وأراهنك ساعتها أنه سيكون شابًا متهورًا، وليس (آدم) الحقيقي، الذي تعلم جيدًا أنه مات في المستشفى، واختفت جثته. وحتى لو لم يمت، فهو قد فقد الإبصار، وقدمه اليسرى، وفقد معهم عقله، أي لا يمكنه الهرب من المستشفى. الموضوع أبسط من ذلك بكثير، ولكن لم يكن على (صابر)الغبي أن يكتب هذا الاسم بدمائه قبل أن يموت."

رد (حسن) بتأثر:

- " كان يريد أن يحذرنا، كي لا يحدث لنا مثلما حدث له."

توقف (عمر) عن المضغ، و(حسن) يكمل:

- " أتمنى أن أعرف ما رأى (صابر) قبل موته."

هنا نظر (عمر) لعين (حسن)، والأخير ينظر له بنفس الطريقة، والاثنان يتخيلان ما حدث لصابر قبل موته.

***

(أميتال الصوديوم) !!! هناك شيء غريب.. قال (سامح) تلك العبارة في داخله، وهو يتذكر معلومات عن تلك المادة التي يسميها العامة مصل الحقيقة، وتأخذ شهرة بأن أجهزة المخابرات تستعملها بكثرة، برغم إنها لا تستعمل كثيرًا في عوالم الاستخبارات في العصر الحديث، بسبب ظهور مواد أخرى لها نفس الفاعلية، وأفضل، وبدون آثار جانبية.. مادة (أميتال الصوديوم) أو (بنتوثال الصوديوم) استخدمت بكثرة في المعتقلات النازية، وقد روج الألمان أساطيرها لإرعاب الأسرى من تلك المادة، التي تعمل على القشرة المخية، وتقوم بفصل جزء من الوعي عن الشخص بعد حقنه بجرعة معينة، حيث يمكن للشخص أن يتقبل أي أوامر تأتي له من الخارج، لأن العقل الواعي في تلك الحالة يكون في حالة غياب مؤقتة، وبالتالي في حالات كثيرة تتوقف قدرة المخ على التخيل والإبداع، مما يجعل من يقع تحت تأثيرها يفقد القدرة على اختلاق الأكاذيب عندما يتم سؤاله عن شيء ما.. وفي كثير من الأحيان، استخدم الألمان ذلك العقار لبث أفكار معينة، أو أوامر، أو ذكريات غير حقيقية، حيث يصحو الرجل وهو مقتنع بتلك الأوامر والذكريات، لأن عقله الباطن قد صنفها على إنها موجودة بالفعل.. ولكن كثيرين ممن وقعوا تحت تأثير ذلك المصل رفض عقلهم تنفيذ الأوامر التي أتت لهم، أو حتى رفضوا الإجابة على الأسئلة التي وجهت لهم، بسبب عدم غياب الوعي بالكامل، مما جعلهم يتحكمون بجزء من الإدراك.

وهناك أيضًا من يمتلكون حساسية شديدة تجاه ذلك المخدر، ولذلك فهو يستعمل على إطار ضيق، وليس كما يعتقد العامة أن المخابرات تستخدمه لاستجواب العملاء أو المتهمين بكثرة، وليس الموضوع أن يتم حقنه لأحد ما، فيقول لك ما تريد. ولكن على الرغم من ذلك، فلهذا العقار تأثير لا يمكن إهماله.

ولكن لماذا هناك زجاجة عقار ملقاة على الأرض بإهمال، والزجاجة كما يبدو في الحالة الخام، أي مازالت مسحوقا يشبه البودرة لم يخلط بالماء ليتم حقنه !!!

أمسك القلم، وعيناه تتسعان قليلًا، وهو يكتب في الورقة الجانبية (المادة المجهولة)، ثم وضع الصورة جانبًا، وهو يقلب في بقية الصور، حتى توقف مرة أخرى عند صورة لحائط، وقد كتب عليه بالدماء (لا أرى لا أسمع لا أتكلم)، فابتسم وهو يقول في عقله إن الدائرة بدأت تكتمل.

فتح تقارير المعمل الجنائي، وهو يقرأها بحماس.

زوجة (صابر) تم تخديرها، ثم ضرب القاتل (صابر) على رأسه، ليفقده الوعي، ونقله إلى الصالة وكبله. تم حقنه بمخدر المورفين مرة أخرى، ولكن بنسبة قليلة جدًا عن كل مرة، ثم انتزع عينيه ولسانه، وأدخل أداة حادة لأذنه، وبعدها استخدم منشارًا طبيًا، وقطع يده اليمنى من مفصل الرسغ، ليقطع معها

الشرايين، والتي بدأت بالنزيف.. فك الحبل عنه، ثم تركه وكتب على الحائط عبارة (لا أرى لا أسمع لا أتكلم)، وخرج من الباب، في حين أن (صابر) رمى جسده من على مقعده، فقد كان مازال واعيًا، وظل يزحف إلى أن توقف وأزاح السجادة، وكتب تحتها بدمائه بيده اليسرى: (آدم عاد) ثم توفى في فترة بين الساعة الثالثة والرابعة.

لا وجود لبصمات غريبة أيضًا، ولكن عثر على زجاجة في الصالة يبدو أنها وقعت من الجاني، وبتحليلها وجد أنها مادة (بنتوثال الصوديوم)، وقد تم استخدامها من قبل بمقدار ربع المادة الموجودة داخل الزجاجة. الزجاجة خالية هي الأخرى من البصمات.

رفع (سامح) عينيه عن التقارير، وعلامات الاستفهام تتراص في عقله، ولكنه يفعل -كما تعود كل مرة- أن يمنع عقله من القفز إلى أي استنتاجات قبل أن ينتهي من مطالعة كل ما يخص عمله، والتأكد من كل صغيرة وكبيرة، حتى لا يكون هناك مجال للخطأ قبل القرار.

فتح ملفات التحقيقات، وظل يقرأ التحقيقات التي أجرتها النيابة مع الجميع، حتى توقف عند تحقيق ظل يقرأه وعيناه تضيقان، وهو يركز في كل كلمة فيه. امرأة تقطن في نفس الشارع، الذي يقطن فيه (صابر)، تقول إنها كانت تجلس

بجانب النافذة هي وطفلتها، وفجأة رأت في حدود الساعة الثالثة رجلًا يخرج من نفس العمارة، التي يقطن بها (صابر)، ويحمل في يده كيسا بلاستيكيا أسود اللون.. لم تر وجهه لبعد المسافة، وقلة إضاءة الشارع، ولكنها رأته يرتدي سروالا أسودًا، وجاكيت جلديا أسودًا، ويسير بعرج بسيط لم تلحظه هي إلا بعد أن خطا بضعة خطوات.. تقول السيدة إنه خرج من بوابة العمارة، ونظر حوله، ثم سار بعيدًا، ليختفي في أحد الشوارع الجانبية.

عاد (سامح) لتدوين الكلمات في الورقة، والتي امتلأت تلك المرة عن الورقة السابقة، ثم بعد أن انتهى من باقي التحقيقات، عاد لمشاهدة الصور مرة أخرى، والتقارير والتحقيقات مرتين، حتى شعر أنه يعرف كل حرف في الأوراق التي قرأها.

هنا خلع نظارته وهو ينظر إلى السقف، ويفكر. نهض وذهب ليفتح باب الغرفة، فوجد العسكري الذي أحضر له الأوراق يجلس أمام الباب، فطلب منه كوبًا من الشاي، ومياها، وعاد مرة أخرى للداخل.

***

أوقف (حسن) سيارته أمام تلك العمارة العالية بحي مدينة نصر، ثم نظر في ساعته، التي اقتربت من الثامنة والنصف، وهو

يحرج من ذلك التأخير، فقد وعدها أنه لن يفعل ذلك مجددًا، ولكنه تأخر هذه المرة أيضًا. تناول علبة الشيكولاتة من على مقعد السيارة، ثم خرج منها وهو يعدل هندامه. في الواقع كان شاردًا، ولا تشغله أي أفكار عنها الآن سوى أنها ستغضب كعادتها.. كان يفكر في غضبها، وهو يستقل المصعد للطابق الرابع، ويقف أمام الباب، ويضغط على الجرس.

انفتح الباب، ليظهر خلفه طفل في الثامنة، ابتسم عندما رأى (حسن)، فابتسم له (حسن) وهو يحمله بذراعه اليمنى ويقبله على خده، عندما ظل يقول بصوت مرح:

- " عمو (حسن) جاء.. عمو (حسن) جاء "

دخل (حسن) وهو يحمل الطفل، ويسأله عن حاله، والطفل يجيبه بفرحة..

- " أهلًا يا (حسن) يا بني.."

سمع (حسن) العبارة السابقة، فنظر لصاحبها، الذي كان جالسًا، وينهض الآن ليصافحه، فرد (حسن) بسرعة:

- " أعتذر يا عمي على تأخري كل هذا الوقت، ولكن الأمر ليس بيدي. "

مد الرجل يده بود يصافح (حسن)، الذي أنزل الطفل، ليجري ناحية إحدى الغرف ليبلغها، وهو يقول بابتسامة كبيرة:

- " لا عليك يا بني، فطبيعة عملك هي التي تفرض ذلك.. ولكن عليك أن تقنع (مريم) بذلك "

نظر (حسن) للأرض بحرج وهو يقول:

- " بالتأكيد هي غاضبة مني."

سمع فجأة صوتًا أنثويًا من خلفه يقول بغضب:

- " نعم.."

فنظر بسرعة، ليجدها (مريم) تقف وهي تنظر له بغضب. كانت (مريم) في السادسة والعشرين من عمرها، ذات وجه أبيض دائري وعيون عسلية.. من ينظر لوجهها يشعر أن عليه ألّا يحرك عينيه من عليه، فوجهها هو خليط من وجه فتاة جميلة الملامح، وطفلة شقية، وأم طيبة، ترتدي حجاباً أبيض اللون، وفستانا أبيضا، أعطاها مظهرًا رقيقًا، وأضفى على وجهها بياضًا أكثر، فأصبحت أجمل من أي مرة قابلها فيها. وبالرغم من كونها غاضبة، فإن طبع الحسن قد ظهر في خديها، وهي تنظر له متوعدة.

قال الأب شيئًا ما، ثم ذهب لإحدى الغرف كي يترك (حسن) و (مريم)، ليتناقشا بحرية، في حين قال (حسن) بارتباك:

- " هذه المرة يمكنك أن تحكمي عليّ بما تريدين."

بعد أن جلس (حسن) على الأريكة، وجلست هي أمامه على مقعد، قالت له بتوعد:

- " للمرة الثالثة تحدد لي موعدًا للذهاب للسينما أو الخروج سويًا، ثم تتأخر عليه، وتتأخر عليه بالساعات وليس بالدقائق.. أليس كذلك؟"

نظر لها، وقد ظهر الحرج على صوته، وهو يرد قائلًا:

- " أعرف أنه كان علي الحضور الساعة الخامسة لأخذك؛ ولكن كلفت بمأمورية هامة، فاتصلت بالوالد لأعتذر له لأنني سأتأخر، وهو قال إنه سيبلغك."

- " نعم سيبلغني.. وقد أبلغني. ولكن ألا تشعر بي وأنا أظل طول النهار انتظرك، وأتخيل اللحظات التي ستقضيها معًا، وأنت تأتي بكل بساطة لتعتذر؟ هل تعرف كم مرة فعلت ذلك بي؟ وهل تتذكر كم مرة خرجنا سويًا، وكم مرة جلست معي لنتحدث، مثلما يفعل كل المخطوبين؟ بالرغم من خطبتنا منذ

خمسة أشهر، إلا إنني أشعر أنني مازلت وحيدة.. هل تشعر بي؟"

شعر (حسن) بالذنب بسبب تجاهله غير المقصود لمريم.. عاش حياته السابقة يؤمن بعدم وجود الفتاة، التي يمكن أن يأتمنها على نفسه.. عاش حياته يرى كل فتاة غانية، أو لعوب، أو زانية.. وفجأة تغيرت آراؤه بمجرد أن تعرف إلى (مريم).

منذ ستة شهور، كان يجلس داخل إحدى الكافتيريات بالهرم وهو يراقب أحد المطلوبين في كمين، هو ومجموعة من الضباط المندسين وسط الجالسين.. وفجأة وقعت عيناه على الفتاة الرقيقة الجالسة، وعلى قدمها جلس ذلك الطفل، وهي تتحدث إلى فتاة أخرى تشبهها، ويجلس بجانبهما رجل وقور. وجد نفسه يتابعها هي بعينيه بدلًا من الاهتمام بالكمين، ما الذي جذبه إليها؟ بالتأكيد ليس جمالها، لأنه رأى من هم أكثر جمالًا منها.. هناك شيء ما، وكأنه يحيطها هالة من النور، إنها روحها.

بالطبع، قبل أن ينتهي الكمين، طلب من أحد الضباط الأقل رتبة أن يجمع معلومات عن تلك الفتاة، التي تجلس وهي تحمل الطفل. انتهى الكمين، وعاد (حسن) وهو يحلم بملامح تلك الفتاة، حتى جاءه التقرير، والذي وضح أنها خريجة كلية التربية منذ أعوام، ولا تعمل.. سبق وأن تمت خطبتها إلى زميلها في

الدراسة، ولكن تم الانفصال بعد عام من الخطبة، لأسباب عائلية.. والدتها توفت أثناء الولادة لأخيها الأصغر منذ ثمان سنوات، وتركت للزوج (مريم)، وشقيقتها الكبرى (شاهندة)، وطفل صغير يدعى (محمود).. (شاهندة) تزوجت منذ أعوام، وظلت (مريم) في كنف والدها.. أما الوالد فيمتلك شركة توريدات كهربية صغيرة، تدر عليه أرباحًا محترمة.

لم يكذب (حسن) خبرًا، واستطاع الحصول على رقم هاتفها، وحاول التعرف بها، ولكنها رفضت حتى الحديث معه، حتى جاء لمنزلها ليطلب يدها من والدها، وهي لا تعرف أنه هو من كان يحاول أن يتودد إليها على الهاتف، وها هي خطيبته الآن، وبقى على موعد الزواج شهور معدودة، ولكن المشاكل كما هي.

- " إذًا أنت حتى لا تنتبه لحديثي."

جعلته العبارة الغاضبة يفيق من أفكاره، فنظر إلى (مريم) وهي تنظر له غاضبة، وهو يرد بسرعة:

- " من حقك أن توقعي علي أي عقاب، وأنا سأنفذه؛ ولكن لا تغضبي هكذا.. أرجوك.."

ظلت ملامحها جامدة، فابتسم (حسن) قائلًا بصوت خفيض:

- " أرجوك ابتسمي، فقد اشتقت لوجهك وهو يبتسم لي."

ظهرت على ملامحها أنها تحاول أن تخفي ابتسامة ترتسم على شفتيها..

- " لو ابتسمت، سأقوم بتقليد نوم العازب."

لم تخف ابتسامتها، التي غزت وجهها، وهي تنظر للأرض محاولة إخفائها، فضحك (حسن) وهو يقدم لها اعتذارًا مرة أخرى على تأخره. وكأنها كانت تنتظر ذلك، فظلت تسأله بلهفة، عنه وعن أحواله، وما فعل في يومه، وهي تلقي العبارات المضحكة بين الحين والآخر. نظر لها مبتسمًا، وعقله سعيد بوجودها بجانبه.. أخيرًا وجد الشخص الذي يهتم بأخباره وأحواله، ويشعره بالدفء الذي ظل يبحث عنه.

لا يعرف لما فجأة جاء على باله مشهد لمدة ثانية ثم ذهب!! مشهد (بتول) وهي ميتة، وعيناها مفتوحتان، وتحاول بيدها اليمنى لمس كتفها الأيسر!!!

***

شعر أنه تشبع بالقضية.. نظر مرة أخيرة للثلاث ورقات وهو يراجع البيانات للمرة الأخيرة، ثم مزق الورق بعناية، وألقاه في سلة القمامة، حيث لم يجد نفعًا من الورق، بعد أن

حفظ البيانات التي يحتويها في عقله. أخذ يحدد مسارات تفكيره، وهو ينظر لمساحة خالية من الغرفة.

عليّ أن أتخيل نفسي مكان القاتل.. القاتل يستخدم الثلاثاء من كل أسبوع؛ ولكن لحظة.. القاتل يختار يوم الثلاثاء بعد الساعة الثانية عشر فهو يتراوح بين يوم الثلاثاء والأربعاء، ولكنها ليست صدفة، فهو يختار هذا التوقيت في كل مرة، أي يوم الثلاثاء ليلًا والأربعاء صباحًا!.. الشيء الذي يجب السؤال عنه أيضًا: كيف يعرف عناوينهم الخاصة، والتي ليست شيئًا سهلًا بسبب عملهم في جهاز مباحث أمن الدولة.. هو يعرف العنوان جيدًا، يذهب هناك في وقت محدد.. كيف يستطيع الدخول للشقق، ولماذا يستخدم العقارات المخدرة؟

توقف تفكير (سامح) للحظات وهو يتخذ قرارًا ما.. أخرج هاتفه المحمول، وقام بالاتصال بأحد الأرقام المسجلة، وانتظر حتى رد الجانب الآخر:

- " أهلًا يا دكتور (ميلاد)، أنا السيد (سعد)، الذي عملت معه في مشروع المزرعة الاسترالية منذ عام.. "

ضحك (سامح) بمجاملة وهو يقول:

- " أطال الله عمرك. هل تمتلك ارتباطات اليوم يا دكتور؟ جيد.. إذن سأثقل عليك في طلب صغير، وهو خدمة في

مشروع جديد، لكن لن تكون شريكًا رسميًا فيه.. أحتاج إلى خبرتك في إدارته.. بعد ساعة من الآن في منزلك.. نعم أتذكره.. سأكون عندك في الميعاد يا دكتور"

أغلق (سامح) الخط، وهو يتذكر الدكتور (ميلاد ميخائيل)، وعمله معه في تحليل نفسية مجموعة من المندوبين، قبل إرسالهم للعمل في روسيا، ومتابعة زرعهم خطوة بخطوة. بالطبع الاسم الكودي للعملية كان هو (المزرعة الاسترالية)، والاسم الكودي لسامح نفسه هو (سعد)، أما الدكتور (ميلاد) فهو طبيب نفسي ناجح جدًا، يستعين به الجهاز من وقت لآخر في عمليات محددة، حيث يعتبر من الاستشاريين داخل الجهاز، والذين لا يعملون بصفة دائمة فيه.. وكان أول ما خطر في بال (سامح) هو أن يستعين بطبيب نفسي محنك، كي يكشف له بعض الألغاز في القضية. لقد سمح له الجهاز بتكوين فريق عمل، وهو الآن يحتاج لأول فرد في الفريق.

***

٤

ها هو الطبيب النفسي (ميلاد ميخائيل) يجلس على مقعد الأنتريه، وهو يطالع بعض التقارير الأخيرة، في آخر ملفات القضايا.. يجلس بوقار، وهو يرتدي قميصا فضفاضا أبيضا، وسروالا من قماش، وحذاءً جلديا.. يتميز بوسامته الشديدة، والتي كللتها الخصلات البيضاء في شعره، لتعطي مزيدًا من الوقار والوسامة لمظهره.

أمامه جلس - على المقعد المقابل في صالة داره- (سامح) وهو ينظر له، بدون أن يتكلم.

من الصعب أن يتخيل أحدهم أن يكون اللقاء بينهما بهذه الغرابة. فبعد الترحيب من قبل دكتور (ميلاد)، وإحضار أكواب الشاي، فاتحه (سامح) في تلك القضية، وأنها بعيدة عن عالم المخابرات. أخبره الطبيب في البداية إن هناك أطباء متخصصين في المعامل الجنائية، التابعة للجهات الأمنية، ولكن (سامح) أخبره إنه يريده هو، بسبب خبرته في التحليلات الغريبة، التي تقوم على المخاطرة، فهذا النوع من القضايا جديد على المجتمع المصري، وليس من السهل التعامل معه، وتوقع خطواته القادمة. ولذلك، فالتحليلات الجنائية لنفسية القاتل ليست كافية، وكأنها لعبة بازل، وهناك قطع مختفية.. و(سامح)

يرى أن دكتور (ميلاد) هو الذي يمكنه أن يحدد القطع المختفية من البازل، ويعيد ترتيبها.

استلم الطبيب الملفات، وظل يقرأ فيها. لمدة ساعة إلا ربع لم ينطق أحد، و(سامح) يجلس بهدوء، ينظر للطبيب، الذي أخذ يقرأ الملفات بدقة. كان هناك نوع من التعود بينهما، وخصوصًا (سامح)، الذي لم يظهر عليه الملل أو الضيق، وكأنه مر بذلك كثيرًا، ويعتبره شيئا طبيعيا.

أغلق دكتور (ميلاد) آخر الملفات، بعد أن أعاد ترتيب التقارير مرة أخرى داخله، ثم نظر إلى (سامح) وقال:

- " هذا القاتل مصاب بمرض نفسي بحق، ولكن يكذب عليك أي طبيب لو قال لك ما طبيعته. في البداية، لا يوجد داخل القضايا المصرية كثير من القتلة المتسلسلين، حتى الكثير من القتلة الذين اعتمدوا على التسلسل والتطابق في أنواع الضحايا، أو أماكن القتل، أو الساعات الزمنية لا يمكننا أن نعتبرهم قتلة متسلسلين، بسبب أنهم اعتادوا على السرقة، مثل ريا وسكينة في أوائل القرن؛ لذلك ظهور حالة قتل تسلسلي هي طفرة، وتدل على عقلية ليست هينة، مغلفة بنوع من المرض النفسي، لأن القاتل التسلسلي ليس رجلًا تظهر على وجهه علامات الغضب، ويسير في الشوارع يحمل سكينًا، ويقتل كل من يقابله. هذا النوع من القتلة يمتلك حسًا مرهفًا،

وذكاءً فطريا، وخيالا واسعا يمكنه من إخفاء آثار جريمته بعد ارتكابها. وفي أغلب الأحيان، عندما تحاول الشرطة صنع الكمائن له، فإنه يفلت منها بسهولة بسبب كونه ليس مجرما ساذجا شهوانيا، يمكن أن ترمي له بطعم، فيجري ناحيته وهو يلهث؛ بل هو يفكر بطريقتك، ويسبقك في التفكير بخطوة، ويستعمل دائمًا عنصر المفاجأة، وعدم النمطية. والقاتل المتسلسل -في الغالب- يحمل شيئًا ما في نفسيته غير سوي، كتجربة عنيفة، أو أفكار تربى عليها، أو معتقد عقائدي أو فلسفي.. وكما ترى، فإن الكثير من تلك الأسباب لا تصلح لميلاد قاتل متسلسل مصري؛ ولكن هذا القاتل بلا شك هو قاتل متسلسل من الطراز الأول، والأدهى أنه لا يعلم بهذا، أي إنه لا يمارس القتل بغرض الشهرة، بل لغرض آخر واضح تمامًا، ولا أعرف لماذا لم ينتبه له الأطباء الآخرون. كما كنت أقول، إن القاتل -ولنطلق عليه اسم (آدم) مؤقتًا، بسبب الاسم الذي كتب بالدماء- ينفذ العمليات في يوم الثلاثاء بعد منتصف الليل، وهو لم يخطئ هذا التوقيت ولا مرة، وذلك يعني أن هذا التوقيت يحمل قدسية خاصة في عقله، ويجب عليه أن يحافظ على قدسية هذا الموعد في تنفيذ جرائمه، وبالطبع واضح أنه لن يتخلى عن أي موعد في كل أسبوع ..

- "تنحنح دكتور (ميلاد)، وكأنه يريد أن يقول شيئًا، ثم اقترب من (سامح) قائلًا بحرج:" وأعتقد أنه سينفذ في كل أسبوع جريمة ما، ولن يمنعه أحد لأنه يدرس جميع الاحتمالات قبل الجريمة، ويمكنه دائمًا أن يسبقنا بخطوات، لأنه يمتلك عنصر المبادرة."

ظل (سامح) محافظًا على تعبير وجهه وهو يستمع لبقية حديث دكتور (ميلاد)، الذي أكمل:

- " (آدم) -كما اتفقنا أن نسميه- اختار هذا الوقت، لأنه مر بتجربة عنيفة جدًا في مثل هذا الوقت، ولذلك هو يعيد تجربة مشابهه لها، عندما يحين كل ثلاثاء من كل أسبوع، وكأنه يحيي ذكراها. المرايا التي يكسرها قبل ارتكابه الجريمة، هذا تعبير عن خوف (آدم) من رؤية وجهه في المرآة، وهذا لغز يشغلني، فلماذا يخاف أن ينظر لوجهه في المرآة؟ يمكننا أن نضع احتمال أن وجهه يحتوي على تشوه يخشى رؤيته في المرايا، ولكن ارتكاب الجرائم في توقيت واحد، وزمن واحد، يجعلني أميل إلى وجود شخص لا يريد أن يراه (آدم).. شخص يخشاه، وكأنه عدوه اللدود، ولذلك يكسر المرايا كي لا يراه.. هل هناك شخصيتان للقاتل، أم إن القاتل يشمئز من مظهره؟.. لو كان يشمئز من مظهره، فسيكون هذا بسبب تجربته التي يعيدها كل مرة، أي أنه يشعر أنه مشوه، وبالطبع لا أقصد التشوه الجسدي؛ بل النفسي."

قاطعه (سامح) قائلًا:

- " هل يعني هذا أنه يخاف المرايا في كل وقت؟"

- " لا بالطبع.. في تلك الحالة أرى أنه يعيد كل يوم ثلاثاء ليلًا حادثة تعتبر نقطة تحول في حياته.. وكما أن العريس يعد غرفة النوم لعروسه ليلة العرس، فآدم يعد المكان الذي يدخله قبل أن يعيد التجربة المقدسة كل ليلة. والإعداد يبدأ بكسر المرايا، كي لا يرى شيئا معينا فيها، وهو لن يحتاج في حياته لكسر المرايا، لأنه ببساطة أكثر يتحول في تلك الليلة، والناتج عن هذا التحول هو تحطيم المرايا، ولكن بمجرد الانتهاء من الليلة، فإنه يعود لطبيعته مرة أخرى.

وعن موضوع الضحايا، فسأقول لك شيئا بسيطا.. (آدم) هذا لا يسرق شيئًا، ولا يقتل للتلذذ مثلما سيعتقد البعض، ولكنه يفعل ذلك للانتقام. وشيء آخر.. ففي عقله، هو لا يقتل أحدًا، وبذلك هو لا يشعر بالذنب، لأنه في الجريمة الأولى للقتيل (لطفي) نجد أنه أخرج العينين، وقطع اللسان، وفقأ الأذن، وأكلهم أمامه؛ ولكنه لم يقتله، فهو مات بعد ذلك، متأثرًا بالصدمة. وكذلك في قضية (علي) و(صابر)، فهو يقوم بتحقيق انتقام محدد، ليس بهدف القتل؛ فلا يمكنك أن تعامله على أساس أنه قاتل.. لو كنت تبحث عن قاتل، فلن تجده، أما لو كنت تبحث عن شخص طبيعي، فستعثر عليه."

قال (سامح) وهو يفكر بصوت عالٍ:

- " إذًا فهؤلاء الثلاثة تجمع بينهم صفة واحدة، ألا وهي أنهم اشتركوا في تكوين ذكرى لآدم، وتلك الذكرى هي ما تحركه.. هل يمكن أن تكون تلك الذكرى هي تعذيبه مثلًا؟"

- " مرة أخرى لا يمكننا التيقن، ولكن الغالب أن كل خطوة يقوم بها هي انتقام متقن لتلك الذكرى، والدليل على ذلك أن هناك اثنين -(صابر) و(لطفي)- يشتركان في نوعية الانتقام، أي إنه أخرج لسانيهما وعيونهما، ودمر أذانهما، وكتب عبارة (لا أرى لا أسمع لا أتكلم) في أماكن واضحة.. أي أن هذين الاثنين شاهدان على فعل ما، ولكنهما لم يمنعا هذا الفعل، ولذلك فأكله للعيون واللسان والأذن هو حرمان لهما من الأجهزة التي شهدا بها الواقعة غير المعروفة.

أما (علي)، فهو قد فعل شيئًا ما يتعلق بقدمه، ربما سار في طريق ما، أو حرم أحدًا من السير؛ المهم أنه قرر أن يأكل قدمه، كي يحرمه منها، وفي نفس الوقت هو يأكل اللحم أمامهم لغرض ليس اعتباطًا.. هل تلك الذكرى أو الحادثة العنيفة كان هو في موضعهم؟ أي مكبلًا وهو يشاهد شيئًا ما يحدث له أو أمامه؟ هل لذلك هو يعيد التجربة مرة أخرى، فيقطع أجزاء من أجسادهم، ليأكلها أمامهم، وهم غير قادرين على الحركة، أو الدفاع عن أنفسهم؟"

سكت دكتور (ميلاد) للحظات وهو يأخذ أنفاسه، ويفكر بعمق قبل أن يقول:

- " (صابر) هو الوحيد الذي لم تؤكل أجزاء جسده، واختفت.. لماذا (صابر)، بالرغم من أن العبارة موجودة في شقته، أي إنه يصنف من ضمن من كانوا شاهدين على الذكرى، ولم يفعل شيئا؟ ولكن أعتقد أن (آدم) قد كافأه بأنه لم يأكل الأجزاء التي قطعها، لأن أكل أجزاء من لحمهم، هي متعة له وانتقام، أما (صابر) فقد قرر أن يحرمه فقط من تلك الأعضاء، بدون أكلها، أي لم يحقق انتقامه كاملًا، بالرغم من قطعه ليده اليمنى، والتي يظهر أنه اشترك بها في فعل شيء في ذكريات (آدم). بعد أن شعر (صابر) أنه يفارق الحياة، كتب تحذيرًا بسيطًا، لم يقل فلان قتلني أو اقبضوا على فلان .. بل كتب تحذير (آدم عاد) ولم يوضح حتى من هو، هذا التحذير موجه لأشخاص بعينهم، وليس تحذيرًا عامًا لقاتل طليق مثلًا؛ بل هناك من فهموا الرسالة، وهناك من يوجه لهم (صابر) تلك الرسالة كي يحذروا منه، لأنهم بالتأكيد على القائمة القادمة."

- " آدم عاد.. هل هي جملة تؤكد على اسم القاتل؟"

- " هذا شيء ليس له علاقة بالطب النفسي، ولكن العودة هنا تعني أن الذين يعرفون شخصيته كانوا يعتقدون أنه لن يعود، فكلمة عاد تعني أنها مفاجأة، كشخص ميت وعاد للحياة مرة أخرى مثلًا."

***

الجزء الثالث

الجـــزار

(الليلة عندي صديق على العشاء)

١

الأحد ٢٢ / ١١ / ٢٠٠٩

خبر بجريدة (......) في الصفحة الأولى:

(الجزار يثير الرعب بين دوائر الأمن المصرية)

(فشل ذريع يلاحق رجال الأمن عند مطاردته)

***

خفض (عمر) الجريدة التي كان يطالعها منذ قليل، وعلى وجهه علامات الغضب، في حين أن (حسن)، وبجانبه ضابط آخر، أمسكوا بنسختين من نفس الجريدة، وهم يطالعون الخبر بشغف.

- " تسرب الخبر يا سادة، وهذه المرة تسرب بتفاصيل كثيرة. يجب أن نفعل شيئا ما."

قال (عمر) تلك العبارة بغضب، فرد عليه الضابط قائلًا:

- " لماذا لا نظهر لهم أي مسجون خطر، ونقول إننا قبضنا على الجاني، ونغلق ملف القضية إعلاميًا؟"

رد (حسن) بسرعة عليه قائلًا:

- " هذه القضية مازالت مستمرة، وربما واجهنا حالات قتل أخرى، فماذا سنقول وقتها؟"

سمع الجميع طرقًا على الباب، فنظر الجميع للباب، الذي يفتح ويدخل منه (سامح) محييًا إياهم، ثم أخذ يصافحهم حتى وصل لعمر، الذي ناوله الجريدة، وقال بحسرة:

- " انظر .. لقد تسرب الخبر كاملًا، وسيتضخم في خلال أيام."

لم يبد على (سامح) أنه يهتم بهذا الكلام، ولكنه رد باقتضاب:

- " قرأت الخبر هذا الصباح.. المهم ما آخر أخبار القضية؟"

ابتسم (عمر) له وهو يقول:

- " دعني أنا أسألك ما آخر الأخبار، هل قرأت التقارير أمس؟"

- " نعم.. ولكن هل توصلتم إلى جديد؟"

- " هل تريد أن تناقش الآن القضايا؟"

- " لا بل أريد شيئًا.."

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

- " أريد ملف الرائد (علي)، المجني عليه في ثاني جرائم القتل."

في نفس الوقت نطق الثلاثة، الذين تواجدوا في الغرفة، نفس الكلمة

- " ماذا ؟!"

فرد (سامح) ببساطة:

- " أريد دراسة ملف السيد (علي)، وتاريخ عمله، والقضايا التي اشترك بها. "

نظر (حسن) لعمر، ثم قال (حسن) بأدب:

- " وهل لذلك علاقة بالقضية؟"

رد عليه (سامح) بهدوء:

- " نعم."

اعتبر (عمر) أن تلك الطريقة التي يتحدث بها (سامح) هي غرور زائد وجهل.. ولكنه شعر بأن (سامح) يبحث بحق عن شيء ما، وهذا جعله يقول بابتسامة:

- " لك ما تريد، ولكن اعطنا فرصة كي نحضر لك الملف، و.. "

قاطعه (سامح) بسرعة، وهو يعتذر عن المقاطعة قائلاً:

- " معذرة.. ولكن أريد هذا الملف بأي طريقة، بأسرع وقت إذا سمحت الفرصة."

شعر (عمر) بالإهانة من تلك المقاطعة، وبدأ يتضايق، وتتغير نظرته لسامح، ولكنه حجم غضبه بصعوبة وهو يقول:

- " غدًا على الأكثر سيكون الملف معك، ولكن أنت تعرف أن ملف كهذا يحتاج تصاريح ووقت لخروجه.. هل تريد شيئا آخر؟ "

- " شكرًا "

قالها وهو يبتسم لأول مرة منذ بداية اللقاء، ثم يصافحهم وهو يغادر الغرفة، في حين أن (عمر) طلب من الضابط الآخر أن يغادر الغرفة هو الآخر، ثم نظر إلى (حسن)، الذي قال بسرعة:

- " طلب غريب!"

هز (عمر) رأسه نافيًا وهو يقول:

- " بالعكس.. هو يسير في الاتجاه الصحيح، وهذا يعني أنه بدأ يمسك بطرف الخيط."

جلس (عمر) على مقعد مكتبه، فجلس (حسن) أمامه، وقال:

- " لا أعتقد أنه في يوم واحد سيتوصل لشخصية (آدم) الحقيقية، ويعرف القصة بالكامل. سيحتاج لوقت ومعلومات كثيرة.. والذين يعرفون المعلومات، لن يتكلموا. "

شردت عينا (عمر) على سطح مكتبه وهو يقول بنبرات بطيئة:

- " بالعكس.. لقد أثبت أنه بقليل من الوقت والمعلومات يمكنه الوصول إلى الحقائق، التي يصل إليها غيره بعد أيام وأسابيع. سأحاول من تلك اللحظة أن أوقف تدفق المعلومات من حوله قليلاً. "

- " وماذا سنفعل في خطواتنا نحن؟ "

دق (عمر) على رأسه، وكأنه تذكر شيئًا ما، وقال:

- " تذكرت.. جاءتني التقارير اليوم من الرجلين الذين كلفتهم بالبحث عن (آدم)، وعرفوا أن (آدم) بعد دخوله المستشفى قد أصيب بحالة نفسية، لا أتذكر اسمها الآن، ستجدها في التقرير، وفقد القدرة على السير بقدمه اليسرى، وفقد الرؤية بإحدى عينيه، وتدهورت حالته الصحية، حتى أبلغت ممرضات المستشفى عن موته المفاجئ، وعندما أغلقوا

عليه الغرفة، ليحضروا الأطباء للتأكد من موته، اختفت الجثة فجأة؛ ولكن الجميع يؤكد على موته"

أخذ (عمر) يقوم بفتح الأدراج الجانبية للمكتب، وهو يبحث عن شيء، حتى أخرج بضعة ورقات مطوية، وفردها يراجعها بعينيه بسرعة وهو يقول:

- " لا يوجد جديد في التقارير، سواء عن أصدقائه أو معارفه أو أهله، فكلهم لا يعلمون شيئًا عنه منذ اختفائه، ولم يره أحد منذ دخوله المستشفى.. وباقي التقارير تثبت ذلك."

قال (حسن) بدهشة:

- " إذًا ليس هناك إثبات لكونه ميت؟"

- " وليس هناك إثبات أيضًا لكونه حي. ولو كان حيا، قل لي كيف سيعيش بقدمه الوحيدة، وعينه الوحيدة، وحالته النفسية سوى أن يكون من مجاذيب الشوارع؟.. لو كان مازال موجودًا، أو عاقلًا، لظهر في أي مكان ليمكنه العيش مرة أخرى. ورأيي أن شخص بهذه الحالة لا يمكنه أن يقتل دجاجة، لأن حالته الصحية لا تصلح."

رن هاتف (حسن)، فأخرجه وأغلقه، كي ينتبه لحديثه مع (عمر) وقال:

- " إذًا نستبعد احتمال وجود (آدم) الحقيقي.. من إذًا يفعل هذا؟ ولماذا كتب (صابر) أن آدم قد عاد؟"

- " ربما كان شخصًا آخر غيره، يحاول إيهامنا بأنه (آدم) الحقيقي، ولكن من هذا الرجل، وكيف علم بأسمائنا وعلاقتنا بآدم؟ على فكرة.. نسيت أن أذكر لك عبارة لم أفهمها في التقارير.. هناك شخص كان يواظب على زيارة (آدم) كل أسبوع، ولكنه غير معروف!"

اتسعت عينا (حسن) باستغراب وهو ينظر له.

***

رئيس التحرير يجلس وهو يبتسم للصحفيين الجالسين أمامه على منضدة الاجتماعات، وكلهم يضحكون، ويتحدثون عن ذلك النصر الذي قام به زميلهم (سالم)..

- " زادت مبيعات الجريدة ٣٠٠٠٠٠ عن معدلها الطبيعي بسبب انتشار خبر (الجزار) كالنار في الهشيم بين المواطنين، والكثيرون ينتظرون الحلقة الثانية من التحقيقات، التي ستنشر في عدد الغد. أراهن بأن الجريدة ستزيد توزيعها في الأيام القادمة عن اليوم، لأن الجميع ينتظر باقي التحقيقات بشغف.. ألف مبروك يا (سالم)."

قال أحد الصحفيين العبارة وهو ينظر إلى (سالم) مبتسمًا، في حين قال رئيس التحرير مخاطبًا الجميع:

- " هذا هو الوقت يا شباب لترتفع جريدتنا إلى القمة. ففي الوقت الذي سيتابع فيه الرأي العام التحقيقات، التي تنشر لسالم بعنوان (الجزار لغز بلا حل)، يجب علينا أن نرتفع ببقية أقسام الجريدة، ونكثف مجهودنا، كي لا يعتقد القارئ أن جريدتنا تعتمد على خبر واحد ليحملها. يجب أن تحتوي الأعداد القادمة على تحقيقات في نفس قوة تحقيقات (سالم)، لنسانده بها."

قال أحد الصحفيين معترضًا:

- " ولكن جريدتنا لها قراؤها بالفعل، والذين يحترمون مصداقيتها، ورجل الشارع يعرف جيدًا سمعة جريدتنا وحيادها وسط صحف المعارضة والصحف الصفراء."

رد عليه أحد الصحفيين قائلًا:

- " نعم هذا صحيح، ولكن لا ضير من أن نكسب مزيدًا من القراء للجريدة من الذين سيتابعونها الأيام القادمة بسبب تحقيق الجزار."

تكلم أحد الصحفيين موجهًا سؤاله إلى (سالم):

- " ولكن ما حكاية الإمضاء في نهاية التحقيقات باسم (أبو وافي)؟"

ضحك رئيس التحرير و(سالم) معًا، ثم قال رئيس التحرير:

- " أنا الذي اخترت له هذا الاسم، كي يمكنه أن يظل أطول وقت ممكن في جمع معلومات تلك القضايا، ونشرها تباعًا."

أكمل (سالم) على كلام رئيس التحرير:

- " وخاصة أن الأيام القادمة ستحمل مفاجأة أخرى، وهي أن يوم الثلاثاء ليلًا سيقتل شخص آخر، وسيكون لنا السبق الصحفي مرة أخرى في إكمال سلسلة التحقيقات، والتي أدعمها بنسخ من صور، لم ولن تحصل أي جريدة على مثلها."

نظر الجميع لبعضهم وهم يتبسمون للنجاح الذي بدأت الجريدة تشاهده تلك الأيام، مما يعني نجاحهم الصحفي هم أيضًا.

ستحمل الأيام القادمة مفاجآت كثيرة.. ولكن هل هي مفاجآت سارة؟

***

الثلاثاء ٢٤/ ١١/ ٢٠٠٩ (الساعة ٣ مساءً)

دخل (سالم) بقامته القصيرة، وشاربه المنمق، يحمل حقيبة سوداء على كتفه، وهو يلقي التحية والنكات على كل من

يقابله، متجهًا إلى مكتبه في مبنى الجريدة، حتى وصل هناك، وفتح باب الغرفة لتطالعه المكاتب التي يجلس عليها زملاؤه، وأصواتهم المرتفعة، وهم يباشرون إنهاء تقديم التحقيقات، واستقبال مكالمات من محررين ومراسلين، والجميع يعمل كخلية نحل، في حين دخل (سالم) وهو يطلق صفيرًا لأغنية قديمة لوردة، واتجه لمكتبه، فنادى عليه ، وهو يسأله هل تحقيق الغد جاهز للنشر؟

- " لا تسل هذا السؤال مرة ثانية.. أنت تعرف أنني جاهز دائمًا.. دقائق، وأعطيه لك من على الكومبيوتر الخاص بي."

قالها (سالم) وهو يجلس إلى مكتبه الصغير مسترخيًا، ثم يخلع الحقيبة، ويخرج منها كومبيوتر محمول (laptop)، ويضعه أمامه. وفجأة سمع صوت زميلته، التي تقترب منه، تقول:

- " على فكرة يا (سالم) هناك خطاب أتى لك صباحًا على الجريدة، ويحمل اسم (أبو وافي).. ها هو."

كانت زميلته قد اقتربت من مكتبه، ووضعت الخطاب بجانب (سالم)، الذي نظر له مندهشًا وهو يقول:

- " خطاب! هذا أول خطاب أتسلمه في حياتي بعد خطاب الرفت، الذي تسلمته في الثانوي بسبب الغياب. هل هناك من يتعامل بالخطابات هذه الأيام !!!!! "

أمسكه وفضه بحرص، فوجد ورقة صغيرة، قرأها في البداية بعدم اكتراث، ولكن عينيه اتسعتا فجأة وهو يكمل القراءة، ثم زاد اتساعهما، وبدأ جسده يتحفز، مما جعل زملاءه يلاحظون تلك الانفعالات، فسأله أحدهم؛ ولكنه لم يرد، وظل يقرأ الورقة حتى انتهى منها، ورفع عينيه مخاطبًا زميلته، التي أحضرت له الخطاب، قائلًا بحدة:

- " من أحضر هذا الخطاب لمبنى الجريدة؟"

ردت عليه بعدم فهم:

- " لا أعرف.. لكن بالتأكيد ساعي البريد، لأن الخطاب مرسل من صندوق بريدي."

قام من مكتبه فجأة، وهو يخرج من الغرفة، وأصوات زملائه تلاحقه بالأسئلة، ولكنه لم ينتبه وهو يتجه إلى الطابق، الذي يحوي مكتب مدير التحرير.

***

(الساعة ١٥:٣ مساءً)

دق (سامح) الباب ثلاثة دقات، حتى سمع من يدعوه للدخول، فدخل المكتب ليجد رجلًا في الخمسين، يجلس على المكتب، قام من مكانه وهو يصافح (سامح) باحترام، ثم دعاه للجلوس، وقال له:

- " هناك عمليتان من العمليات التي كنت تتابعها تحتاج لتدخل مباشر مرة أخرى منك، وهذا بناء على طلب ضباط الحالة، الذين استلموا عملياتك، ولهذا تم استدعاءك لمبنى الجهاز مرة أخرى من القضية التي تشرف عليها الآن."

قال (سامح) مستفسرًا:

- " أي عمليتين؟"

- " عملية تسمى (الشاطئ)، ويقول ضابط الحالة إن الهدف اختفى فجأة منذ ليلة، وعملية (القصر التركي) ويقول إن المندوب خرج عن السيطرة."

كان الرجل يبلغ (سامح) بما أخبره به ضباط الحالة كأسماء كودية، وأشياء لن يفهمها سوى (سامح)، لأنه برغم رتبته الأعلى منه، لم يكن من حقه معرفة العمليات، أو نوعها، وأهدافها.

- " ما أخبار القضية التي رشحتك لها؟"

تنهد (سامح) وقال:

- " سرت فيها بخطوات سريعة، ولكني أقابل تجاهل مقصود من باقي الرجال المشتركين في القضية، وكل ما أحاول الحصول عليه يتأخر لأيام، وهذا ما يعطلني."

- " حاول ألا تثير المشاكل معهم، وحافظ على هدوء أعصابك، فهذه ليست قضيتنا من الأساس، أنت مجرد مساعد بها، ومن اليوم ستعود إليك بعض عملياتك لتتابعها مرة أخرى في الجهاز، وفي نفس الوقت تظل مع القضية."

أنهى الاثنان الحديث، واستأذن (سامح) الرجل، ثم صافحه وخرج.

***

- " أعد القراءة مرة أخرى يا (سالم)."

قالها رئيس التحرير، وهو يمسك مقدمة جبهته مفكرًا، و(سالم) يجلس أمامه، ويمسك ورقة، ويقول:

- " (بسم الله الرحمن الرحيم.. أنت الصحفي الذي أطلقت عليّ لقب (الجزار)، وفي نفس الوقت أول من تكلم عن القضية بحياد. أنا لست قاتلًا يا سيدي، بل أنا رجل قتلني هؤلاء الرجال منذ فترة طويلة، وكل ما فعلته أنني عدت من موتي لانتقم منهم. لم أقتل، ولن أقتل، لأنني لست مثلهم، ولكن كل ما أفعل أنني أخذ منهم الأشياء التي قتلوني بها، كي لا يؤذوا شخصًا آخر. هل أنا مخطئ؟.. لا أريد شهرة ولا نقود ولا أمان.. كل ما أريده أن تتركوني بسلام، أنفذ

ما عدت من أجله، وإن كنت لا تصدق أنني أنا من تطلق عليه لقب الجزار، فسأعطيك دليلًا. يوم الثلاثاء ليلًا، سأشبع جوعي من جديد.. سآكل قطعة جميلة من رأس أحدهم.. سأشبع جوعي مرة أخرى، وبرأس هذا الرجل، الذي حلمت كثيرًا أن آكل رأسه، وأتذوق ذلك الطعم اللذيذ الخلاب، الذي يدغدغ معدتي مع كل قضمة. قل لي: هل أنا أقتله بهذا؟.. لا.. أنا أشبع جوعي فقط، ولو مات هو فهذا ذنبه، وليس ذنبي. أرجو أن تصدقني، وتوقف بحثك ورائي، كي تمر الأيام بسلام، وأنهي عملي، وأعود للموت مرة أخرى. واعتذر لك الآن بسبب بعض الترتيبات التي أقوم بها، لأن عندي صديق على العشاء.

(الجزار) "

ساد الصمت للحظات بين (سالم) ورئيس التحرير بعد قراءة تلك الكلمات، حتى قطع الصمت صوت (سالم) الذي قال بحسرة:

- " لو كان هذا هو الجزار بحق، فهذا يعني أن جريمة سترتكب الليلة.. ولو كانت هذه دعابة، فهي مصيبة أكثر فذلك يعني أن هناك من تأثر بتلك الشخصية، ويمكن أن يقلدها، ويحاول أن يرتكب جريمة.. ولكن الخط المكتوب في

الورقة غريب، فهو صغير جدًا، ويقرأ بصعوبة لصغره، والكلمات مكتوبة بخط منمق جدًا، لشخص يعتني بالحروف بطريقة الرسم. لو كانت دعابة، أليس من الأسهل أن يرسلها الشخص مكتوبة على الكومبيوتر، أو على الآلة الكاتبة، كي يبعد الشبهات عنه؟"

رد رئيس التحرير وهو لم يخرج من شروده بعد:

- " يجب أن تنشر تلك الرسالة كما هي في عدد الغد، كي نخلي مسئوليتنا، ونقول إننا لا نعرف هل هي دعابة أم حقيقة، ونترك الحكم للقارئ. لو لم ننشرها، وحدث ما هو مكتوب في الرسالة، فهذا يعني أننا أخفينا دليلا هاما يخص القضية، وخصوصًا أنه يحدد أن من قتلهم قد ضروه قديمًا. وفي نفس الوقت، هذه الرسالة هي وثيقة هامة تحل أجزاء من اللغز الذي نثيره بالنسبة لقراء الجريدة."

- " هذه الرسالة ستشعل الدنيا عندما تنشر، ولا يمكن أن أبلغ الشرطة لسببين، أولهما أنهم يتوقعون أن تحدث جريمة الليلة، فلن أضيف جديدًا، وثانيهما أن الرسالة احتمال كبير أن تكون دعابة، فلن نستفيد بتلك الطريقة."

- " إذن ستنشرها غدًا؟"

نظر (سالم) عندها للورقة التي يمسكها بيده وهو يقول:

- " نعم سأنشرها، وسأكشف للعالم ما يجول بخاطر الجزار."

***

(الساعة ٩:٤٠ مساءً)

كان (سامح) يسير في الممر الموصل لغرفته، التي أعدوها له في مبنى المباحث، وهو يراجع بسرعة تفاصيل العمليات التي تسلمها اليوم في الجهاز، والقرارات التي اتخذها بشأنها، وتنفذ حاليًا. وصل إلى الغرفة، فلم يجد العسكري يجلس أمامها ككل مرة، ففتحها ودخل، ثم ضغط على زر الإضاءة، ليفاجأ بوجود ملف على المكتب، موضوع في مكان، ظاهر فاقترب منه وفضه، ليجده ملف الرائد (علي). إذًا فقد أرسله له العميد (عمر) أخيرًا..

***

(الساعة ١:١٢ صباحًا)

منزل (عمر)، لقد كان هذا المنزل هو حلمه منذ الشباب، لقد حلم بأن يبني له ولعائلته منزلا من طابقين، بحديقة صغيرة، وسور يحيط بالمنزل، والأشجار العالية خلف السور. بالفعل بعد أن باع قطعة الأرض التي ورثها في شبابه، وأودعها في البنك في شكل وديعة لمدة عشرين عامًا، قام باستردادها، بعد أن

أصبحت مبلغًا محترمًا، يمكنه من فعل ما كان يحلم به. اشترى قطعة أرض في إحدى المناطق الهادئة، وقام ببناء المنزل الذي حلم به، وفي نفس الوقت قام بشراء قطعة أرض أخرى، وبنى عليها منزلًا مكونًا من أربع طوابق لأطفاله الثلاثة، عندما يحين زواجهم، الذي اقترب بالتأكيد. وما بقي من المبلغ، سيجهز به بناته (عائشة) و(سلوى)، و يساعد ولده (محمد) في زواجه. وكان المبلغ يكفي ويفيض، وهذا ما جعله مطمئنًا لمستقبله بطريقة ما، لأنه لا يملك سوى راتبه وراتب زوجته، التي تعمل مديرة بإحدى المدارس.

هذا هو (عمر)، ينام على فراشه في غرفته بالطابق الثاني.. الغرفة مظلمة، ولكن ضوء القمر يدخل بصيصًا من النافذة، لينير جزءً من الفراش، الذي يرقد عليه على جانبه الأيسر، وهو يرتدي (تريننج)، ويضع يده اليسرى تحت رأسه.

لكن لحظة.. (عمر) مازال مستيقظًا، فهو يبتلع ريقه بصوت مسموع كل بضعة دقائق، وحبات عرق باردة نبتت على جبينه -بالرغم من برودة الجو- وعيناه التي تتشنج وهو يغلقهما بشدة، كأنه يشعر بألم أو كأنه يجاهد ليغلقهما.

فجأة تكلم (عمر)، وهو مازال مغمض العينين، ولم يحرك أي أطرافه قائلًا:

- " أنت هنا.. أليس كذلك؟"

بدا وكأنه بجنون، وهو يحدث نفسه بتلك العبارة، التي خرجت واضحة؛ ولكن العجيب أن الرد أتى له:

- " نعم."

كان صوتًا رخيمًا خافتًا، يمتلك صاحبه بحة في حلقه، وكأنه يجاهد لإخراج الكلمات، مع بطء واضح في نطق الحروف، وقد أتى الصوت من مكان ما في الغرفة. لم يحرك (عمر) ساكنًا، وقال بهدوء:

- " منذ متى؟"

أجابه الصوت:

- " منذ مدة."

حبات العرق زادت على جبين (عمر) وهو يفتح عينيه ببطء قائلًا:

- " لقد أرسلت زوجتي والأطفال إلى بلدتي، وقلت إنني سأذهب لهم غدًا، بعد أن أنتهي من [illegible]ية، وفتحت باب المنزل، وباب الغرفة."

- " أعرف."

ببطء شديد أدار(عمر) جسده، حتى صار ينام على ظهره، وهو ينظر إلى ظلام الغرفة، يبحث بعينيه، حتى وقعت عينه على شيء، فركز نظره عليه، وقال وهو يحاول أن يتماسك:

- " عندما مات والدي وأنا صغير، سمعت أمي تقول لخالتي إن والدي كان يشعر أنه سيموت.. قالت أنه كان يتصرف طبيعيًا كأحسن ما يكون، وكأنه سيعيش ألف سنة، ولكنه في لحظات ما كان يجلس وحيدًا.. كانت تراه، وكأنه يشعر بأنه ميت، أو سيلاقي مصيبة ما. لم أصدقها.. ولكن منذ اللحظة التي مات فيها (لطفي)، وأنا أشعر أني سأموت؛ لكني كنت قويًا وعنيدًا، أعيش حياتي كما فعل والدي تمامًا، كأنني سأعيش ألف سنة، ولكن من داخلي كنت أنتظر الموت. فكرت أن أقاوم، ثم لم أجد فائدة.. أحسست أنه قدري.

والليلة.. شعرت أنك ستأتي.. وها أنا أنتظرك."

بعد أن انتهى (عمر) من حديثه، كان مازال ينظر إلى هذا الشيء في الظلام، الذي يبدو خيال لرجل بالغ، يقف ناظرًا إليه، ولكنه لم يتحرك طول هذا الوقت. وفجأة.. خرج من هذا الشيء الصوت الخفيض قائلًا:

- " للأسف.. لا أشعر بشعورك الذي تصفه، لأن الليلة التي قتلتموني فيها لم أشعر قبلها بأنها آخر ليلة. كنت ناجحًا،

والمستقبل أمامي يرسم الأحلام بريشته الرقيقة.. زوجة جميلة مخلصة حنونة، وطفلة تشبه الملائكة، وعمل يدر عليّ دخلًا، وقد بدأت مباهج الحياة في الظهور. لم أتوقع للحظة أنني سأموت في تلك الليلة؛ وحتى لو توقعت، لم أكن أتوقع أن تموت حبيبتي وطفلتي. إنه لقاسٍ أن تفقد حبيبتك، التي لا تتخيل أن تعيش مستقبلك وهي ميتة.. لا مستقبل بدون لمسة يدها.. لا مستقبل بدون أحضانها الدافئة.. لا مستقبل بدون ضحكة طفلتي.. لا مستقبل بدون وجهها الملائكي.. لا مستقبل بدون عينيها، التي كانت تملكني وأنا أحملها بيدي."

سكت لحظات وأكمل:

- " والحمد لله لقد مت بعدها، فلم أظل على قيد الحياة كثيرًا، وعائلتي بعيدة عني."

ارتفع حاجبا (عمر) وهو يقول بدهشة:

- " أنت ميت؟!"

شعر (عمر) بأن الرجل الواقف في الظلام يبتسم وهو يقول:

- " نعم.. أنت قتلتني بسبب عقلك تلك الليلة.. أنت من أمرت بنقل الجثة، ورميي في الزنزانة حتى ماتت طفلتي من الجوع. كان يمكنني أن ألحقها، ولكنك بعقلك الحكيم منعتني

من الحرية، وقمت بإخفاء كل شيء عن تلك الليلة، بل قمت بمساعدة من فعلوا ذلك بي على الخروج من مأزقهم. عليّ أن أعترف أنك تمتلك عقلًا يجب أن يحترم.."

فجأة توقف عن الحديث لحظات وهو ينظر لساعة يده اليسرى، ثم نظر لعمر وقال:

- " حان موعد العشاء."

اتسعت عينا (عمر) من الفزع عند سماعه العبارة، وقال بكلمات خرجت مهزوزة:

- " هل.. هل سأشعر بألم؟"

ظهر أن الرجل الواقف في الظلام يخلع شيئًا ما يرتديه، يبدو أنه سترة، وأثناء خلعه لها ظهر لمعان لأشياء معدنية، تبرق من داخل السترة على ضوء القمر.

- " أعدك أنك لن تشعر بشيء، عندما تغمض عينيك."

تراخى جسد (عمر) وهو يغمض عينيه، وهو يسمع صوت خطوات خفيفة تقترب منه، وهو يقول بصوت مرتعش، يحمل لمحة من السخرية:

- " كنت أقول لحسن أنني لن أقتل على يد الجزار مهما حدث. كلامي كان مقنعًا بدرجة كبيرة.. لكن من داخلي كنت أعرف أنني سأقابلك."

شعر بوخزة محقن في ذراعه اليمنى، وسائل يدخل في عروقه.

في تلك اللحظة فتح عينيه فجأة، ونظر إلى الرجل ووجهه المظلم بسبب ضوء القمر الخافت، الذي يأتي من خلفه.. بالرغم من الضوء الخافت، الذي يخفي معالم وجهه، إلا أن (عمر) بعد أن نظر له.. صرخ فجأة..!!!!

***

٢

الأربعاء ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٩ (الساعة ٦:١٢ صباحًا)

- " بابا.. أين أنت؟"

خرجت العبارة من (منة)، الطفلة الصغيرة، التي كانت تسير بخطى واسعة، وهي تبحث في الشقة عن والدها، ثم تذكرت مكان ربما وجدته فيه. جرت حتى وصلت إلى إحدى نوافذ الشقة، فجدت والدها بالفعل يجلس أمام النافذة، على مقعده الجلدي المفضل، وهو ينظر إلى الشمس، التي بدأت تشرق، ملقية بضوء خافت خجول، يدخل من النافذة المفتوحة، ويسقط بعضه على وجه والدها. شعر بها (سامح) -والدها- فنظر لها بسرعة بابتسامة، ورفعها وأجلسها على قدميه، وهو يمرر يده بين شعرها، وهي تقول له بعتاب:

- " كنت أريد أن أفاجئك، وأيقظك من النوم، لكن لم أجدك على فراشك.. لماذا يا أبي لا تنام أيامًا كثيرة في فراشك، وتجلس هنا أمام النافذة؟"

زادت ابتسامته وهو ينظر إلى ضوء الشمس ويقول:

- " يشغلني شيء ما."

كان من عادة (سامح) عندما يشعر بخطر ما سيحدث في إحدى العمليات التي يتولاها، ولا يمكنه فعل شيء سوى انتظار النتيجة، أن يعود لمنزله، ويجلس هكذا أمام النافذة حتى صباح اليوم التالي، الذي ينتظر فيه النتيجة. يظل يراجع كافة الاحتمالات طوال الليل، كثيرًا ما شعر بأنه لا يعطي لبيته الاهتمام الكافي، وخاصة لمنة و(عبد الرحمن)؛ ولكن زوجته كانت تقوم بكل شيء بدلًا منه بيسالة غريبة، بلا شكوى ولا ملل، بل كانت تعمد إلى توفير سبل الراحة له، سواء خارج أو داخل منزله.. عمله هو ما يجعله يغيب عن منزله كثيرًا، وهي تفهم ذلك، ولا تسأل كثيرًا عن مشاكله في العمل، فهي تعلم أنه لن يجيب، ولكنها كانت تشعر به وهو يحمل هموم عمله داخل منزله، فلا تحاول الإثقال عليه بأي مشاكل، وهذا ما يجعله يشعر بالذنب أكثر وأكثر من بسالتها، التي لم تطلب أمامها مقابلا، بل دائمًا تشعره بأنه يستحق ما هو أفضل.

يعرف داخله أن اليوم قد تمت الجريمة الجديدة، ولكنه وجد منطقيًا أنه لن يمكنه فعل شيء سوى الانتظار. لقد راجع ملف (علي) البارحة، ووجد مفاجأة تنتظره، فهناك أوراق ناقصة من الملف، لن يلاحظها الكثيرون، ولكن عينيه لاحظت اختفاء

ورقات بكل تأكيد.. أوراق عن العمليات التي اشترك بها (علي) منذ ما يقرب من عامين.

العميد (عمر) قصد ذلك، ولكن لماذا؟ لماذا عطله كل هذا الوقت، ليطلع على الملف، وفي النهاية اقتص بعض الأوراق منه؟ ما مصلحته؟ وهل توصل هو لشيء لا يريده أن يصل هو أيضًا إليه؟

ظلت الخواطر تلعب برأسه، حتى سمع صوت جرس الباب. إنه بائع الجرائد، الذي في آخر الشارع، وهو يوصل الجرائد أمام الشقة كل يوم، ويضرب الجرس ويتركها، كما اتفق هو معه. حمل (سامح) طفلته، التي لم تتعد الثامنة، وهو يلعب معها، حتى وقف أمام الباب، فأنزلها، وفتح الباب وأحضر الجرائد، في حين أن الصغيرة ذهبت سريعًا للحمام، وهي تغني بصوت عال.

قلب في الجرائد بهدوء، ومرت نصف ساعة وهو يقرأ بأحد الجرائد، ثم تبعها بجريدة أخرى، حتى أمسك بجريدة (........) وفتحها، لتتسع عينيه وهو يشاهد صورة لخطاب مكتوب بحروف غير واضحة، ومانشيت عن أن الجزار أرسل خطابًا يصف فيه ضحيته القادمة، وطريقة قتلها. قلب بسرعة الصفحات، حتى وصل إلى صفحة التحقيق، وأخذ يقرأ الكلمات بسرعة ونهم، حتى انتهى منها وهو يرفع رأسه مفكرًا.

(الساعة ٩:٥٥ صباحًا)

(سالم) عرف أن هذا الرجل ينتظره، لقد قال له رئيس التحرير إنه ضابط من المخابرات العامة. حاول وهو يدخل مبنى الجريدة أن يكون متماسكًا أكثر من هذا، ولكن ذلك الشعور الذي تشعر به في أسفل بطنك، عندما كان المدرس في الفصل ينظر إليك، وكأنه سيسألك سؤالًا عن درس اليوم، فتجد دقات قلبك قد زادت، وسرعة تنفسك أصبحت كالقطار في سرعته، وتنميل يسري في أسفل بطنك، وجزء من صدرك.. باختصار كان هذا هو شعور (سالم) الآن، وهو يسير في الممر الموصل لمكتب رئيس التحرير، وهو يتخيل ما يمكن أن يحدث، مما كان يسمع من زملائه عن المخابرات، الذين يعلقون المذنبين في خطافات كالذبائح، وهم يجلدونهم بالكرابيج، ويحرقونهم بالزيت. قرر من داخله أنه لن يسمح بذلك، ولن يجبره أحد على قول ما لا يريد قوله.. نعم لن يخاف من أحد.

كان في تلك اللحظة يطرق باب المكتب بأدب، فسمع من يدعوه للدخول، فدخل وهو يجول بعينيه بسرعة، باحثًا عن رجل المخابرات، فشاهد رجلًا يجلس على مقعد، معطيًا ظهره له، وعندما دخل وجده يقف وينظر له وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة مجاملة..

- " ما كل هذا العرق الذي يغرق وجهك يا بني ؟ هل أتيت من منزلك إلى هنا جريًا ؟ "

قالها رئيس التحرير، فشعر (سالم) بالخجل، فهو لم يلحظ - من كثرة تفكيره وخوفه- حبات من العرق التي تكونت على وجهه، من ذلك الإجهاد العصبي، الذي لازمه طول الطريق.

اقترب من الرجل، فمد الرجل يده اليمنى، مصافحًا يد (سالم) التي اهتزت برعشة محسوسة، فقال رئيس التحرير:

- " أعرفك يا (سالم) بالسيد (سامح).. هو يريدك في مناقشة ودية على انفراد. سأترككما الآن، وحينما تنتهيان، يمكنك أن تطلبني على هاتفي يا (سالم). "

قال رئيس التحرير آخر عبارة وهو يغادر مكتبه، ونظرات (سالم) تلاحقه، وكأنه طفل يلوم أمه على تركه أول يوم في المدرسة وحيدًا.

- " قرأت مقالك اليوم عن الجزار. "

كان (سالم) مازال واقفًا، فنظر لسامح وهو يبتلع ريقه، ثم جلس على مقعد أمامه، وهو يقول محاولًا الابتسام:

- " وهل أعجبك؟ "

- " بالتأكيد.. وخصوصًا أنك تستخدم المدرسة الكلاسيكية في الأدب الساخر، والتي اعتمدت على الرموز، برغم إن تلك المدرسة أصعب في الكتابة عن أي مدرسة أخرى، بسبب أنك تحاول إيصال كل ما بعقلك للقارئ من خلال الرموز."

فغر (سالم) فاه مندهشًا، وسأل (سامح) بحرج:

- " هل تتابع أنواع الأدب على الساحة؟"

- " بالطبع.. هل هناك من لم يتابع (أحمد رجب) و(محمود السعدني) وغيرهم وغيرهم من أدباء العصر الحديث، الذين اعتمدوا على خلط المدارس الأدبية، وابتداع تيمات جديدة في عالم السخرية؟ أنت تمتلك دمًا خفيفًا يظهر بكتاباتك حتى في وصف الأحداث المؤثرة، فإنك تحولها لكوميديا سوداء."

نسي (سالم) الشعور بالخوف، الذي ساوره في البداية، وشعر أنه اندمج في الجو، وقال:

- " كثيرًا ما لامني زملائي على اعتمادي على السخرية في كتاباتي، وخصوصًا السخرية السوداء كما قلت. أعترف أن هذا بدأ منذ متابعتي لأعمال الكاتب العبقري (أحمد رجب)، عندما كنت صغيرًا، فربما تأثرت به."

- " لا مشكلة في ذلك، فأنت لست مقلدًا، بل متأثرًا، وهذا التأثير -في رأيي- قد لا يلاحظه القارئ، بسبب اكتسابك خبرة مع الأيام في استنباط أسلوبك الخاص في الكتابة."

أخرج (سالم) منديلًا، وراح يجفف حبات العرق، وهو يعتدل في جلسته أكثر، ليستريح، وقد شعر بالسكينة تغلف قلبه، واستمتاعه بالحوار ،في حين قال (سامح) وهو يسأله:

- " هل تنوي أن تتخصص في الأدب الساخر الأيام القادمة؟"

- " لا أعرف، ولكن أرتاح في ذلك النوع."

ابتسم (سامح) قائلًا:

- " لم أجد بعد الكاتب الساخر، والذي يضحك الناس، وعلى وجهه تنبت حبات العرق بهذا الشكل عند مقابلة ضيوفه؟"

انتبه (سالم) مرة أخرى، وكأنه يعود للواقع، عندما تذكر مع من يجلس، فقال بشك:

- " هل يمكنني أن أعرف لماذا تريد التحدث معي على انفراد؟"

- " أرجو ألا تمانع في ذلك، فأنا.."

لم يملك (سالم) نفسه وهو يقاطع (سامح) قائلًا- وكأنه يريد أن يقول شيئا منذ بداية الجلسة-:

- " لن أتكلم قبل أن أرى إذن من النيابة باستدعائي للاستجواب."

شعر (سالم) أنه أقدم على حماقة بتلك العبارة، التي قالها بدون داع، ولكن الخوف في داخله الذي عاد مرة أخرى، جعله يقول تلك العبارة كنوع من التنفيس وإظهار القوة، فرد (سامح) ببساطة:

- " وهل أحتاج لإذن من النيابة لطلب استشارتك؟"

- " استشارة !!!!!!! "

رد (سامح):

- " نعم.. كل ما أحتاجه منك هو بعض النصائح واستشارات، وإذا لم تقبل، فيمكنك أن ترفض بلا مشاكل، وسأكون سعيدًا بالتعرف على رجل مثلك."

لم يعرف (سالم) ماذا يقول؛ ولكن (سامح) عاجله قائلًا:

- " أعتقد -والله أعلم- أنك تمتلك فكرة ليست صحيحة عن الأجهزة الأمنية."

استنشق (سالم) نفسًا طويلًا، وقال بشك:

- " أي فكرة ؟ "

- " فكرة أن جهاز المخابرات العامة يتسلى بتعذيب الرجال على سبيل الرياضة، وأنه يمتلئ بالمعتقلات والسجون الخفية وأدوات التعذيب. أليس كذلك ؟ "

تلجلج (سالم) وهو يرد:

- " لا أقصد هذا ولكن.. "

- " هل سألت نفسك ما الفائدة التي ستعود على الجهاز من توجيه كافة طاقته لتلك الأساطير؟ منذ بداية الجهاز وهو يركز كل مجهوده على الأمور السياسية، والاقتصادية، والعسكرية داخل وخارج مصر، ولا يمكنه التدخل في الشئون الداخلية لمصر، إلا في حدود عمليات المتابعة لشبكات التجسس، أو زرع العملاء، أو الإضرار بالأمن القومي من جهات خارجية. ليسوا هم زوار الفجر، ولا الرجال الأشداء الذين يعذبون المواطنين بدون وجه حق، ولا هم من يحملون المسدسات ليطلقوا الرصاص في كل جهة كالأفلام الرخيصة. ما وصلك هو نوع من الدعاية المضادة، وهي طريقة قديمة في المخابرات، عن طريق بث دعاية تشوه صور الأجهزة الأمنية

داخل الدول المعادية، كيلا يتعاون المواطنون معها، وبالتالي يمكنها استقطاب هؤلاء المواطنين للعمل تحت حسابها، وتجنيدهم بدون علمهم في جمع المعلومات، وبث الدعايات. أنت مثلًا لو كرهت جهاز أمني داخل بلدك لدرجة كبيرة، ثم زميل لك طلب خدمة لتشويه صورة ذلك الجهاز، أو روى لك حكاية فعلها أفراد الجهاز، فستصدقها على الفور بسبب عدم ثقتك في هذا الجهاز الأمني، وبالتالي ستكون أنت الأداة التي تضرب بها الدول الأخرى والمنظمات الدولية داخل بلدك."

تغيرت حالة (سالم) من الخوف إلى الهجوم عندما قال:

- " ولكن أليست الأجهزة الأمنية تمتلئ بالفاسدين؟ لا تقنعني أن جميع من يعملون بتلك الأجهزة هم ملائكة من السماء. وحتى في جهازك أنت، كان هناك قضية انحراف قديمة لو أردت أن أذكرك."

- " من قال أن هناك جهاز أمني يخلو من الفاسدين؟ لكن عندما تهاجم الجهاز بالكامل، فأنت لا تعطي الفرصة للجهات المختصة بالبحث عن الفاسدين، لأنك تعمم التهمة على الجميع، مما يجعل من كان يسير مستقيمًا يتجه للفساد، بسبب اتهامه طول الوقت بأنه الجبار الشيطان. وبالنسبة لقضية انحراف جهاز المخابرات القديمة، فمالا تعرفه هو أن القضية كانت بعد

النكسة، وقد خرج من الجهاز ثلاثة ضباط فقط، وبعض المندوبين، بسبب استخدامهم طرق خارجة في السيطرة على العملاء، واستخدام سلطاتهم في استقطاب المندوبين للعمل بدون موافقته، وقد توقفت تلك الطريقة، لأنها أثبتت أخطاء كثيرة؛ حتى بعد نجاحها الجزئي. إذًا ليس كل الجهاز منحرفا كما اعتقد الكثيرون حتى الآن بسبب تلك القضية، فخروج ثلاثة ضباط من بين مئات من الضباط والعاملين ليس مشكلة، بل هو عدد طبيعي لقضايا الانحراف. وعلى كل، ما أريد قوله إنني جئت اليوم طالبًا مساعدتك بسبب قضية (الجزار) كما أطلقتم عليه."

ظهر على وجه (سالم) عدم الفهم وهو يقول:

- " هل قلت الجزار؟ وما علاقة جهازك بقضية الجزار؟!"

- " ليس هناك علاقة للجهاز، بل كل ما هنالك أنني اشتركت في تحقيقات القضية، لأسباب لن تهمك. والآن هل تريد التعاون معي، أم تفضل الابتعاد؟"

- " وماذا سأستفيد من التعاون؟"

- " الحماية."

قطب (سالم) حاجبيه وهو يقول:

- " حماية ؟!"

- " أنت بتحقيقاتك تعوّق سير القضية، وتحدث بلبلة عامة بين المواطنين، وبالتالي ستدخل في تحقيقات كثيرة، وستمنع من النشر والكتابة في تلك القضية، لحين الانتهاء منها، وربما تم اتهامك بعلاقتك بالجزار، بسبب ما نشرته اليوم من رسالة أرسلها هو إليك. أنا أقدم لك الحماية، واستمرارك في نشر تحقيقاتك، لو أردت التعاون معي، ولن يعلم أحد بهذا.. أما لو رفضت التعاون، للأسف لا يمكنني التدخل لإنقاذك، لأنني لن أمتلك السبب في إنقاذك منهم."

ساد الصمت للحظات، و(سالم) ينظر لسامح، والآخر ينظر له بهدوء، وعلى وجهه تعبير جامد، لا يمكنك أن تستشف منه ما يعقله.

- " برغم عملي في مهنة الصحافة؛ إلا أن والدي كان تاجرًا للأثاث، وقد حاول كثيرًا تعليمي حرفة التجارة، ولكنه فشل. لكن أتذكر عبارة كان دائمًا يقولها: (في بعض الأحيان الصفقة الجيدة تفرض نفسها عليك؛ برغم إنك تراها سيئة)، وأنا أرى أن تلك الصفقة سيئة يا سيد (سامح)؛ ولكن سأقبلها؛ ولا أعلم السبب."

تحفز (سامح) قليلًا وهو يقول بجدية:

- " إذًا أولًا: يجب ألّا يعلم أحد بتلك الصفقة، أو بعلاقاتك بي. ثانيًا: رئيس التحرير يعلم بأني أتيت لك بصفة شخصية، لاستشارتك في أمر ما، ويمكنك أن تقول إن لي صديق يريد طبع ديوان شعر له على نفقته، وكنت أسألك أن تقرأ الديوان، ثم ترشح له مطبعة، وأنني أتيت لك لأن مقالاتك القديمة الساحرة أعجبت صديقي، الذي يكتب الشعر الساحر، ويعتبرك مثلًا أعلى.. ثالثًا: ستقول لي الآن كل ما تعرفه عن تلك الرسالة التي وصلتك، كما تقول في التحقيق أمس، وأريد أن أطلع عليها."

***

تراصت السيارات حول منزل (عمر)، وهي تتنوع بين سيارات الشرطة والمباحث والمعمل الجنائي، وسيارات عادية تحمل أرقامًا مميزة. كان منظرًا يبعث على القشعريرة من كثرة العساكر والضباط، الذين انتشروا حول السيارات. توقفت سيارة (سامح)، المرسيدس السوداء بعيدًا عن تلك السيارات، وترجل منها (سامح) وهو يجد السير، كي يصل إلى المنزل، حينما استوقفه العساكر، سائلين عن سبب وجوده، فأخرج لهم تحقيق الشخصية (كارنيه) الخاص بالمخابرات، فاتسعت عيونهم دهشة، وانزاحوا له عن الطريق.

لم تكف عيناه عن الحركة بمجرد دخوله من بوابة المنزل المفتوحة، وكثيرًا ما اصطدمت عيناه برجال المعمل الجنائي،

والمباحث، والشرطة المنتشرين في كل موضع. سمع نحيبًا يأتي من إحدى الغرف في الطابق السفلي، فاقترب ليجد طفلة صغيرة السن، وفتاة لم تتعد مرحلة المراهقة تبكيان بحرقة في أحضان أمهما، التي أغمضت عينيها، والدموع تذرف منها ببطء. دخل الغرفة، واقترب منهم وهو يواسيهم، ويطلب من الأم أن يسألها بعض الأسئلة، فانفجرت فيه الأم غاضبة، قائلة إن الجميع يستجوبها هي وأطفالها منذ ساعات.

- " أنا لست تابعًا للشرطة أو المباحث يا سيدتي، ولن أثقل عليك في الأسئلة. أما لو كانت أعصابك لا تتحمل الآن فلا مشكلة، وعزائي لك في الفقيد."

سكتت الأم كأنها تفكر، ثم قالت بعنف:

- " ما هي الأسئلة ؟ "

- " كيف اكتشفت ما حدث؟"

- " عندما اندهشنا من تأخر زوجي عن اللحاق بنا لبلدته، كنا على اتصال دائم بهاتفه المحمول، وهاتف المنزل بلا إجابة، ثم في النهاية اتصلنا اليوم صباحًا بمكتبه، فعرفنا أنه لم يصل بعد. زوجي هو من يقود سيارته كل يوم من وإلى مكتبه، ولذلك فقد قررت أن أعود مرة أخرى اليوم وعندما.. وعندما.. "

بدأت الأم تأخذ شهقات متقطعة، وهي تحاول أن تكمل، فلم تستطع، فلحقها (سامح) بسؤال آخر، كي لا يثقل عليها..

- " متى سافرتم البلدة، ولماذا لم يسافر معكم المرحوم؟"

- " أمس عاد (عمر) مبكرًا بعد العصر، وطلب منا أن نجمع ملابسنا تكفي يومين، كي نذهب جميعًا للبلد لزيارة أقاربه. كان طلبًا غريبًا عليه، فليس من عادتنا أن نذهب لبلدته هكذا في أي وقت وبقرار مفاجئ بسبب عمله. ولكن بعد أن جهزنا الحقائب، اتصل بأحد السائقين، الذين يعملون معه، وجاء بسيارته كي يذهب بنا إلى البلدة، وقال هو إنه سيتأخر الليلة حتى ينهي مأمورية، ويقوم باللحاق بنا هناك، وكل تلك القرارات ليست من عادة زوجي، فهو لا يسمح بأن نسافر لأي مكان بدونه."

- " متى اكتشفتم الحادث ؟"

- " حوالي الثالثة والنصف من عصر اليوم، وقد قمت أنا بإبلاغ الشرطة بسرعة."

- " شكرًا لك يا سيدتي."

غادر (سامح) الغرفة وهو ينظر حوله جيدًا ،كي لا يتعثر في عمل رجال المعمل الجنائي، وظل عقله يرتب بعض الأشياء،

ويتذكر عندما اتصل به (حسن المهدي) على هاتفه، وهو يكلمه بصوت عال غاضب قائلًا له إن العميد (عمر) قتل. كانت صدمة لسامح، لكنه تمالك نفسه بسرعة، وهو يستقل سيارته، ويسرع إلى العنوان الذي أعطاه له (حسن)، وهو يفكر في العميد (عمر)، والسر الذي كان يحتفظ. لقد كان هو على القائمة التالية، وقد حاول أن يخفي هذا. لماذا اتصل (حسن) به هو، ليبلغه بتلك السرعة؟

عندما صعد (سامح) للطابق الثاني، وجد (حسن) يقف يتكلم مع مجموعة من ضباط الشرطة بعصبية، فألقى عليهم السلام، فنظر الجميع له بدهشة، وهم أحدهم أن يسأله بغلظة عن هويته، فقال (حسن) بسرعة إنه من جهاز المخابرات، ومكلف بالتحقيق في القضية منذ مدة، ثم أخذه جانبًا، فقال له (سامح):

- "أوصلني إلى الجثة."

سار (حسن) و (سامح) يتبعه، حتى توقف (حسن) عند غرفة يتجمع الرجال حولها، يرفعون البصمات، ويلتقطون الصور، فدخلها (سامح) بهدوء، وهو يشم رائحة نتنة لا يعرف من أين مصدرها. وفجأة.. انفرجت شفتاه لا إراديًا وهو يشهق..

غرفة واسعة.. ذات شرفة كبيرة مغلقة.. وفراش كبير، وخزانة ملابس عالية. كانت مخصصة للنوم، ولكن يبدو أنها مخصصة للضيوف، لأن أثاثها غير متناسق، بمعنى أن الفراش من نوع، والخزانة من نوع، وحتى المقاعد في الغرفة من نوع آخر.. مطلية بطلاء أبيض، قد بدأ يتحول للأصفر بفعل السنين. أما ما شاهده بعد ذلك فهو ما جعله يطلق تلك الشهقة:

(عمر) نائم على ظهره، مغمض العينين، والدماء تملأ الفراش، ورأسه.. رأسه بها انبعاج غريب عند جبهته. على طرف الفراش شيء غريب مليء بالدماء!!

اقترب (سامح) من بين الرجال بحذر، ومعالم الجثة تظهر بوضوح.. الشيء الملقى على طرف الفراش هو قطعة من جمجمة (عمر)، وانبعاج جبهته بسبب أن الجلد يغطي فراغ الجمجمة، لأن المخ مأخوذ منها، والجزء العلوي هو من الجمجمة المكسورة، والتي رميت القطعة المكسورة منها على طرف الفراش. الغرفة منظمة ومرتبة، ولا تدل الآثار على وجود مقاومة من (عمر). توقف (سامح) أمام الفراش، ونظر للحائط الذي يعلوه، وقد كتب عليه بالدماء..

(إذا انتصر عقلي على ضميري، فانا لا أستحقه)

نفس نوع الخط في جميع الجرائم السابقة. هنا جاءت عبارة سريعة في عقله..

وإن كنت لا تصدق أنني أنا من تطلق عليه لقب الجزار، فسأعطيك دليلًا. يوم الثلاثاء ليلًا، سأشبع جوعي من جديد.. سآكل قطعة جميلة من رأس أحدهم.. سأشبع جوعي مرة أخرى، وبرأس هذا الرجل، الذي حلمت كثيرًا أن آكل رأسه، وأتذوق ذلك الطعم اللذيذ الخلاب، الذي يدغدغ معدتي مع كل قضمة.

***

صدق الجزار.. لقد أخذ رأسه، وها هو يكمل جرائمه بدون أن يوقفه أحد. اقترب أحدهم من الجثة فجأة، وهو يلتقط لها صورة عند اليدين، فاستأذنه (سامح) وقال له:

- " آسف، ولكن هل المجني عليه تم ربطه بحبل، أو نقل جثته من مكان للفراش؟"

- " لا يا سيدي.. المجني عليه كان على هذا الفراش منذ بداية ما حدث."

- " وماذا حدث؟"

- " أعطاه القاتل جرعة مخدرة في ذراعه اليمنى، ثم قطع جلد رأسه من الخلف، واستخدم منشارًا معدنيًا دقيقًا في نشر الجمجمة بطريقة دائرية، ثم أخرج المخ، ونقله إلى الدور

الأرضي، حيث يوجد المطبخ، وطبخه ببعض التوابل، ثم قام بتحمير قطعة منه وأكلها، وعاد للجثة مرة أخرى، وكتب الكلمات على الحائط، ووضع ورقة في يد الجثة، ثم غادر."

- " أي ورقة؟"

- " ورقة كتب عليها بضع عبارات بخط صغير."

- " وأين هي؟"

- " ستجدها في حرز دكتور عدلي الآن."

قال الرجل آخر عبارة، ثم اعتدل للجثة مرة أخرى، وأكمل التصوير. أخذ (سامح) يسأل عن دكتور (عدلي)، حتى وجده يضع ورقة ما، خط عليها رقم بجانب طبق في المطبخ، فاستأذنه بأن يرى الورقة، التي كان القتيل يقبض عليها. في البداية، رفض الدكتور بشدة، ولكن عندما عرف هوية (سامح) شعر بخطورة الأمر، فهو لم يتوقع دخول أي من أفراد جهاز المخابرات في الموضوع، ولذلك فقد أعطاه الورقة بعد أن أحضرها من أحد مساعديه. كانت الورقة مفرودة داخل كيس بلاستيكي، فأمسك الكيس، وأمكنه قراءة الكلمات داخل الورقة بصعوبة، بعد أن عدل وضع نظارته على أنفه: (لن يوقفني أحد يا رجل، الدائرة قاربت على الاكتمال، أما

أنت فخارجها، وليس لك ذنب مثلهم. حاول الابتعاد عني، لأنك تبحث عن رجل ميت، فلو وصلت لي ستجدني شبحا. عد لعالمك مرة أخرى، فأنا أحترمك، فلا تضيع هذا الاحترام.)

رفع (سامح) رأسه عن الورقة، وهو يقول في داخله:" تلك الرسالة لشخص معين، وأنا عرفت هوية هذا الشخص الآن، إنه أنا!!!!!"

***

هم ستة أطفال، تتراوح أعمارهم ما بين السابعة والثامنة، عائلاتهم تربطها صداقة من نوع خاص. عندما تجد نفسك فجأة تزور كل يوم شخص ما في المنزل المجاور. ثم تجد زوجتك أصبحت تتبادل التهاني مع زوجة هذا الشخص، ثم بمرور الشهور تجد نفسك فجأة تجلس معه كل يوم أنت وزوجتك وأطفالك، وفي المقابل هو وزوجته وأطفاله يزورونكم يوميًا.. هذه هي الصلة التي نشأت بين أهالي هؤلاء الأطفال، وهي صلة تجمع بين الجيره والصداقة، تلونها تلك الأجواء القديمة الدافئة، التي مازالت تتوارث بين الأهل في الكثير من المناطق الشعبية حتى الآن.

كان أحد الأطفال يمسك كرة صغيرة ملونة، وهو يتحدث مع الباقين. شارحًا لهم إحدى الألعاب الجديدة بلهفة، ومنهم

من يلقي الأسئلة عن طريقة اللعب، ومنهم من تظهر الحماسة على وجهه. وبعد أن انتهى من الشرح وقف اثنان من الأطفال في نهاية الشارع، ووقف أحدهم عند منتصف الشارع وهو يحمل الكرة الصغيرة، والباقي حاولوا الاختباء في شوارع جانبية أخرى، وفجأة سمع الجميع صوتا يصيح من أحد العمارات لأحد الأطفال:

- " ماذا تفعل يا (أحمد)؟ اخرج من ذلك المنزل."

توقف الأطفال عن اللعب بسرعة، وهم ينظرون لهذا الشخص، الذي كان والد أحدهم، ثم اختفى الرجل من الشرفة، وظهر وهو يخرج سريعًا من منزله، ويتجه لهذا الطفل، الذي يقف أمام أحد العمارات، التي لم يكتمل بناؤها. أمسك به وهو ينهره، ويحذر الجميع من الاقتراب من تلك العمارة مرة أخرى.

خرج على هذا الصوت والد أحد الأطفال، وهو يستفسر من الرجل، الذي يبدو أنه يعرفه عما يحدث، فقال له الرجل بأن أحدهم يحاول الدخول لمنزل (آدم)، ففزع الرجل الآخر أيضًا، وتغيرت ملامحه وهو ينهر الأطفال، الذين تجمعوا حوله بشدة، ويأمرهم أن يصعد كل منهم الآن لمنزله، ثم قال كلمة للرجل الآخر، ووافقه الرجل بهزة من رأسه، وتبعه وهو يتجه لأحد المنازل.

كانت جلسة بين مجموعة من الرجال، هم آباء الأطفال، الذين كانوا يلعبون منذ قليل في الشارع، وصعدوا لمنازلهم، وكان الرجل الذي نهرهم يتواجد بين هؤلاء الرجال، وهو الذي يتكلم، وهو يمسك بكوب من الشاي.

- " يجب ألا ننكر موضوع منزل (آدم)."

ارتسمت نظرة الدهشة على الوجوه من جراء فتح هذا الموضوع بالذات، وبخاصة أن هذا الرجل هو الذي قام بالاتصال بهم لأجل أمر هام؛ ولكن الرجل أكمل قائلًا بجدية:

- " اليوم وجدت بالصدفة (أحمد) ابن الأستاذ (علي) يحاول الدخول لمنزل (آدم) وهو يلعب مع أطفالي وأطفالكم، ولكني نهرته في آخر لحظة، و(حامد) شاهد ذلك، وأبدى اعتراضه أيضًا."

نظر الجميع لبعضهم، وملامح قلقة تظهر عليهم، ثم قال أحدهم:

- " (آدم)! هل عدنا لتلك الخرافات مرة أخرى؟"

عاجله أحدهم بغضب:

- " لا يا (محمد).. لا أتفق معك في كلامك، فأنا شاهدت تلك الأشياء أيضًا منذ شهور."

- " أعرف أن ذلك الموضوع بدأ بمجموعة حكايات وتخاريف بعد موت الذي يدعى (آدم) في المصحة العقلية، بعد وفاة زوجته وطفلته في حادثة غامضة. كان الموضوع في البداية بالفعل عبارة عن حكايات تنتشر بوجود روح الزوجة والطفلة في الشقة تحوم بعد موتهم، ولكن لم يظهر شيء، أما أنه منذ شهور تبدأ بعض الأشياء الغريبة في الظهور، فذلك حقيقي بالفعل.. أضواء حمراء تضيء وتنطفئ بالقرب من نوافذ الشقة.. أصوات بكاء تأتي من الشقة في ليال كثيرة.. وكلنا سمعنا أصوات البكاء والنحيب، خرفشات وكأن أحدهم يحتك بجدار النوافذ، وبعض الطرقات على النوافذ. وعندما يصعد أحدهم، ويفتح الشقة بجانب مالك العمارة، يجد بعض الصناديق القديمة المعبأة يغلفها التراب، وبعض الأثاث القديم كما هو، مثلما أصر أهل (آدم) بطريقة ودية مع مالك العمارة، على أن يدفعوا الإيجار شهريًا، مقابل ترك الشقة كما هي، لينتفعوا بها في المستقبل في زواج أحد أقربائهم.

يقول الجميع إنهم يشاهدون أفعالًا غريبة تحدث في الشقة كل ليلة.. هناك من قال إنه سمع ضحكة لرجل أو لطفل، وهناك من أقسم أنه سمع بكاء طفلة صغيرة. أنا متأكد مما رأيت، فقد رافقت بعض رجال الشارع في مرة أثناء فتحهم للشقة. كان الجميع يقرأ آيات من القرآن، ويبسمل، ويذكر

الأدعية بصوت خفيض عند الدخول. فتشنا الغرف، ولم نجد أحد.. العمارة بالكامل لم تسكن بها ولا شقة حتى الآن، ومن كتبوا العقود للإيجار تخلوا عنها، ولم يحضر أحد لاستلام الشقة، ومن حضر وسمع تلك الأصوات، رحل بعد أيام."

قال أحد الرجال موجهًا سؤاله للرجل، الذي كان يتحدث منذ قليل قائلًا:

- " مسكونة؟"

- " لا إجابة على تلك الأسئلة، لأني لا أعرف لها إجابة. ولكن أشعر بالخطر علي أولادي، ولا أعرف السبب. وتلك الشقة تثير الاشمئزاز في نفسي، فلا يقنعني أحدكم أنني فقط من أشعر بهذا."

نظر الكل له، والصمت هو السيد بينهم، ثم قال أحدهم بهدوء:

- " لو كانوا أشباح من ماتوا، لماذا عادوا في ذلك الوقت بالذات؟"

رد أحدهم بهدوء مماثل:

- " ربما عادوا لهدف ما، وعندما سينتهي هذا الهدف، سيختفوا مرة أخرى."

الصمت.. الضيف الثالث الذي يجلس بين (سامح) و (حسن) على تلك المنضدة الصغيرة في إحدى الكافيتريات على النيل. (سامح) صب لنفسه كوب من الماء من الزجاجة الموضوعة أمامه، وأخذ يشرب من الكوب وهو ينظر لحسن، الذي ظهر على وجهه التوتر، برغم أنه حاول أن يتمالك أعصابه، ويظهر الصلابة على وجهه. لقد فهم (سامح) لماذا اتصل به (حسن) عند موت (عمر).. لقد كان (عمر) هو الأب الروحي والمرشد لحسن، والذي -بمجرد موته- فقد ذلك المرشد الذي يوجهه للطريق الصحيح. لكن هذا ليس سبب وجيه كي يلجأ إليه بهذا الشكل إلا إذا كان يشعر بالخوف من شيء بعد موت (عمر).. وهو يعرف أن (عمر) يشارك أسرارًا مع (حسن) بخصوص القضية، وبالتالي عندما يموت (عمر)، فهذا يعني أن الذي يحمل الأسرار الآن هو (حسن).

- " أنت المرشح التالي."

اتسعت عينا (حسن) انبهارًا، وكأن العبارة نزلت عليه كالصاعقة، وهو ينظر لسامح، الذي لاذ بالصمت بعد أن ألقى العبارة. بلع (حسن) ريقه وهو يقول:

- " ماذا تقول يا سيد (سامح)؟"

- " ما سمعت."

- " مرشح لماذا؟"

- " أنت تعرف."

قد توصل (سامح) لاستنتاج غريب، أخذه بالطريقة التي لا يتعامل بها في عمله. هو بدأ يحلل كل ما ورد له من دلائل على القضايا، ثم وجد حلقات ناقصة، لا يمكنه الوصول لها، فقام هو بإضافتها من خلال استنتاج تخيلي.. هؤلاء الرجال تجمعهم صلة واحدة، عملهم ومعرفتهم الشديدة ببعض، اثنان من المخبرين، والباقي من الضباط، لا يجمعهم السن، لا تجمعهم صداقة قبل العمل، لكن يجمعهم إثم ارتكبوه قديمًا. (عمر) حاول إخفاء جزء من ملف (علي)، وهذا يعني أنه لا يريده التوصل لحادثة معينة في ملفه.. وفجأة، يموت (عمر) أيضًا، وبطريقة غريبة -كما قال رجال المباحث الجنائية- حيث إن الأبواب مفتوحة، وهذه ليست طريقة الجزار في الخروج، أن يترك الأبواب مفتوحة، وهذا يرجح احتمال فتح عمر نفسه للأبواب، والغرفة التي كان ينام فيها، لم تكن غرفته، ولم ينم فيها من قبل، بل هي مخصصة للضيوف، ولكن لماذا ينام فيها الليلة بالذات، ولماذا يرسل عائلته _-على غير عادته - إلى بلدته، ويتعلل بحجة غير صحيحة مثل موضوع المأمورية هذا. كل تلك الدلائل غريبة، وكأنه كان ينتظر الجزار الليلة.. وكل هذا يتوافق مع كلمات الرسالة، التي نشرت اليوم صباحًا من خلال رسالة الجزار، التي يقول فيها إنه تعرض لموقف بالفعل

منذ مدة، وهو قد عاد مرة أخرى للانتقام.. بقي استنتاج يجب أن يضعه في الحسبان.. أن (حسن) اشترك مع من ماتوا في الحادثة، التي جعلت الجزار يعود مرة أخرى.. استنتاج يحتاج لمزيد من الدلائل، ولكنه استنتاج تخيلي قائم على الحدس.. وفي عالمه، الحدس والخيال هما السيد في كثير من المواقف.

- " كلامك غير صحيح يا سيد (سامح)."

- " اسمع يا (حسن).. أريد أن أمنع هذا القاتل، ولكن العميد (عمر) رحمه الله كان يبطئ خطواتي، وها هو الآن في ذمة الله، فلا وقت لدينا للكثير من اللهو؛ فقد بقي أسبوع على الضربة القادمة."

حاول (حسن) المحافظة على هدوئه أمام عبارات (سامح)؛ ولكنه فشل، فأصبح يحرك قدميه بقليل، ويهزهما، و(سامح) يقول وهو يضيق عينيه:

- " لقد عاد لكم من جديد، ولكن هذه المرة أقوى من المرة السابقة.. هل تتذكرها؟"

جفت شفتاه تمامًا وهو ينظر لسامح، ويحاول بلع ريقه مرة أخرى، ويشعر بالعجز. (سامح) قد أخذ قراره بمحاصرة (حسن) بالفعل، ولكن بطريقته الكلاسيكية، والتي تجعله يظهر لحسن بمظهر العارف بالحقيقة، ولا يبالي به إن اعترف أو أنكر.

٣

الخميس ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٩

جلس (سامح) في ذلك الصباح أمام مكتبه في الجهاز، وهو ينهي كتابة تقرير خاص بأحد العمليات، ليسلمه في اجتماع اليوم بعد الظهر، ثم قام ببعض الأمور المكتبية، ورفع السماعة، وطلب عامل البوفيه، الذي جاء، فطلب منه كوبا من الشاي، وجرائد اليوم. غاب العامل ربع ساعة، وأتى بكوب الشاي والجرائد، فأخذ (سامح) يرشف من الكوب وهو يبحث بين الجرائد عن جريدة (......) كي يتأكد من مقال (سالم)، وبالفعل وجد مانشيت المقال يحتل جزء ضخما من الصفحة الأولى للجريدة، ويتكلم عن حادثة قتل الضابط، التي نفذها الجزار كما قال في رسالته. لم يتعجب (سامح)، لأنه كان يعلم عن قدرة (سالم) على أخذ المعلومات مقابل مبلغ مالي من داخل الشرطة، وقد اتفق معه في آخر لقاء أنه لن يمنعه، مقابل أن يطلعه على رسالة الجزار القادمة قبل نشرها، وفي نفس الوقت إذا طلب منه تعديل أي جزء من التفاصيل التي تنشر بعدها.. تلك الفكرة ابتدعها ليمكنه إرسال رسائل للجزار بسهولة، لأنه بالتأكيد يقرأ الجريدة، ليتابع نتاج عمله. بعد أن قرأ التحقيق بالكامل، والذي كان هذه المرة بدون صور، وجد

أن لهجة الاستهزاء بالدوائر الأمنية قلت في طريقه كتابة (سالم)، مما سيدخل الشك في قلب الجزار بصلته بجهة أمنية.. يجب تنبيهه لذلك بسرعة، وفي نفس الوقت بدء إرسال الرسائل للجزار عن طريق التحقيقات، كي يحاول الكشف عن معلومات أكثر تخصه.

فكر (سامح) في فكرة، خطرت بباله فجأة.. يمكنه بطرق معينة أن يحصل على ملف (حسن). لو طلب رسميًا الوصول للملف ضابط بمباحث أمن الدولة، فسيتحول الموضوع لحرب بين الجهات الأمنية. يمكنه أن يحول الموضوع لتحقيق رسمي لكثير من الضباط، ولكنه بذلك سينشر البلبلة.. طريقته في إحضار الملف ستغنيه عن تلك المشاكل.

أمسك هاتفه المحمول، وقام بالاتصال برقم ما، وهو ينوي أن يحصل على الملف بأسرع ما يمكن.

***

(الساعة ٢:٤٠ مساءً)

قاعة السينما تغرق في الظلام، وفيلم رومانسي يعرض على الشاشة الكبيرة، والجميع يتابعه بتركيز. وسط المشاهدين جلست (مريم)، وبجانبها (حسن) يشاهدان الفيلم.. (حسن)

يجلس جامد الملامح، وهو ينظر لشاشة العرض متنفسًا بعمق وبطء، أما (مريم) فهي الأخرى كانت تلاحظ ذلك من بداية الفيلم، ولكنها حاولت أكثر من مرة أن تجر قدميه، ليتحدث معها عن الفيلم، ولكنه يبتسم ويتظاهر بأنه يفهم ما تقوله، ويهز رأسه؛ ولكن الحقيقة أن وجهه قد انطبع عليه الغضب منذ بداية عرض الفيلم. أخذت (مريم) قرارها لتخرجه من صمته، فقالت له هامسة:

- " الفيلم أصبح مملًا، لما لا نخرج الآن لتدعوني على وجبة دسمة.. أم أنك ستهرب مني؟"

لم يفهم (حسن) دعابتها، فقام من مقعده، وقامت هي وراءه، وخرجا من قاعة السينما المظلمة لشمس أحد شوارع وسط البلد. ظل هو صامتًا، وهي تنظر له بشفقة، تفكر كيف تخرجه من صمته.. ظلا هكذا إلى أن دخلا مطعمًا شهيرًا، وجلسا إلى منضدة بجانب إحدى الشرفات، فقالت (مريم) بسرعة:

- " لن تتركني اليوم، قبل أن تحكي لي ما يجعلك شريدًا هكذا."

نظر لها لأول وهلة بدهشة، ثم كور شفتيه، ونفخ بحرقة، وقال:

- " لا يوجد ما أقوله."

قالت هي بعناد طفولي:

- " بل ستقول.. هذه أول مرة نخرج فيها منذ زمن، وأراك بهذا الشكل، وتريد مني السكوت، وأن أرسم ابتسامة على وجهي؟"

فجأة اشتعل الغضب في عيني (حسن)، وانفلت لجام أعصابه، وقال بصوت عال غاضبًا:

- " قلت لك لن أتكلم يا (بتول)."

فتحت (مريم) فمها مندهشة، وهي تقول بحذر:

- " (بتول)!!! من هي (بتول) هذه؟"

زاغت عينا (حسن)، وهو يسترجع جملته الأخيرة، ويتذكر أنه قال (بتول).. ياللهول! ما الذي جعله ينطق هذا الاسم؟ شعر بمرارة في حلقه، فأشاح بوجهه عنها وهي تنظر له بدهشة.. مرت فترة، ثم قال هو بأسف:

- " لم أقصد أن أحدثك بتلك اللهجة، ولكن ظروف العمل شغلت بالي الفترة الأخيرة."

وكأنها لم تسمع عبارته الأخيرة، كررت سؤالها بصرامة هذه المرة:

- " من هي (شول) يا (حسن) ؟"

بلع ريقه وقال:

- " اسم فتاة عرفتها منذ سنين."

- " وأين هي الآن؟"

ارتسمت على وجهه ضحكة ساخرة، وهو ينظر للأرض، وقال:

- " هي في القبر الآن."

صدمت (مريم) من وقع العبارة، ولكن أخرجهما من الصمت الصادم النادل، عندما وقف بجانبهما، فطلب (حسن) الغداء، في حين لم تتكلم (مريم).

أحس (حسن) بأن عليه أن يعيد الثقة لمريم مرة أخرى، بإشراكها في أي أمر هام في حياته، فقال لها بحزن:

- " أصدقائي الأعزاء قتلوا."

شهقت (مريم) وهي تضع يديها على فمها، فأكمل (حسن):

- " منذ أسبوعين قتل (علي)، وأول أمس قتل العميد (عمر)، الذي كان يرعاني كوالدي، لذلك كنت أتأخر عليك، ودائمًا في حالة شرود.. "

قربت (مريم) يدها من يد (حسن)، وربتت عليها بحنان، وهي تقول بأسف:

- " أعتذر عندما كنت أتذمر كل تلك المدة، وأنت تتحملني.. أرجو أن تسامحني."

ابتسم (حسن) لهدوئها، وهز رأسه، وقال:

- " أنا لم أغضب منك لحظة واحدة يا حبيبتي."

ابتسمت له، ولكنها فجأة قالت بجدية مستفسرة:

- " كيف قتلوا، ولماذا؟"

ماذا يقول؟ وخاصة أنه لم يكن يقصد أن تعرف هي التفاصيل، فهو أراد فقط أن يلهي عقلها، ويشغلها. لكن القدر أنقذه، عندما رن جرس هاتفه المحمول، فاستأذنها في الرد. كان صديق له في شرطة الآداب، يتكلم معه بحزن.

- " ما أخبارك يا (حسن)؟ أنا (عادل عبد الرحمن)."

- " الحمد لله.. اشتقت لك يا رجل، ما كل تلك الغيبة؟"

- " (حسن).. عندي لك خبر سيء حدث صباح اليوم."

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

- " صديقنا (حلال).. وجدته والدته في غرفته منتحراً، وقد شنق نفسه."

انفتح فم (حسن) مذهولًا، وقال بكلمات متقطعة خائفة:

- " هل تقصد (حلال معز)، الذي نقل من مباحث أمن الدولة لشرطة الآداب عندكم منذ عام؟"

- " نعم هو"

هب (حسن) واقفًا وهو يصرخ:

- " لااااااااااااااااااااااااااااااااا"

***

(الساعة ٥:٢٣ مساءً)

هذا هو الملف إذًا.. أمسك (سامح) بالملف بيديه، وهو يتأمله، ثم يفتحه، ويطالع تفاصيله بدقة. لقد أحضره في مدة لا تزيد عن ثماني ساعات، بعد أن طلب إحضار الملف بطريقة ودية، بدون رسميات، مع وعد بعودة الملف مرة أخرى بعد ثلاث ساعات من استلامه إياه. كان مازال جالسًا داخل مكتبه في الجهاز، وهو يفتح الملف، وبجانبه ورقته المشهورة، التي يدون بها الأفكار، ويمزقها بدقة. اليوم صباحًا توصل لاستنتاج بسيط، كان قد ادخره عندما يحصل على أحد

الملفات.. الاستنتاج بسيط، وهو أن الجزار يلتهم أعضاء من آذوه منذ مدة، وذلك الالتهام هو تمثيل بهم، لإشباع رغبة الانتقام لديه، ولكن الوحيد الذي لم يأكل أعضاءه بعد أن قطعها هو (صابر). والطبيب النفسي أكد له أن الجزار لم يأكل تلك الأعضاء، كمكافأة له على شيء فعله (صابر)، أي أن (صابر) فعل شيئا ما، دل على حسن نية بعد ذلك، وهذه هي المكافأة. بمراجعة تاريخ عمل (صابر) يتضح أنه سوى معاشه فجأة، بدون أسباب واضحة، وافتتح بقالة تحت منزله. من هذا الذي ينهي معاشه في سن مبكر من مهنة يعتبرها البعض كثرًا من الاحترام والشهرة؟! لقد سوى معاشه، وابتعد تكفيرًا له عن ذنبه، وبذلك عندما نحدد التاريخ الذي سوى معاشه فيه، نعرف أنه حدث بعد الحادثة تمامًا، وقد سوى معاشه منذ شهر أغسطس، أي أن الحادثة حدثت قبلها، وبالتالي فالملف الخاص بـ (علي) كان سيدله على القضايا التي اشترك فيها في تلك الفترة. وبعد نقصان أوراق من الملف، حان وقت ملف (حسن)، وبالتالي فسامح يعرف ما يبحث عنه.

- " (آدم محمد عبد الرحمن) "

قالها بنبرات بطيئة، وهو يرفع الورق، ويقربه لعينه أكثر.. إذًا قاسم (آدم) موجود في إحدى القضايا، ولكن يقول الملف

إنه اسم انتحله أحد المجرمين السابقين، ليدير عملية إرهابية لتفجير ملهى ليلي.. هل هو اسم مستعار؟.. ولكن الأوراق تقول إنه تم القبض عليه. نظر بسرعة لتاريخ القبض على المتهم، ثم رفع سماعة تليفونه، وطلب من عامل الهاتف إيصاله بحجرة معينة، فاتصل بها، فقال له إنه يريد نسخة من جريدة (.........) وجريدة (............) وجريدة (............) وجريدة (..........) وجريدة (...........) من تاريخ (١٥ / ١٢ / ٢٠٠٧) إلى (٣١ / ١٢ / ٢٠٠٧).

بعد ربع ساعة، سمع دقات على الباب، فأعطى الإذن بالدخول، ليدخل شاب طويل، وهو يحمل قرص ليزر، ويعطيه لسامح، ومعه ورقة باستلامه القرص، واحتواء المعلومات، فأخذ (سامح) القرص، وأمسك الورقة، ووقع إمضاءه عليها، وأعطاها للشاب شاكرًا إياه، ثم وضع القرص في الحاسب الآلي الشخصي، وبدأ يتصفح الأخبار.

في البداية كان يطالع الأخبار بسرعة، ليعرف محتوى كل خبر على الساحة في وقت الحادثة، فربما كان هناك خبر في الجريدة يتعلق بحادثة التفجير. وبالفعل طالعته الأخبار عن الحادثة الأصلية، وتمكن رجال مباحث أمن الدولة من القبض على المدبر الرئيسي للعملية، واعترافه بها، واشتراك (حسن

المهدي) و(علي حسن عثمان) و(عماد محي الدين) و(علاء حمادة) في فريق التحقيق.

خبر في جريدة أخرى يعيد نفس الخبر السابق. ظل يفند الجرائد خبرًا خبرًا، محاولًا تكوين صورة عامة عن الأحداث في هذه الفترة حتى توقف فجأة عند خبر.

(لغز ملف قضية الأسرة المصرية، التي تعرضت لمحاولة القتل، مازال يكشف أسراره. بعد البلاغ الذي قدمه أحد المواطنين عن وجود جثة فتاة بملابس النوم في أحد مقالب القمامة، وتم التعرف عليها، يزيد اللغز تعقيدًا، خاصة عند ظهور موت طفلتها، التي لم تتعد العامين، داخل شقتها بالمرج، واختفاء الزوج في نفس وقت اختفاء الزوجة. الزوج، ويدعى (آدم محمد عبد الرحمن)، ويعمل مدير حسابات بإحدى الشركات، اختفى في ليلة ١٤ / ١٢. وقد تبين من تقرير الطب الشرعي تعرض الزوجة للاغتصاب العنيف، وموتها نتيجة سكتة قلبية، بسبب المجهود العنيف الذي لم يتحمله قلبها، وخاصةً مع تاريخها المرضي، الذي يظهر أنها مصابة بضيق الشرايين التاجية. وحتى الآن مازال الزوج مختفيًا بلا أثر، برغم مشاهدة البعض له بعد ليلة الاختفاء بيومين).

أخذ (سامح) نفسًا عميقًا وهو يتخيل بعض المشاهد.. اغتصاب.. رمي الجثة.. اختفاء (آدم).. أراح رأسه للوراء ناظرًا للسقف، وقد اكتمل حل اللغز في مخيلته.. أخذ نفسًا عميقًا آخر، ثم عاد مرة أخرى لمتابعة الجرائد، ولكن هذه المرة المتابعة تركزت على أخبار (آدم محمد عبد الرحمن) الذي اختفى.. كلما وجد خبرًا صغيرًا في جريدة من الجرائد يتكلم عن الحادثة، كان يكمل الصورة في ذهنه.. وجدوا (آدم) أمام مقبرة زوجته، وجسده مليء بالجروح المتعفنة، ونقلوه بين الحياة والموت إلى المستشفى.. فقدان ذاكرة جزئي انتابه، لا يتذكر أي معلومات قبل تلك الليلة، نقله لمصحة عقلية خاصة على نفقة عائلته، لإكمال علاجه النفسي والتأهيلي. إلى هنا انقطعت الأخبار عنه.

لا مشكلة الآن في تجميع البازل الجديد بطريقة صحيحة.. (آدم)، الشاب الهادئ، الذي تزوج من الفتاة الجميلة، وأنجب منها طفلته الوحيدة.. الزوجة مصابة بالقلب، ولكن الحياة جميلة برغم كل شيء.. فجأة يختفي الزوج والزوجة ليلة ١٤ / ١٢، وتترك الطفلة في المنزل، وكانت المغادرة بالتأكيد بغير إرادتهما، لأنهما لن يتركا طفلتهما وحيدة حتى تموت من الجوع في المنزل، وتتعفن جثتها. في الغالب -بشيء من التخيل- يمكن لسامح أن يتخيل (آدم)، الذي يتم تعذيبه.. و (بتول) التي اغتصبت.. هناك من حضروا الواقعة، وهم الآتون: (صابر)و (لطفي) مخبران نفذا الأوامر لهما بما فعلا، لذلك كتب الجزار

بجانبهما (لا أرى لا أسمع لا أتكلم) بعد أن أكل الثلاث مراكز، التي لم يستخدموها: الرؤية والسمع والتحدث، (علي) فعل شيء بقدمه في الغالب لبتول، من الممكن أن يكون ضربها، أو أهانها بقدمه، ولذلك أكل لحم قدمه، وقطعها وكتب بجانبه (أقدامي تجرني إلى موتي)، أما (عمر) فيبدو أنه استخدم عقله في مساعدة الفاعل، الذي اغتصب (بتول)، أو في شيء آخر، مما استحق أن يؤكل مخه، ويكتب بجانبه (إذا انتصر عقلي على ضميري، فأنا لا استحقه) والمقصود بها أنه استخدم عقله استخدامًا سيئًا، فحان الوقت الذي يحرم فيه منه.

لكن بعد أن دخل المصحة العقلية، ماذا حدث له؟.. يجب أن يبدأ البحث فورًا، ليعرف كيف له أن يرتكب جرائمه، برغم وجوده في المصحة.

عاد مرة أخرى للكومبيوتر، وهو يحفظ بعض التفاصيل، كالمنطقة التي يسكن بها (آدم) قبل الحادثة، واسم الشركة التي كان يعمل بها، حتى يبدأ البحث، فلا يمكن أن يثق بأحد بعد الآن، لأنه لا يعرف بعد من اشترك أيضًا في تلك الحادثة.

***

(الساعة ٧:١٩ مساءً)

عاد (سامح) مرة أخرى للمكتب، الذي أعدوه له في أحد مباني مباحث أمن الدولة، وعندما شاهده العسكري، الذي

كان مكلفًا بالوقوف على باب مكتبه لتلبية طلباته، جرى وراءه مهرولًا، وهو يرفع يده بتحية عسكرية بسيطة، ووجهه في الأرض وهو يقول:

- " تحت أمرك يا (باشا)."

أكمل (سامح) مسيرته، وهو يقول بملل:

- " شكرًا.. لا أريد شيئا."

- " قلت في نفسي أن أبلغك بأن الكثير من الباشوات ذهبوا لحضور جنازة (جلال)باشا رحمه الله."

توقف (سامح)، ونظر له وهو يقول باستفسار:

- " من هو (جلال)؟"

قال العسكري بسرعة:

- " (جلال)باشا خدم معنا سنة كاملة، وكان الجميع يحبونه، رحمه الله، ولكنه طلب -منذ عامين على ما أذكر- أن يتم تحويله لمباحث الآداب. الله يرحمه."

- " كيف مات؟"

- " لا نعرف يا (باشا)."

ثم نظر حوله، وقال هامسًا:

- " هناك إشاعة تقول إنه مات منتحراً ليلة أمس، ولكني لا أصدق هذا، فجلال باشا رجل يتقي الله، وليس من النوع الذي يقدم على الانتحار."

نظر له (سامح) وقد تصلبت حدقتا عينيه على العسكري، في حين أنه نسي السبب الرئيسي لحضوره لهذا المبنى.. الدائرة تكتمل على ما يبدو، ولكن يبدو أحد من كانوا على القائمة لم يتحمل انتظار دوره القادم.

***

(السبت ٢٨ / ١١ / ٢٠٠٩)

يمر صباح آخر على (سامح)، وهو مازال يعمل بالجهاز، ويظل ساهراً حتى الصباح في العمل، كما كان يفعل في الأيام، التي يطلع عليه الصباح فيها في العمل، ويضطر لعدم تركه. قام يصلي الفجر في المسجد الصغير الملحق بالمبنى، ثم صعد للكافيتريا، وتناول الإفطار، ثم صعد ليشتري الجرائد، واتجه إلى مكتبه، وبعدها قام بالاتصال بزوجته، ليوقظها ليطمئن عليها وعلى الأطفال، ثم يعود مرة أخرى لعمله. ولكن هذه المرة فتح جريدة (.......) بسرعة ليقرأ مقال (سالم)، الذي تكلم فيه عن انتحار الضابط المصري.. هذه المرة (سامح) هو من أمر (سالم) بأن يكتب عن حادثة انتحار الضابط. وعندما يكتب

(سالم) عن حادثة انتحار الضابط، بدلًا من متابعة تحقيقات قضية الجزار، ويشرح تاريخ الضابط، الذي عمل بأمن الدولة سنة، قبل أن يطلب هو نقله لمباحث الآداب، وصلة صداقته بالضباط الذين قتلوا في الأيام السابقة.. كل هذا من شأنه أن يضم (حلال) للدائرة.

كان (سامح) –في يوم الجمعة– قد قام بجمع المعلومات عن (حلال)، وعمله، وبعض الصور من المعمل الجنائي، وقام بإيصالهم لسالم، ووصاه بكتابة هذا المقال في هذا التوقيت، وخاصة أنه بهذا المقال يربك خطط الجزار، وطريقة قتله المتسلسلة كل يوم ثلاثاء، مما يجعله يقع في الأخطاء، ويمكن عمل كمين له.

أمسك هاتفه المحمول، واتصل برقم، وانتظر حتى رد الرجل على الطرف الآخر، فقال له:

- "ما أخبار تحليل دماء (عمر) يا (محمد) ؟"

- " اكتشف الطب الشرعي أن القتيل حقن بمادة (بنتوثال الصوديوم)، ثم تبعها بالمورفين بجرعة بسيطة، لأن البنتوثال قام بتخديره بدرجة كافية، سمحت بغيابه عن الوعي، ولكنه عالجه بالمورفين، كي يفقده الوعي تمامًا."

- " وتحليل الورقة التي وجدت الجثة تمسكها؟"

- " الورقة لا تحتوي على أي بصمات، سوى بصمة باهتة للمجني عليه.. الورق المستخدم والحبر منتشرين جدًا، وليس هناك ما يميزهم.. تحليل الخط مطابق مع الورقة التي أعطيتها لنا، ونفس نوع الخط والحبر والورق مطابق.. ليس هناك جديد."

شكره (سامح) وهو يغلق الخط، ثم يسند ذقنه على يده مفكرا بعمق.. أميتال الصوديوم أو بنتوثال الصوديوم.. ما فائدة استخدام تلك المادة؟ دائمًا هناك سؤال يشغل باله.. كيف يعرف (آدم) بعناوين الضحايا، وأماكن تواجدهم بدقة؟ هل بنتوثال الصوديوم هو السبب؟.. كيف عرف (آدم) بوجودي، وترك لي رسالة في يد (عمر) بعدما مات؟.. هل استجوب (عمر) عن طريق هذه المادة؟ كيف يستطيع (آدم) معرفة طريق الاستجواب عندما يحقن بنتوثال الصوديوم لعمر؟.. هناك طريقة في إلقاء الأسئلة، والتعامل مع الشخص المخدر، كيف يمكنه معرفتها ؟؟؟؟

اليوم سيبدأ بحثه بعد انتهائه متابعته لملفات آخر العمليات، وسيبدأ بحثه من المناطق التي بدأت فيها تلك المشاكل.

***

(الساعة ٢:٥٥ مساءً)

هذه المرة لم يستطع أحد أن ينكر أن (حسن) في حالة عصبية غير طبيعية من الهالات السوداء، التي تكونت تحت عينيه، ونظرته المتسعة الشاردة، وملامح وجهه التي تنذر ببركان من الغضب، سينفجر في أي لحظة. كان يجلس يدخن سيجارة على مقعد الصالون أمام والد (مريم)، و (مريم) نفسها، التي جلست تنظر له بشفقة وحنان، وهو لا يدري من نظراتها شيئًا.

كان والدها قد دعاه على الغداء هذا اليوم، وبالفعل أتى (حسن)، وتناولوا الغداء، وها هم يجلسون ليشربوا الشاي، ومازال (حسن) صامتًا منذ جاء. هنا قال الأب لحسن بابتسامة ودودة:

- " أنا ذاهب لأحضر لك بعض الحلوى يا بني.. هل تريد شيئًا آخر؟"

انتبه (حسن) وهو يقول بأدب:

- " لا يا عمي أشكرك، لا تتعب نفسك."

قال الرجل كلمة ما بابتسامة، ثم ذهب إلى المطبخ. تحركت (مريم) من مقعدها، وجلست على مقعد قريب من (حسن)، وقالت:

- " لماذا لم ترد على هاتفك أمس وأول أمس يا حبيبي؟"

- " لم تكن حالتي تسمح بذلك."

قالها باختصار وهو ينظر لعينيها الجميلتين، ويفكر في فكرة غريبة.. ماذا لو ارتمى على صدرها وبكى بحرقة، وأخذت هي تربت على رأسه، مثلما كانت أمه تفعل في صغره؟.. لن يمكنه ذلك؛ لكنه يتمناه.. ما في قلبه من هموم يجعله يتمنى البكاء، ولكنه -حتى وهو وحيد في شقته- يخشى من البكاء.. يخشى أن تنزل الدموع من عينيه وينهار.. يحتاج إلى من يعطيه الأمان، كي يمكنه البكاء ويمكنه..

- " هل تبكي يا حبيبي؟"

قالتها (مريم) بلوعة، وهي تنظر له، فانتبه (حسن) سريعًا للدموع التي غادرت عينيه، وأغرقت خديه، فانتفض، وأخذ يمسحها بيديه، ولكنه فوجئ بدموعه تنزل بغزارة أكثر، وهو مازال يمسح. وفجأة.. وجد يد (مريم) ممتدة بمنديل ورقي، تمسح دموعه برقة، فأجفل لحظة، وقد تسمر جسده، ثم هدأ، وأخذ منها المنديل، ليكمل هو إيقاف دموعه، التي أصبحت كالأمطار:

- " أعرف أنك لن تحكي عن مشاكلك بالتفاصيل.. ولكن هل تسمح لي أن أقول ما بداخلي؟"

انعقد حاجباه من الدهشة، وهو يشاهدها تبتسم له برقة، وتقول بنبرات ساحرة:

- " أنا أحبك يا (حسن)، وأعتبرك زوجي -لاحقًا- ودائمًا ما أشعر بتقصيري في حقك، وأنت تحمل همومك وحيدًا، وكان من واجبي أن أحملها معك.. لكم أتمنى أن تتقابل في آخر كل يوم، وتروي لي كل ما كان بيومك، وأنا أشاركك فرحك وحزنك.. تناقشني في كل صغيرة وكبيرة.. نشعر معًا أننا شخص واحد. واليوم، أتوسل إليك أن تحكي لي عما يدور بخلدك. سترتاح، أعرف ذلك.. قل لي كل ما يخيفك، وكل ما يغضبك، وكل ما يحزنك.. اعتبرني زوجتك، لو لم ترني حبيبتك."

كلماتها كان لها تأثير غريب على روحه، كأن عباراتها تنفذ إلى روحه مباشرةً وتطمئنه.. كأنه تحول لطفل مرة أخرى، ويستمع لكلمات أمه وهي تطمئنه، وتقول له إنها ستحميه من عقاب أستاذه في الفصل. ابتسم لها بسخرية، وهو يقول:

- " سأموت بعد أيام."

لم يظهر على وجهها أي تعبير، ولكنها قالت مستفسرة:

- " ماذا قلت؟"

- " سأموت بعد أيام، وبالتحديد سأقتل يوم الثلاثاء."

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

ضحك فجأة كالمجانين بسخرية وهو يقول:

- " وهل تعرفين سبب قتلي؟"

- " ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ "

- " لأني قتلت عائلة منذ سنة، ورب العائلة عاد مرة أخرى من الموت، لينتقم مني."

شكت (مريم) في قواه العقلية؛ ولكنها قالت له بهدوء:

- " (حسن) يا حبيبي.. إن أعصابك اليوم ليست... "

قاطعها (حسن) غاضباً:

- " لا وقت للغباء الآن يا (مريم).. يجب أن تسمعيني. الجميع ماتوا، وحتى (جلال) لم يتحمل الانتظار، وانتحر قبل أن يأتيه الجزار.. ثلاثة من المخبرين، وثلاثة من الضباط، وأنا.. مات اثنان من المخبرين، والثالث قد مات منذ سنة في مأمورية، والضباط هم (علي) و (عمر) و (جلال)، والجميع قتل، والأخير انتحر، وبقيت أنا.. أنا من بقيت، هل تفهمين؟"

ردت (مريم) بعصبية مماثلة وهي تقول:

- " لا زلت لا أفهم ما تقول.. ماذا تقصد، وماذا حدث؟"

أخذ (حسن) نفسًا عميقًا، وعادت الدموع تسكب منه، ولكنه هذه المرة لم ينتبه لها، وقال:

- " سأروي كل شيء منذ البداية، ولكن لا تقاطعيني."

ثم بدأ يتكلم.. وعين (مريم) تتسع بفزع مما تسمعه.

***

بجانب منزل (آدم) جلس (سامح) على القهوة، وهو يرتدي بذلة سوداء، وقميص أبيض، وقد تخلى عن نظارته، وارتدى عدساته اللاصقة. رشف رشفتين من كوب الشاي الساخن، الذي وضع بجانبه، ثم نظر مرة أخرى للعمارة، التي لم يكتمل بناؤها.

- " آسف لتطفلي.. هل يمكن أن أسأل عن شيء ما؟"

كان (سامح) يقول تلك العبارة لرجل وقور، يجلس على منضدة بجانبه، ويدخن الشيشة، فنظر له الرجل قائلًا بلطف:

- " تحت أمرك."

- " أبحث عن شقة جديدة، لأنتقل فيها أنا وعائلتي.. وأرى تلك العمارة تبدو خالية.. هل أحد فيها شقة؟"

- " أي عمارة تقصد؟"

- " تلك.. "

قالها (سامح) وهو يشير بيده إلى عمارة (آدم)، فنظر الرجل لاتجاه يده، ثم ظهرت على ملامحه الخيبة، وقال لسامح:

- " لا أعتقد أنك تريد أن تسكن في تلك العمارة بالذات."

- " لا أكذب عليك خيرًا، فإن لي صديقا يسكن بالقرب من هنا، وعندما فاتحته بعثوري على عمارة بشارع (......) ووصفتها، قال لي كلام عن العفاريت، ولكني لم أصدقه."

سحب الرجل نفسًا عميقًا من الشيشة، وارتسمت ملامح الجدية على وجهه، ثم قال:

- " اسمع يا أستاذ.. أنصحك بألا تقترب من تلك العمارة، فسمعتها سيئة جدًا، منذ حادثة حدثت لأحد القاطنين فيها."

- " حادثة؟ هل الموضوع حقيقي؟"

ظهرت ملامح الدهشة -والتي رسمها (سامح) بمهارة- على وجهه، فرد عليه الرجل، وقد بدأ يستمتع بالحديث:

- " منذ سنتين، كان يسكن في تلك العمارة رجل يدعى (آدم)، أهل الحي يحبونه وهو يحبهم. كنا نشاهده معنا في

المسجد عند الصلاة، حتى صلاة الفجر.. كان طيبًا ودودًا، وكما يقول المثل (إنسان في حاله)، وقد انتقل إلى العمارة هو وزوجته، ورزقهم الله بطفلة صغيرة. فجأة.. في ليلة اختفى الجميع، أو للحق يقال، ظهر فجأة (آدم) -كما قال عم (كرم)- عند آخر الشارع، وهو عارٍ، لا يرتدي سوى قطعة من ملابسه الداخلية، وعلى جسده تنتشر الجروح، وكان في حالة من الهذيان والذهول، كأنه لا يعرف من هو، ثم صعد إلى شقته، ونزل منها جريًا، فصعد عم (كرم)، ومعه رجال من الشارع، فوجدوا باب الشقة مكسورًا، فدخلوا، وفوجئ الجميع بجثة الطفلة في غرفتها، والشقة خالية تمامًا. بدأ البحث عن الزوجة والزوج من قبل الشرطة، وتبين أنهم وجدوا جثة الزوجة ملقاة في الشارع، بعد اغتصابها وقتلها قبل يومين.. المهم، بعد أسبوع عاد (آدم) مرة أخرى، ووجدوه أمام قبر زوجته وطفلته، فنقلوه إلى المستشفى، وهو يقول إنه لا يتذكر أي شيء، وبعدها دخل لمستشفى المجانين، ومات هناك بعد شهور، وقال البعض أنه اختفى، لكن حسبما أخبرنا والده، الذي يأتي للشارع كل شهر، ليترك إيجار الشقة لصاحب العمارة، إن الجثة لم تظهر بعد موته، وكأنها تبخرت. ويقول البعض إن والده أخفى الجثة، كي لا يتم تشريحها.. المهم أنه منذ عام، ظهرت أصوات من داخل الشقة، وأضواء، وبعدها

كل من سكن شقة داخل العمارة كان يشتكي من الأصوات المرعبة، التي تأتي كأصوات صراخ، وهمهمات، وبكاء، ودقات، والكل ترك شققه، ومازال الوضع كما هو حتى الآن."

- " وهل قام أحدهم بفتح الشقة مثلًا، ليعرف مصدر هذه الأصوات؟"

- " نعم.. كثيرًا ما فعلنا، ولكننا لا نجد سوى الأثاث القديم، وبعض الصناديق التي تمتلئ بكتب كثيرة، وأدوات قديمة."

كان هذا هو الشخص الرابع، الذي يسمع منه (سامح) الموضوع، وحكاية (آدم)، وقد كون فكرة عامة عما حدث، ولكن ما شغل باله هو سر تلك الأصوات، التي تأتي من الشقة.. هل من الممكن أن تكون خيالات وأساطير من أهل الحي؟.. بالفعل الخيالات يجب أن تدخل في صلب الحكاية، لكن ماذا لو كان هذا صحيحًا؟!

***

خرج الأب من المطبخ مندهشًا، وهو يرى (مريم) تنهض من المقعد، وتجري ناحية غرفة النوم، وهي تضع يدها على فمها وتبكي. لقد كان يشاهد بطرف عينيه من البداية ما

يحدث في الصالة بين (حسن) و (مريم). وكان يشاهدهما يتحدثان، ثم رأى (حسن) يغضب في الكلام. ويهدأ، ويتكلم مرة ثانية بهدوء، وعندما انتهى، بكت (مريم) ، قامت تجري!

- " ماذا حدث يا (حسن)؟"

قالها الأب بلهفة، تشوبها الدهشة، فنهض (حسن) من المقعد، وقال بأدب:

- " آسف يا عمي، لكن يبدو أني أغضبت (مريم) بكلامي.. أنا في حالة سيئة، وأعتذر مرة أخرى. سأحاول أن أطيب خاطرها عندما تهدأ."

- " ماذا قلت لها يا بني؟"

شرد بصر (حسن) للحظة وهو يقول:

- " قلت لها كل شيء."

***

الساعة ٢:٥٠ صباحًا (في ليلة السبت)

لا يعلم أحد ما حدث، لكن (سامح) استطاع أن يجلس في غرفة (النوبتجية) الخاصة بالممرضين، الذين يأخذون فترة العمل الليلي، وممرضة اسمها (عزة) تجلس أمامه، وهي تعرض عليه ملفات، وورق، وصور إشاعات، وتحاليل.

- " إذن فقد أصبح (آدم) في آخر أيامه لا يملك السير على قدمه اليسرى، ولا يرى بعينه اليسرى، وأصاب وجهه نوع من الجمود، مع موجات بكاء بلا صوت أو تغير في وجهه.."

- " نعم.. وهناك تقارير عن حالة صوته، التي تدهورت، وأصبح علامات استفهام، وكأن هناك مشكلة بالأحبال الصوتية، ومجموعة الأطباء اختلفوا على التشخيص النهائي في تقاريرهم كما ترى يا (سعد) باشا."

قالت (عزة) عبارتها الأخيرة وهي تعطي (سامح) مجموعة من الأوراق، أخذتها من ملف في يدها، فأمسكها (سامح) وهو يراجعها، و(عزة) تقول:

- "أثناء تنظيف غرفته بعد الاختفاء، وجدنا ورقة مليئة بالـ(شخبطة) وها هي"

تناولها (سامح) وهو يتطلع لها بدقة.. الورقة مليئة بالخطوط الكثيرة، لكن هناك مجموعة متشابهة من الخطوط. رسم مشابه لرسم السهم، ومكررة سبع مرات بشكل غريب.. ثلاثة أسهم بحجم صغير جدًا تحت بعضهم، وثلاثة آخرون بجانبهم، أكبر منهم قليلًا، وسهم وحيد بعدهم، هو أكبرهم وأوضحهم.

باقي الورقة عبارة عن خطوط بسيطة، ودوائر لا تشترك في شيء، إلا أن الممرضة قالت بحرج وهي تشير للورقة:

- " دكتور (عاطف)- عندما رأى الورقة، قال بأن الدوائر تشير إلى أنه يفكر في طريقة لفعل شيء، لكنه يفشل.. وكل دائرة تعني أنه يحاول التفكير في نفس الشيء بلا جدوى. أما النقط المتناسقة، فتعني أن عقله أصبح هادئًا، وأنه أخذ قرارًا يريح باله.. والأسهم يشيرون إلى أشخاص في حياته، إما يمثلون مثله الأعلى، وإما يمثلون فشله.. مازلت أتذكر كلامه جيدًا."

أمسك (سامح) بباقي الملفات والتقارير، حتى توقف عند صورة لآدم.. شعر اسود، عيون واسعة، ابتسامة تظهر أسنانًا بيضاء، هذا هو (آدم) قبل ما حدث.. ترى ما هو شكله الآن؟

نظر فجأة للممرضة، وقال متذكرًا:

- " ماذا قلت لي عن الرجل الذي كان يزور (آدم) بانتظام؟"

- " كلنا رأيناه، ولكنه كان دائمًا ما يخفي وجهه."

- " حاولي أن تصفي لي طول جسده، وتقاسيمه، وما تذكرينه من وجهه."

أخذت الممرضة تصف بيدها تكوينه الجسدي، وبعض العلامات المميزة في جسده، ومشيته، وكل ما تتذكره عنه.. ثم جلست مرة أخرى على مقعدها منهكة..

انتظرت قليلًا، ثم قالت بأدب:

- " سأغادر الغرفة الآن، وأتركك على راحتك. أي شيء تحتاجه يمكنك أن تطلبني على هذا الرقم في أي وقت، وعندما تريد المغادرة أنت تعرف الطريق كما اتفقنا."

قامت الممرضة وهي تمد يدها مصافحة (سامح)، الذي قام وهو يقول لها شاكرًا:

- " تلك الخدمات التي قدمتها لي لن أنساها.. أشكرك مرة أخرى"

صافحته، وغادرت الغرفة، فجلس (سامح) مرة أخرى، وهو يشحذ تركيزه مرة أخرى، ويمسك بالورق ليراجعه هذه المرة بتركيز كامل، لدراسة حالة (آدم) النفسية بدقة.

***

الجزء الرابع

النهـــاية

(النهاية هي أمتع جزء في القصة، ونهايتي هي اللون الرمادي، ألا تراه معي ؟؟؟)

١

الأحد ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٩

ضغط (سامح) على جرس الباب، وقبل أن يكمل ضغطته، انفتح الباب، فيبدو أن هناك من كان يقف خلفه. نظر، فوجد شابًا لم يتجاوز العشرين، ينظر له مستفسرًا، فقال (سامح):

- " أستاذ (محمد عبد الرحمن) هنا؟"

- " نعم.. نقول له من يريده؟"

- " (سامح صبحي).. مخابرات."

بهت الولد لحظة، ثم جرى لداخل الشقة، ومرت ثوان، وسمع (سامح) من الخارج جلبة، وأصوات نقاش واستنكار، ثم ظهر على الباب ثلاثة رجال، يرتدون ملابس المنزل، وعلى ملامحهم علامات الترقب، فقال أولهم، الذي ظهر أنه نسيب للعائلة:

- " تحت أمرك يا فندم.. أنا ضابط شرطة.. ماذا يحدث؟"

في حين قال أكبرهم سنًا بهدوء:

- " تفضل يا سيد (سامح)."

دخل (سامح) وهو ينظر في الأرض، حتى أوصله الرجل الوقور للصالة، فجلس بها، وجلس الرجلان على المقاعد، وأتى رجل آخر من مكان ما، فقال (سامح):

- " لقد أتيت اليوم بشكل ودي، فلا داعي للقلق."

تبع تلك العبارة بأن أخرج "كارنيه" من محفظته، وأعطاه للرجل الذي يجلس ويقول أنه ضابط شرطة، والذي قال بعد أن نظر فيه بتمعن:

- " أهلًا بك يا سيد (سامح)."

نادى الرجل الوقور -والذي سنعرف أنه (محمد عبد الرحمن)- على اسم فتاة، فأتت طفلة في الثامنة تجري، فنظر لسامح قائلًا له:

- " ماذا تشرب؟"

- " كوب من الشاي لو أمكن."

فنظر (محمد) إلى الطفلة، وقال:

- " خمسة أكواب من الشاي يا (هالة) بسرعة."

ثم عاد الرجل ينظر إلى (سامح)، الذي قال شارحًا:

- " لا أريد أن أضحكم في موضع قلق كثير. جئت اليوم لأضع النقاط على الحروف.. هل تعرفون قضية الجزار؟"

نظر الرجال لبعضهم، ولكن تلك النظرة ليست نظرة اندهاش، بل نظرة من يعلم بالاسم جيدًا.. فأكمل (سامح):

- " وبالطبع لو كنتم تعلمون بقضية الجزار، ربما تعرفون أن أحد المجني عليهم كتب بدمائه (آدم عاد).. هل تمثل لكم تلك العبارة شيئا؟"

بحق ظهرت ملامح الدهشة على وجوه الرجال، الذين لم يتكلموا للحظات، حتى تكلم (محمد) في البداية قائلًا:

- " أولًا قبل أي شيء، سألت عن (محمد عبد الرحمن)، وأنا هو يا ولدي.. وثانيًا تقول قضية الجزار، وهي قضية مشهورة جدًا، والجميع يعلم عنها. ولكن تقول (آدم عاد)، وبالتالي أنت تقصد ربط اسم (آدم) باسمي، أليس كذلك؟"

كان (سامح) يستمع له بإنصات، معجبًا بصراحته، وبعد انتهائه قال:

- " نعم.. ابنك (آدم)، هل ظهر بعد اختفائه؟"

- " ماذا تقول؟"

قالها أحد الرجال، بينما ظهر التحفز مختلطًا بالدهشة على باقي الوجوه، ولكن (محمد عبد الرحمن) قال:

- " لا لم يظهر."

هذا الرجل يكذب.. قالها (سامح) في نفسه وهو ينظر لعين الرجل الضيقة، التي تحمل لمعة ذكاء، فقال:

- " (آدم) مازال على قيد الحياة، أليس كذلك؟"

- " لا نعلم."

أجابه (محمد) بالعبارة الأخيرة، ثم تبعها بأن قال بسؤال:

- " لكن لحظة!! ما علاقة المخابرات بولدي؟ وثانيًا ما علاقة ولدي بالجزار؟"

- " (آدم) هو الجزار."

انتفض الجميع في جلستهم، وظهرت الهمهمات، وعبارات التعجب من الجميع، ولكن العجيب أن (محمد) بالرغم من دهشته، ولكن عينيه مازالت تحمل شيئًا ليس طبيعيًا، ولكن أحد الرجال قال:

- " ما هذا الذي تقوله يا حضرة الضابط؟ (آدم) قبل اختفائه كان يعاني من مشاكل بالحركة والرؤية، وحالات من الهذيان، وأنت تتكلم عن قاتل محترف، فشل الجميع في ملاحقته، كما عرفت من الصحف."

هنا قال الضابط:

- " لماذا يفعل (آدم) هذا، لو كان هو الجزار كما تقول؟"

- " للانتقام."

قال (سامح) العبارة السابقة، وهو ينظر إلى (محمد عبد الرحمن)، والآخر ينظر له بغموض، في حين قال الأخير:

- " هل تعرف أنه منذ أسابيع، أخبرني أحد رجال الشارع الذي كان يعيش فيه ولدي، أن هناك رجال من المباحث يسألون عن (آدم)؟ وقتها لم أفهم لماذا ولدي بالذات.. وحتى الآن مازلت لا أفهم، ولكني تأكدت أن الجميع متأكد أن ولدي يقتل الناس، ويأكل جثثهم بلا سبب.. وتقول أنت إنه الانتقام. لو كان هذا فيلم من أفلام الدرجة الثالثة الأمريكية، عندما يقتل الأشرار زوجة البطل وابنه، ثم يعود البطل للانتقام منهم، لكنت صدقتك.. ولكن أنت تتكلم عن شاب تدمر نفسيًا، وعقليًا، وجسديًا، واحتمالات وجوده على قيد الحياة ضعيفة، ثم تقول ببساطة إنه عاد لينتقم!"

- " (آدم) ظلم في حياته، وأنا أعرف من هم الجناة، وأعرف من فعل هذا به وبزوجته."

هب رجلان يقفان، وشهق رجل آخر، واتسعت عينا الضابط، أما (محمد) فقد ارتسمت ملامح الغضب على وجهه، وهو يخاطب (سامح):

- " ماذا قلت؟"

- " قلت إنني توصلت لحل قضية (آدم)، ومن فعل به هذا، ولكن (آدم) يسبقني إليهم، قبل أن يقدموا للمحاكمة.. (آدم) يقتلهم واحدًا تلو الآخر، أما أنا فأريد لهم أن يقدموا للمحاكمة أمام الجميع، ويحصلوا على جزاء فعلتهم."

- " من هم من فعلوا بولدي و(بتول) ذلك؟"

- " هم من قتلهم ولدك."

- " ومن الباقي؟"

كان (محمد) و (سامح) ينظر كل منهما للآخر، والعيون تلتقي في لمعة من الذكاء والمكر، واللحظات تمر، حتى قال (سامح):

- " من بقي يمكنني أن أجعله يشنق أمام الجميع، وتعود كرامة ولدك مرة أخرى إليه، ولكن بالقانون. كل ما أريده أن أجده، لأقول له أن يتوقف، ويترك لي آخر مهماته لأقدمه أنا للمحاكمة.. ما يفعله ليس انتقامًا، بل هو خروج عن القانون.. لو كل شخص آذاني أقتله بدون اللجوء للقانون، فستتحول الدنيا إلى غابة."

لم يرد (محمد) في البداية، ولكن غضبه قل، وهو يقول بسخرية غير ظاهرة:

- " هل اغتصب أحدهم زوجتك، وقتلها يا بني؟ وهل ماتت طفلتك من الجوع؟ وهل عذبت أنت، وظلمك الجميع أياما؟ هل فقدت عينك، وقدمك، وأصبحت مريضا نفسيا؟.. أنت تتكلم من موضع قوة يا بني، فلن تفهم مشاعره."

زرعت العبارة السابقة الشك في قلب (سامح) نحو والد (آدم)، وبالفعل استنكر الضابط كلام (محمد)، مانعًا إياه من الاسترسال، ولكن (سامح) قال:

- " أنا متيقن أن (آدم) ليس على صلة بكم الآن.. ولكن كنت أتمنى لو أجد خيطًا، أحاول منه منع (آدم)، لتقديم آخر المتهمين للعدالة."

نهض (سامح) بعد أن قال آخر عبارة، فنهض الجميع، ولكن (محمد) أجلسهم بإشارة من يده، ونهض هو كي يوصل (سامح) لباب الشقة.. وعندما فتح (محمد) باب الشقة، وأشار لسامح بالخروج بأدب. فجأة سمع (سامح) صوت الرجل وهو يقول له بصوت هامس هادئ النبرات:

- " منذ أكثر من عام، كنت نائمًا بفراشي أنا وزوجتي.. وجدت من يفتح باب الغرفة بهدوء، ورأيته في الظلام يقترب من الدولاب، ويفتحه ويفتح أحد الأدراج، التي أحفظ دائمًا نقودي بها، وأخذ من النقود خمسة عشر ألف جنيها، وترك

الباقي، ثم نظر لي ولزوجتي قليلًا لدقائق، وبعدها خرج من الغرفة.. لم أتكلم. ومنذ ستة أشهر، دخل نفس الرجل الغرفة في الظلام، وفتح نفس الدرج في الدولاب، وأخذ مبلغ ثلاثين ألف جنيها، وترك باقي النقود، وأخذ ينظر إلينا مرة أخرى، ثم خرج. كان هذا الرجل يعرج وهو يسير.. اسمع يا بني.. لا أعرف كيف قلت لك هذا، ولكن أحلفك بالله لا تؤذي (آدم) لو شاهدته."

كان (سامح) يسمع الكلمات السابقة، وهو يعطي ظهره للرجل، ولكنه نظر له بعدها، فوجد الدموع في عين الرجل.

- " يا أستاذ (محمد).. ولدك لغز لا أعرف أأكرهه أم أتعاطف معه، أقتله أم أحميه.. أنا أبحث عنه، ولا أعرف ماذا سأفعل معه بعد ذلك.. ربما هو يعرف."

***

الاثنين ٣٠ / ١١ / ٢٠٠٩

هل أتى الليل؟ كم بقي يا ترى؟ ماذا سيحدث عندما يأتي؟ كلها أسئلة تدور في عقل (حسن)، الذي جلس على مقعد في غرفته بجانب الفراش، واضعًا قدمه أمامه في تلك الجلسة الأمريكية على طرف فراشه، ويرتدي منامته، التي يظهر من عدم هندامها أنه يرتديها منذ مدة.. أما لحيته النامية، والهالات

السوداء تحت عينيه، فكانت تكمل المشهد الكئيب الذي رسمه (حسن).. وجهه يحمل تعبيرًا جامدًا، وهو يفكر منذ يوم كامل في كل تلك الأفكار الغريبة، يضحك في ساعة، ويبكي في ساعة، وينام في ساعة، ويفكر في ساعة.

(مريم) لا ترد على الهاتف منذ ذلك اليوم، وهذا واضح بالطبع، لأنه حكى لها عن كل شيء.. المضحك أنه حكى لها عن كل شيء، لشعوره الغريب أنه سيموت يوم الثلاثاء.. هل شعر من مات قبله بهذا الشعور؟ (علي) (لطفي) (عمر) (صابر).. (عمر) قبل موته كان يطمئنه أنه لن يموت بتلك الطريقة القذرة، ولن يسمح بذلك. ولسخرية القدر، كان هو التالي.. أما (حلال) فلم يتحمل الانتظار، وانتحر في غرفته. لم يبق إلا (حسن)، كي يشاهد النهاية، وتنغلق الدائرة إلى الأبد.. ترى كيف سيقتله؟ هو اغتصب (بتول).. فكر قليلًا، ثم اتسعت عيناه قليلًا، وهو يتخيل ما سيحدث له، ثم غرق في ضحك هيستيري، وهو يتخيل ما سيأكله الجزار هذه المرة.. أخذت نوبة الضحك ترتفع، حتى سمع فجأة صوت جرس الباب، فأجفل للحظة، وهو يتخيل أن من يقف على الباب الآن هو الجزار.. شعر بتنميل في نصفه الأسفل، وهو ينهض ببطء، ثم يسير مترنحًا إلى باب الشقة، وينظر عبر العين السحرية.. (سامح) !!!! نظر مرة أخرى، ثم فتح الباب، ليظهر (سامح) بالفعل على عتبة الباب، ينظر له بهدوء.

- " ألن تدعوني للدخول؟"

أشار له (حسن) بالدخول، فتبعه (سامح)، حتى جلسا في الصالة..

- " الجميع يقول إنك قمت بأجازة عاجلة لسفرك لبلدتك، كي تحضر جنازة خالك.. لم أصدقهم، وأتيت لك لأفتح معك الموضوع، فلا وقت لدينا "

كان (حسن) يجلس فاردًا يديه، ينظر نظرة خاوية لسامح، وكأنه في حالة من غياب الوعي..

- " هل تنتظر النهاية؟"

ضاقت عينا (حسن) وهو لا يرد، فأكمل (سامح):

- " هل تنتظر (آدم)؟"

اتسعت عيناه، وارتفعت حواجبه بدهشة..

- " (آدم محمد عبد الرحمن) وزوجته (بتول) وابنتهما (نور).. هل تتذكر هذه الأسماء يا صديقي؟"

زاغت عينا (حسن) وهو ينظر حوله بعدم فهم، وتسارعت أنفاسه، فقال (سامح) بنفس هدوئه:

- " عندما اتصلت بي يوم وفاة (عمر)، شعرت أنك تلجأ لي، لأنك تعرف أنني سأصل للجاني.. ولكنك خفت أن أعرف الحقيقة، لذلك كنت في حيرة من إخباري أو تركي

لأسير في طريقي حتى أصل للجزار.. ولكن في طريقي إلى الجزار، مررت بك يا (حسن) "

اعتدل بجسده أكثر على مقعده متحفزًا، وهو يقول والغضب يظهر على وجهه:

- " قابلتك أنت وأصدقاءك يا (حسن).. قابلت (آدم) الذي جعلتموه يصاب بالجنون، بعد فقد عائلته.. قابلت جثة فتاة تم اغتصابها وإلقاؤها في الطريق، وكأنها حيوان نافق.. قابلت طفلة صغيرة ظلت تصرخ من الجوع، تنتظر والدتها لتأتي إليها، حتى صعدت روحها إلى الله.. قابلت وجهك الآخر يا (حسن)، وقابلت الوجه الآخر لآدم.. أنتما الاثنان كنتما وجهًا لعملة واحدة.. أنت ذو وجهين، وجه الوحش الدنيء المغتصب، الذي لا يعرف رحمة، يتسلى بعذاب الآخرين وقتلهم، ووجه الرجل الوقور الطيب، الذي يعمل بوظيفة مرموقة، وسيتزوج فتاة من عائلة محترمة، ليكوّن أسرة سعيدة.. أما (آدم)، فوجهه الطبيعي كان الشاب ذو المستقبل المبهر والزوجة الحسناء والعقلية التي يحسده عليها الكثيرون، ووجهه الآخر هو الجزار.. يأكل لحم من أكلوا لحمه قديمًا.. ألم تفهم يا (حسن) لماذا يفعل (آدم) هذا؟.. هو يعتبركم أكلتم لحم أسرته، وهو يأتي ليأكل لحمكم.. لقد حولتم (آدم) لجزار..

مريض نفسي يتمتع بأكل اللحم البشري، ولا هدف له في الحياة سوى أكلكم.. من منكم المذنب؟ أنتم الذين قتلتم عائلته، واغتصبتم زوجته، وقضيتم على عقله، أم هو الذي يأكل أجزاء من لحمكم، ويترككم لتموتوا، وانتم تقضون أصعب لحظاتكم وآخرها.. من منكم يجب أن يحاكم أولًا؟"

هدأت أنفاس (حسن) قليلًا، ولكن ظل صدره يعلو ويهبط، وهو ينظر لسامح، الذي أخذ هو أيضًا ينظر له بتحدٍ. وفجأة قال (حسن) غاضبًا:

- " ماذا تريد مني أنت أيضًا؟"

قالها ونهض فجأة وهو يقترب من (سامح)، الذي نظر له كما هو، ولم يتحرك من مكانه، و(حسن) مازال يقترب، ويقول ونبرة صوته تعلو أكثر:

- " هل تريد أن تحاكمني قبل أن يأتي الجزار؟.. هيا تعالى لتأخذ حقك مني أنت أيضًا، فكل رجل الآن يرى أنه يجب أن يأكل قطعة من جسدي.. هيا تعالى.. "

كان (حسن) قد اقترب جدًا من (سامح) وفجأة نظر (حسن) على يساره، فوجد منفضة ضخمة موضوعه على منضدة صغيرة، فمد يده بسرعة، وهو يقول بغضب:

- " هيا لنأكلني.. "

أمسك (حسن) المنفضة، ورفعها وهو ينظر ناحية (سامح)، الذي يجلس أمامه، ولكنه لم يجده في مكانه، فتراجع برأسه، فشعر بأن رأسه يصطدم بشيء معدني، ويد قوية تمسك يده التي تحمل المطفأة. نظر بطرف عينه، فوجد (سامح) يقف ببرود وراءه، يحمل مسدسًا صغيرًا من نوع (لاما)، ويلصقه بمؤخرة رأسه، ويده اليسرى تمسك يد (حسن)، وبنبرات هادئة قال (سامح):

- " لا تحاول أن ترتكب حماقة يا هذا، فأنا لست طفلًا، لتحاول أن تقتلني بمنفضة سجائر.. أنصحك بالجلوس الآن قبل أن أتعامل معك. "

ترك (حسن) المنفضة تقع من يده، وهو حذر جدًا من فوهة المسدس، التي تضغط بشدة على مؤخرة رأسه. دفعه (سامح) ليسقط على وجهه على المقعد، في حين أعاد (سامح) وضع إبرة الأمان للمسدس وهو يقول:

- " اسمع يا (حسن).. برغم ما فعلته مع (آدم)، وما كنت ستحاول فعله الآن، فمهمتي هي الحفاظ على حياتك غدًا من الجزار. "

ضاقت عيناه وهو يكمل كلامه بنبرات خافتة، ويقول:

- " سأحافظ على حياتك غدًا، لتبدأ محاكمتك بعدها على الجريمة التي ارتكبتها منذ عامين. لا تحاول الهرب، لأننا لن نشغل بالنا بتتبعك، بل سنترك المهمة للجزار، وعندها سيريحك هو نهائيًا. أمامك خياران: إما الجزار، وإما نحن.. غدًا سنقوم بعمل كمين للجزار، وستكون أنت الطعم يا صاحبي، ولا تخف، سننقذك منه، ولكن بعدها ستقدم للمحاكمة، لأني سأبلغ عنك، وسيفتح تحقيق موسع عما حدث قديمًا، ويعاقب كل من أخطأ مثل خطأك يا (حسن)."

بعد أن قال عبارته، غادر (سامح) الشقة؛ ولكن قبل أن يغادرها، نظر خلفه وهو يفتح الباب، وقال مخاطبًا (حسن):

- " على فكرة.. أنا أعرف أنك من كنت تزور (آدم) في المستشفى بانتظام. كنتما تنظران لبعضكما بدون أن ينطق أحدكما.. الجلاد ينظر في عين الضحية، ولكن الضحية بنظراته يقول لك إن موعدك قادم. أعرف شعورك يا (حسن)، وأعرف فيما كنت تفكر، وأنت تتخفى لتقابله بانتظام.. كنت تريده أن يثور، أن يتهمك، أن يقتلك؛ ولكنه كان ينظر لك فقط.. كان يقتلك كل يوم بنظراته.. لقد راقبته وهو يتحول للجزار يا صديقي، وها هو قادم غدًا ليزورك هو، مثلما كنت تفعل معه في المستشفى. إلى اللقاء في الغد يا (حسن)."

ثم خرج، وأغلق باب الشقة، تاركًا (حسن) ينظر بدهشة للباب المغلق. وفجأة.. رفع (حسن) رأسه، وهو يصرخ بصوت عال، والدموع تنساب من مقلتيه.

***

٢

الثلاثاء ١/ ٢١/ ٢٠٠٩ (الساعة ١:٥٠ ظهرًا)

خرج (سالم) من مكتبه، وهو يتلفت حوله، يحمل الخطاب الذي وصله، وكتب عليه من الخارج إلى السيد/ أبو واقي.. كان قد استلمه من زميلته في الجريدة منذ دقيقة واحدة، وعندها استأذن لدخول الحمام، وها هو يسير حتى وصل إلى الحمام، فدخل إحدى الدورات الخالية، وأغلقها على نفسه، ثم فتح الخطاب، بعد أن مزق جزء من الظرف. أخذ يقرأ الكلمات التي كتبت بخط الصغير نضيد:

(لا أعرف متى سيصلك هذا الخطاب. أنت تعرف الآن أنني أنا الجزار الذي تبحث عنه. صحف كثيرة تكتب عن أخباري، ولكن مقالاتك أنت هي التي تحمل الحقيقة. وصلتني رسالتك التي بين السطور، عندما عرضت الضابط الذي شنق نفسه فجأة، مما يعني أن هناك من يقودك، ويريد أن يقول لي إن أحد أهدافي مات منتحرًا. والآن رسالتي للشخص الذي يقودك هي أن الوقت فات بالفعل، والدائرة قاربت على الانتهاء بسلام، بدون أضرار لأبرياء، فاتركني لحالي. أما عن النهاية لكل ما حدث، فستراها يوم الثلاثاء. نهاية القصة الطويلة، التي بدأت منذ عامين.. النهاية هي أمتع جزء في القصة، ونهايتي أنا هي اللون الرمادي.. ألا تراه معي ؟!!) .

أنهى (سالم) الخطاب، وقد شعر لأول مرة في حياته أنه مراقب. لقد عرف الجزار أنه على علاقة بشخص ما، يأمره بطرق كتابة المقالات. هل سيقتله مثلهم؟.. عند هذه الفكرة، ارتعدت فرائصه، وهو يتخيل نفسه في موضع كل من كتب عنهم في مقالاته، ثم تذكر ما يجب أن يفعله، فأخرج هاتفه المحمول، وطلب رقم (سامح)، وعندما رد الأخير، قال بفزع:

- " سيد (سامح) انجدني.. الجزار أرسل رسالة أخرى."

***

(سامح) أنهى شرحه للضباط، وبجانبه جلس رجل وقور، يرتدي بذلة عادية، ويستمع له بتمعن، لا يعلق على أي من كلام (سامح)، مما جعل الضباط لا يفهمون سبب وجوده. سبع ضباط، منهم ثلاثة من الشرطة، واثنين من مباحث أمن الدولة، وضابط آخر يرتدي ملابسا مدنية، غير معروف انتماؤه لأي جهة.. وعلى مقعد آخر، جلس رجل يرتدي بذلة أيضًا، ولكن هذا الرجل كان يناديه (سامح) باسم الدكتور/ميلاد. بعد انتهائه من الشرح، انتظر الأسئلة، فقال أحدهم:

- " لماذا سننتظر حتى يدخل (آدم) حجرة (حسن)، ثم نقبض عليه؟ يمكن -بمجرد دخوله الشارع نفسه- أن تقبض عليه القوة التي تنتشر حول الشارع."

- " لسببين، أولًا لأننا لا نعرف طريقته في دخول المنازل، وبالتالي من الممكن أن يلاحظ تمركز الأعداد ليلًا بطول الشارع، الذي يقع فيه منزل (حسن)، ويمكنه الهرب. ثانيًا لأن (آدم) يعلم مسبقًا بأننا نعد له كمين الليلة في شقة (حسن)، وبالتالي فكل خطواته قبل الدخول لغرفة (حسن) هي ألغاز وتوقعات بالنسبة لنا، فلا نريده هو أن ينصب لنا كمينًا، وننشغل نحن بطعم ما، ونترك (حسن) في وقت من الأوقات."

قال أحد الضباط:

- " إذًا الخطة سهلة جدًا وبسيطة، وهي أنه بمجرد دخول (آدم) لغرفة نوم (حسن)، يتم مهاجمة الغرفة.. لا مشكلة. ولكن لم التحذير الدائم من موضوع العقاقير هذا؟"

- " أتركك لتسمع رأي د/ميلاد في موضوع العقاقير."

تنحنح د/ميلاد وقال شارحًا:

- " (آدم) -بطريقة ما لا نعلمها- توصل لتعلم كيفية استخدام العقاقير المهلوسة والمواد المخدرة، ولا نعلم عن قدراته سوى أنه استطاع استخدام المورفين بدقة، وبجرعات مناسبة لكل حالة قتل، وفي بعض الحالات استخدم (أميتال الصوديوم) لاستجواب المجني عليه. ومن علمه استخدام تلك المواد، علمه طريقة التعامل مع المريض الذي يتعاطى (أميتال الصوديوم) حتى

يأخذ منه الإجابات، من الممكن أن يستخدم أي عقار سواء أكان مخدرًا أو سامًا، فربما يستخدم الـ (ال سي دي) الذي يدخل متعاطيه في نوع من غياب الوعي، فيصبح كتلة من الأفكار الغريبة والخيالات، التي تصل لمتعاطيها بالإقدام على الانتحار بسهولة. وربما يستخدم عقار (الميسكالين)، الذي يسبب هلوسات لا حصر لها، تنتهي غالبًا بالوفاة.. أو الخوف من استخدامه لمواد سامة، يتأثر بها الإنسان عن طريق الجهاز التنفسي أو الجلد. لذلك وجب التحذير من إطلاق الطلقات المخدرة عليه بسرعة بمجرد مشاهدته، لأننا لا نضمن ما يمكن أن يفعله، لو اقترب أحدكم منه."

- " ألم تقل يا سيد (سامح) إنه يعرج بقدمه اليسرى؟"

رد (سامح):

- " ليس معنى عرجه أنه سيكون لقمة سائغة، فهو قد قتل أربعة رجال من جهة أمنية، واستطاع التغلب عليهم، والهرب منا بسهولة. ولذلك يجب أن نظل متأهبين طوال فترة الكمين."

هز الرجل رأسه بالموافقة، ثم قال (سامح):

- "نلتقي الساعة الثامنة مساءً، ويبدأ الكمين في التمركز حول المناطق التي اتفقنا عليها من الساعة التاسعة، ونحن سنتمركز في شقة (حسن) من العاشرة تمامًا."

حياه الرجال وانصرفوا، وانصرف معهم الطبيب، والذي شكره (سامح) على حسن متابعته للحالة النفسية لآدم، والمعلومات التي أمده بها..

غادر الجميع الغرفة، وبقي الرجل الوقور بجانب (سامح)، الذي التفت إليه بأدب وهو يقول:

- " أشكرك يا سيادة اللواء على الصلاحيات التي منحتها لي. "

تنهد الرجل وهو يقول لسامح بصوت خرج عميقًا:

- " الأهم من ذلك أن تبدأ سلسلة تحقيقات موسعة داخل الإدارة، يقودها رجال شرفاء من رجالنا، كي يظهر الفاسدون على السطح، ويتم التعامل معهم بأسرع الطرق. "

- " لقد قرأت أسماء الضباط الذين رشحتهم لتولي التحقيقات غدًا، وعند الليلة تنتهي مهمتي في إدارتكم، وآسف إن كنت تدخلت فيما لا يعنيني. "

ابتسم الرجل الوقور:

- " يا (سامح) في كل جهاز أمني تظهر فترات من تفشي الفساد في أرواح بعض رجاله، ولكن يحين الوقت الذي تعود يد الوطن لتقتص من هؤلاء الفاسدين لمصلحة الشعب. وأنت،

بما كشفته لرجالنا الشرفاء من معلومات، سلمت لهم رقاب هؤلاء من باعوا ضمائرهم من داخل الإدارة. وما لم تعرفه، أن هناك مجموعة من الضباط داخل الإدارة قد تقدموا من شهر ونصف بشكهم في بعض زملائهم، الذين يستخدمون أساليبا غير مشروعة، وكانت الجهات العليا تتجهز في سرية لبدء التحقيقات.. ومعلوماتك كانت الورقة الأخيرة، التي ضمها الرجال، لتبدأ التحقيقات."

ابتسم (سامح) وقال باحترام مشوب بالإحراج:

- " لي رجاء عند سيادتك، وهو أن يتم مراعاة الحالة النفسية التي وصل إليها (آدم)، والتعامل معه من منظور المرض النفسي في البداية."

- " سنجعل كلامك في حسباننا يا (سامح). بمجرد أن يتم القبض عليه الليلة تحت قيادتك، سيتم التعامل معه بكل احترام، وفي نفس الوقت سيصدر أمر الاستدعاء لحسن، لاستجوابه في التحقيقات التي ستبدأ غداً."

نهض (سامح) وهو يصافح الرجل، وقال بأدب:

- " سعدت بالتعامل معك يا سيدي، وأرجو أن تبلغ تحياتي للسيد (......) "

(الساعة ١٠:٣٠)

الشارع الطويل، الذي تقع فيه العمارة التي يسكن بها (حسن)، والذي يمتلئ بمحلات الملابس والمطاعم والمكتبات، كان في حالة من الاستقرار في حركة البيع والشراء.

لو سرت بنظرك في الشارع، ستجد كل شيء في مكانه.. ربما لن تلاحظ ذلك البائع الشاب، الذي يجلس أمام محل الملابس الذي يعمل به، ويمسك علبة بلاستيكية من الكشري، يأكلها بنهم، وهو ينظر على المارة، ليسلي نظره.. ربما لن تلاحظ الميكانيكي الجديد، الذي انكب على سيارة يعمل بها بكل همة، ويتكلم مع صاحبها أثناء العمل.. لن تلاحظ هذا الشاب، الذي يطل من إحدى شرفات الشارع، وهو يدخن السجائر، وهذا الشاب الذي يمسك بمجلة هزلية يقرأ فيها.. أما الشاب والفتاة الجالسان على أحد المقاعد الحديدية المنتشرة على الرصيف المقابل في آخر الشارع يتكلمان همسًا، وعين كل منهما في عين الآخر بشوق، وهذا الذي يربط يده اليسرى ويتحدث في الهاتف بغضب، وهو يتكلم عن انتظاره للمعلم (شوقي) كي يأتي في الميعاد، ولكنه تأخر إلى الآن.. كل هؤلاء وغيرهم لن يتوقع أحد أنهم أفراد الكمين الميداني، الذي يندس وسط أهالي الشارع بطريقة طبيعية، يبدو أن الجزار الليلة سينتظره الكثيرين..

***

(الساعة ١١:٠٠)

نظر الضباط الثلاثة إلى بعضهم، ثم لسامح، الذي خاطب (حسن) الذي يقف أمامه بمنامته قائلًا:

- " أنت ستدخل لتنام الآن بطريقة طبيعية، وتغلق عليك الباب، وتغلق أضواء الشقة كما قلنا، ثم تنام، ولك اختيار الطريقة التي تنام بها. إذا أردت أن تغط في النوم، فهذا يرجع لك، أو إذا أردت أن تكون متيقظًا فهذا اختيارك أيضًا، المهم أنك ستغلق باب الغرفة عليك، وببساطة عندما يدخل الجزار الشقة، ويتجه لباب الغرفة ليفتحه، سيجدنا نحن نفتح الأضواء، وبسرعة نطلق عليه الطلقات المخدرة. غرفتك من الداخل بلا نوافذ، فنحن نضمن إذًا أنه لن يدخل لك قبل أن يمر من الصالة أولًا، والطرقة وبالتالي سنراه نحن على ضوء الحمام المضاء بطريقة طبيعية، حيث أنه يعطي إضاءة خافتة، تنير لنا باب الشقة الرئيسي، ومدخل غرفة النوم. نحن سنكون موزعين، رجلان في كل غرفة، أنا و هذا سنكون في تلك الغرفة، ونحن نفتح بابها ونظلمها كي نرى على الضوء الخافت.. وهذان الرجلان سيجلسان في غرفة الصالون، وستكون مظلمة أيضًا، وعند مشاهدة الجزار نخرج بهدوء، ويضغط الرجلان في غرفة الصالون مفتاح الإضاءة، وينهالان عليه بالطلقات، ونحن في

نفس التوقيت تضغط زر الإضاءة. وعندما يسمع الكمين صوت الطلقات، فإن الكل يتجهز، وينتقل الكمين من حالة الخمول والمراقبة إلى حالة التأهب، كخط دفاعي في حالة هروبه.. وباقي الضباط سيصعدون إلى هنا سريعًا لمتابعة القبض على الجزار."

كل ما سبق كان يترل على أذن (حسن) وكأنه لا يفهمه، وتعبير اللامبالاة يرتسم على وجهه، مختلطًا بتعبير ينم عن إجهاد. في النهاية هز (حسن) رأسه، وقال بأنه سيدخل لينام، في حين توزع (سامح) والباقون على الغرف، والأخير يشدد عليهم بعمل آخر اتصال الآن بضباط الكمين الميداني، ثم إغلاق هواتفهم المحمولة واللاسلكي حتى القبض على الجزار.. وبالفعل تمركز الجميع في جهاتهم..

***

(الساعة ١:١٥)

الشقة هادئة الأصوات خافتة الإضاءة ومازال الرجال يجلسون في أماكنهم متحفزون يمسكون بالمسدسات وعيونهم على الممر الموصل لغرفة (حسن)، لماذا تأخر الجزار كل تلك الفترة !!!! هل سيأتي أم أنه سيؤجل حكم الإعدام اليوم ؟!!!

الأفكار تتصارع في مخيلة الرجال، وهم ينتظرون الجزار، ولكن فجأة.. ظهر جسد في الطرقة.. وانقطعت الإضاءة عن

الشقة، وغرقت في ظلام دامس. هب الرجال من أماكنهم، وكل منهم يتحسس الحائط الذي يحتوي على زر الإضاءة، حتى وصل أحدهم إليه، فضغط عليه ولكن لم يستجب. أخذ يضغط بلا فائدة، وهو يقول بصوت هامس يسمعه الجميع:

- " لقد قطع أحدهم الكهرباء عن الشقة."

توقف الجميع في أماكنهم، وبدأ الكل في إخراج هواتفه المحمولة ليستخدم ضوءها، ولكن صوتا ما جعلهم يتحفزون.. صوت خطوات تدق على الأرض.. صوب أحدهم مسدسه، وحاول أن يتخيل مكان وجود صاحب الدقات من خلال الصوت، ولكنه فشل في تحديد المكان. فجأة صوت زجاج يتهشم..

- " لقد حضر الجزار!"

قالها أحد الضباط، الذين كانوا يعلمون أن علامة وجود الجزار في المكان هو تحطيمه للمرايا..

صوت زجاج آخر يتهشم.. كيف يعرف هذا الرجل طريقه وسط الظلام؟ كان أحد الرجال قد أخرج هاتفه، وعن طريق الضوء الصادر منه بدأ يحركه في اتجاه الصالة، كي يلتقط

الموجودات، ثم ظهر ضوء آخر من هاتف آخر، ثم ضوء ثالث، لتظهر صورة مشوشة للصالة.. لحظة.

تسمر الجميع وهم يشاهدون على ضوء هواتفهم الجزار يقف، يمسك سكينًا، وينظر إلى مرآة كبيرة، معلقة في أحد الأركان، تعتبر كقطعة فنية مكملة لديكور الصالة. كان ينظر للمرآة، ويرى انعكاسه بها.. ارتفعت فوهات المسدسات تصوبها ناحية الجزار، ولكن صوت (سامح)، الذي جاء بقوة ليقول " أنزلوا المسدسات "، جعل الجميع يتسمر في مكانه.

الإضاءة الخاصة بالهواتف صغيرة لا تظهر مساحة كافية من الجزار، ولكنها تظهر شكله الخارجي، وظهره الذي يديره إليهم وهو ينظر للمرآة.. اقترب (سامح) -وهو يحمل أحد الهواتف- قليلًا من الجزار، والذي كان يبعد عنه بحوالي ستة أمتار..

تكلم الجزار بصوت خفيض مبحوح، موجهًا حديثه للمرآة قائلًا:

- " يااااااه بعد كل تلك الأيام نعود لنلتقي من جديد.. يا (حسن) "

توقف (سامح) عن السير، وهو ينظر لظهر الجزار، الذي التفت ببطء ليواجه (سامح)، الذي سلط ضوء الهاتف على

وجهه.. وجهه يظهر ببطء في الإضاءة الزرقاء.. إنه!!!!!! إنه (حسن)؟؟!

لم يظهر على (سامح) أي تعبير، في حين قال (حسن):

- " سيد (سامح).. طوال تلك الفترة وأنا أنتظر مقابلتك. هلا عرفتك على نفسي.. أنا (آدم محمد عبد الرحمن) سابقًا.. والجزار حاليًا."

أخذ يقهقه عاليًا، وهو يترنح، ويقول وهو يشير لسامح:

- " كنت تحاول منعي يا سيد (سامح) طوال تلك الفترة، ولكنك فشلت أليس كذلك؟.. اعترف بفشلك.. وها أنا أمام صديقي القديم، حضرة الضابط (حسن)."

قالها، ونظر إلى المرآة بغل وهو يترنح، ثم يخاطب المرآة بنفس الصوت المبحوح قائلًا:

- " ألا تريد أن تلقي عليّ التحية يا حضرة الضابط، أم أقول كما يقول الناس في الشوارع.. يا باشا؟"

فجأة تغير وجه (حسن) وهو ينظر للمرآة، ليظهر انعكاسه وهو ينظر بفزع، وسمع الجميع (حسن) وهو يقول بصوته الطبيعي:

- " ماذا تريد مني يا (آدم)؟؟ أنا لا أريد أن أموت."

تغير وجه (حسن) مرة أخرى، ونظر بسخرية للمرآة، وقال بصوت مبحوح:

- ".لا يا صديقي.. أنا لن أقتلك، فأنا لست بقاتل مثلك.. أنا فنان."

قالها، وأخذ (حسن) يضحك ويضحك، حتى وقع على ظهره من الضحك، ثم نهض بصعوبة، وهو يقف أمام المرآة مرة أخرى.

•••

- " نعم الصديق الوحيد والزائر الغريب.. منذ شهر يناير، عندما طلب زيارته أول مرة، و (آدم) لم يقبل، وبعد إلحاح غريب استطاع أن يدخل غرفته الخاصة بصحبه الطبيب وممرضة أخرى.. وكل ما فعله (آدم) أن نظر لدقائق للرجل، والرجل ينظر إليه، وكأنهما يتقابلان أول مرة – هذا ما قالته الممرضة التي حضرت اللقاء– ثم انتهت الزيارة، وخرج الرجل، لكنه عاد مرة أخرى بعد أيام، ولكن هذه المرة كانت الممرضة فقط في صحبتهما، وظلا ينظران كل واحد إلى الآخر حوالي ربع ساعة، وانتهت الزيارة أيضًا. وفجأة –بدون سبب– أصبح هذا الرجل يزور (آدم) بصفة منتظمة كل يوم ثلاثاء أو أربعاء من كل أسبوع، مما يجعلني أعتقد أن هذا الرجل أجازته من عمله يوم ثلاثاء أو أربعاء. وأصبحت الزيارة تتم في غرفة (آدم) بدون حضور أحد، وتظل الزيارة من عشر دقائق إلى ربع

ساعة، ويخرج الزائر. حاول الأطباء معرفة ماذا يحدث بالداخل، ولكنهم توصلوا لشيء واحد.. هذا الزائر يدخل، ويظل الاثنان ينظران كل منهما للآخر طوال فترة الزيارة، ثم يخرج الرجل. لم يفت أسبوع واحد بدون زيارة هذا الرجل لآدم حتى يومنا هذا.. الشيء الذي يجعلك تشكين: أن هذا الرجل دائمًا ما يرتدي قبعة ونظارة شمس في كل زيارة، كأنه يتعمد ألا يتعرف عليه أحد. فقط هو يخلعهما وهو بالداخل، ويرتديهما قبل خروجه."

***

اختار هذا الوقت لأنه مر بتجربة عنيفة جدًا في مثل هذا الوقت، ولذلك هو يعيد تجربة مشابهة لها عندما يحين كل ثلاثاء من كل أسبوع، وكأنه يحيي ذكراها.. المرايا التي يكسرها قبل ارتكابه الجريمة: هذا تعبير عن خوف (آدم) من رؤية وجهه في المرآة، وهذا لغز يشغلني، فلماذا يخاف أن ينظر لوجهه في المرآة؟ يمكننا أن نضع احتمال أن وجهه يحتوي على تشوه، يخشى رؤيته في المرايا.. ولكن ارتكاب الجرائم في توقيت واحد، وزمن واحد، يجعلني أميل إلى وجود شخص لا يريد أن يراه (آدم).. شخص يخشاه، وكأنه عدوه اللدود، ولذلك يكسر المرايا كي لا يراه.. هل هناك شخصيتان للقاتل ؟

" على فكرة، أنا أعرف أنك من كنت تزور (آدم) في المستشفى بانتظام. كنتما تنظران لبعضكما بدون أن ينطق أحدكما.. الجلاد ينظر في عين الضحية، ولكن الضحية بنظراته يقول لك إن موعدك قادم.. أعرف شعورك يا (حسن)، وأعرف فيما كنت تفكر وأنت تتخفى لتقابله بانتظام.. كنت تريده أن يثور، أن يتهمك، أن يقتلك.. ولكنه كان ينظر لك فقط.. كان يقتلك كل يوم بنظراته.

***

برغم مفعول المورفين الذي يسري في جسده، شعر (لطفي) بغضب، وبأن أعصابه أصبحت مشدودة وهو يتذكر ما حدث..

- " لقد كنا نحاول أن نحمي الأمن العام، وهذه أشياء لا يفهمها أمثالك."

اقتربت أنفاس الغريب من رقبة (لطفي) من الخلف، وقال:

- " إذن فقد قمتم بتعذيبه وقتل زوجته."

صرخ (لطفي) بغضب:

- " فلتفعل ما تريد.. آدم وزوجته وطفلته ماتوا، ولا يوجد دليل واحد يؤكد قصتك."

هنا أطلق الغريب صرخة وهو يقول بغضب:

- " أنا الدليل.. أنا الدليل.."

قالها وهو يدور حول (لطفي) ليصبح أمامه، ثم صرخ وهو يقرب وجهه منه:

- " أنا (آدم)."

اتسعت عينا (لطفي) وهو ينظر له قائلًا:

- " مستحيل...!!!!"

***

ظهر أن الرجل الواقف في الظلام يخلع شيئًا ما يرتديه، يبدو أنه سترة، وأثناء خلعه لها ظهر لمعان لأشياء معدنية تبرق من داخل السترة على ضوء القمر.

- " أعدك أنك لن تشعر بشيء، عندما تغمض عينيك."

تراخى جسد (عمر) وهو يغمض عينيه، وهو يسمع صوت خطوات خفيفة تقترب منه، وهو يقول بصوت مرتعش يحمل لمحة من السخرية:

- " كنت أقول لحسن أنني لن أقتل على يد الجزار مهما حدث، كلامي كان مقنعًا بدرجة كبيرة.. لكن من داخلي كنت أعرف أنني سأقابلك."

شعر بوخزة محقن في ذراعه اليمنى، وسائل يدخل في عروقه..

في تلك اللحظة، فتح (عمر) عينيه فجأة، ونظر إلى الرجل ووجهه المظلم -بسبب ضوء القمر الخافت، الذي يأتي من خلفه- بالرغم من الضوء الخافت، الذي يخفي معالم وجهه، إلا أن (عمر) بعد أن نظر له.. صرخ فجأة..

***

(حسن) هو الجزار.. قالها (سامح) في عقله، وهو يتذكر الأحداث وسريانها، في حين (حسن) يقف مترنحًا أمام المرآة، ويتكلم معها بعنف بشخصيتين، قال (حسن) بصوت مبحوح:

- " ها هي الدائرة ستنغلق مرة أخرى لتنتهي، وأنت تقف أمامي ذليلًا تعض على أناملك، مثلما فعل من كان قبلك."

تغير وجه (حسن) وعاد لصوته وهو يقول:

- " اسمع.. لن تستفيد بقتلي.. يمكنك تقديمي للمحاكمة، ليعرف العالم كله ما حدث لك.. أرجوك حاول أن تختار."

تغير وجهه مرة أخرى، وعادت النظرة الساحرة إليه، ثم نظر لأسفل وهو يفكر. وفجأة.. أخذ (حسن) يرجع خطوتين للخلف، ويسير يمينًا ويسارًا وهو يفكر.. كانت طريقته في

السير غريبة، فهو يعرج بقدمه اليسرى بصوت مميز، ولكن الغريب أنه كان يقهقه بشكل جنوني، وكأن سعادة الدنيا كلها اجتمعت فيه، ثم فجأة نظر للمرآة وهو يخاطبها بصوته المبحوح الخفيض قائلًا:

- " هل تريد أن أضحي بعنقي الآن؟ الفرح بداخلي لا يمكنني قياسه. بعد كل تلك المدة ها أنا أقف أمام من دمرني، وأكل لحم زوجتي، وتعتقد أنني سأعفو عنك!!! هل تعتقد أني بطل من الأفلام القديمة؟"

أخذ صوت ضحكاته يرتفع بشدة مجلجلًا، وفجأة يتغير وجهه لينظر بخوف، فيظهر انعكاسه في المرآة، وهو ينظر بفزع، ويقول بصوته الطبيعي بطريقة حزينة:

- " سواء قتلتني أم لا ستتم محاكمتي، ويتم إيقافي عن العمل.. ضاع مستقبلي، وضاعت حبيبتي، فيمكنك أن تقتلني."

- " وأنا ماتت حبيبتي وابنتي، ودمر مستقبلي وجننت. أنا نصف ميت يا (حسن).. أقف بين الحياة والموت، أريد أن ألحق بعائلتي، ولكن أنت من جعلني أنتظر في الحياة كي أشفي غليلي.. حان الوقت لأموت، وآخذك معي للعالم الآخر، حيث نحاسب نحن الاثنان على جرائمنا بحق."

الضباط لم ينبس أحدهم بحرف، بل ظلوا يراقبون ما يحدث من تحول لشخصية (حسن)، وتغيره إلى شخصية (آدم)، ثم العودة لشخصيته.. لم يفكر أحدهم حتى بإطلاق الطلقات المخدرة عليه، لشدة ارتباكهم، ولكن الذي تكلم كان (سامح)، وقال بنبرات هادئة:

- " شرفت بمعرفتك يا (آدم)."

نظر له (حسن) فجأة، وعلى وجهه ارتسمت تعبيرات السخرية، وقال بصوت مبحوح:

- " قلت لك في رسالتي ابتعد عن دائرتي، كي لا تنغلق عليك، ومازلت مصرًا على الإيقاع بي."

- " بالعكس.. مهمتي هي إظهار الحق، وإرجاع حقك مرة أخرى. غدًا ستثار قضيتك مرة أخرى، ويقدم للمحاكمة كل من كان له يد في أذيتك.. غدًا يوم آخر، يعود العدل فيه مرة ثانية."

تعالت الضحكات من (حسن)، وهو يقول محاولًا التماسك من كثرة الضحك:

- " ما هذا الكلام المضحك الذي تقوله؟ عدل!!! هاهاهاهاها لا يمكنني التماسك من الضحك.. هل تريد أن

ترى العدل؟.. ما أفعله هو العدل بعينه: العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم "

تغير وجهه فجأة، وعاد لوجه (حسن) الطبيعي، ونظر للمرآة، وقال بتوسل:

- " ارحمني.. ارحمني.. لا أريد أن أموت."

اقترب (حسن) وهو يعرج من المرآة أكثر، حتى أصبح أمامها. ونظر بقرف للوجه الذي يطل عليه من المرآة، وقال بصوت مبحوح بطيء الكلمات:

- " هل تعرف يا (حسن).. الآن أخط نهاية قصتي.. النهاية هي أمتع جزء في القصة.. ونهايتي هي اللون الرمادي.. ألا تراه معي؟"

قال (حسن) تلك العبارة وهو يضحك بشدة، ثم فجأة رفع السكين التي يحملها منذ البداية، ووضعها على رقبته، وذبح نفسه بها، وهو مازال يضحك، حتى سمع الجميع حشرجة تخرج منه، وهو يضحك والدماء تسيل من رقبته.. كان يحاول أن يرفع يده اليسرى ناحية المرآة، مشيراً لها وهو يضحك.. ولكن آخر حشرجة لم تمهله، فوقع على ركبتيه.. صور كثيرة تمر أمام عيني (حسن).. طفولته في قريته.. الفتيات اللاتي أحبينه.. يوم تخرجه من كلية الشرطة، ووالدته تحتضنه وهي تبكي.. لحظة

أن أدخل والدته المقبرة وهو يودعها.. (بتول) تنظر له شاخصة البصر.. (مريم) تبكي أمامه.. (آدم)..

فجأة زاغت عيناه، ووقع على الأرض، وجسده يرتعش رعشات سريعة، حتى خبتت تمامًا بعد ثوان..

تحرك الضباط سريعًا وهم يضيئون لأنفسهم الطريق، فمنهم من جرى يبحث عن مفاتيح الإضاءة الرئيسية في الشقة، ومنهم من أمسك اللاسلكي بعد فتحه، وهو يبلغ الجميع بالاستعداد، وإبلاغ عربة الإسعاف، وصعود الضباط، والثالث جرى ناحية الباب، وهو يتحسس طريقه حتى فتحه، ليفاجأ بظلام، فمصباح السلم غير مضاء.. الكل يتحرك إلا (سامح)، الذي اقترب ببطء من جثة (حسن)، التي كانت على وجهها، ثم ثنى ركبتيه وهو يتطلع إلى الجثة ويقول بصوت خفيض:

- "كنت أنت (آدم) و (حسن).. أنت القاتل والمقتول.. كل ليلة ثلاثاء يخرج (آدم) من داخلك، ليبدأ القتل.. تخاف أن ترى وجهك في المرآة كي لا ترى (حسن).. (آدم) داخلك يصحو ليلة الثلاثاء ليبحث عن قاتله، وأنت يا (حسن) لا تعلم أنك تبحث عن نفسك.. قاتلك في داخلك يا صديقي."

قام (سامح) من موضعه وعلى وجهه علامات الشرود الشديدة، وقد عادت أضواء الشقة، وظهر الضباط، وتجمع

أفراد الكمين يستفسرون عما حدث، في حين أن (سامح) تراجع قليلًا، ليجلس على أحد مقاعد الصالة، بعيدًا عن الجثة.. فقد القدرة على الحزن أو الفرح.. لقد حاول حماية (آدم) من (حسن)، وحماية (حسن) من (آدم).. كان يخاف أن يقتل أحدهما الآخر.. لم يتوقع أن الاثنين سيقتلان في نفس التوقيت.. (حسن) -الضابط المحترم- يصيبه نوع من التقمص كل ليلة ثلاثاء بعد الثانية عشر، ليصبح (آدم)، ليبحث عن (حسن)، لذلك كان يكسر المرايا، كي لا يرى وجهه.. كي لا يرى (آدم) وجه الرجل الذي يبحث عنه، والآن حان الوقت ليراه، لأن ميعاده قد أتى.. نظر في المرآة، فوجد الضابط.. هكذا بكل بساطة، (آدم) هو من يتكلم و(حسن) يجيبه في المرآة.. يسأل ويجيب على نفسه.. أم يحق (آدم) يسأل و(حسن) يجيبه؟

نظر مرة أخرى للجثة، ثم نظر أمامه، وفي عقله تراصت عبارة لا يعرف من أين أتت، ولكنها كانت ثابتة في عقله، كأن أحدهم يرددها بجانبه:

(النهاية الرمادية)

ثم نظر للجثة مرة أخرى، وهو يقول هذه المرة بصوت مسموع بحسرة:

- " النهاية الرمادية."

***

٣

كان (سامح) يجلس في مبنى جهاز أمن الدولة، في الغرفة التي أعدوها له مسبقًا، وأمامه ملفات القضايا ينظر لها، ولكنه لا يفتحها. بين الحين والآخر يتلقى اتصالًا من أحد الضباط، ليبلغه بآخر تطورات المعمل الجنائي، الذي يعمل الآن، وبكل طاقته، على تحليل البصمات والأحماض، وتشريح الجثة، وخاصة بعد أن وجدوا جاكيت أسود اللون داخل غرفة نوم (حسن)، من نفس الشكل الذي وصفته ربة المنزل في قضية (صابر)، وفي بطانة هذا الجاكيت وجدوا سكاكين صغيرة الحجم، ومشارطا جراحية، ومنشار تشريح صغير ،كلهم مثبتين بتشكيل معين داخل بطانة الجاكيت، بحيث لا يمنعون مرتدي الجاكيت من التحرك والجلوس.. كان الجميع على قدم وساق كي تنتهي تحقيقات تلك القضية، وخاصة بعد معرفة الفاعل الحقيقي.

نظر (سامح) لعقارب ساعته، فوجدها تتجه ناحية الثامنة صباحًا.. فكر (سامح) في فكرة عجيبة.. انتهت القضية الآن، وظل (آدم) و (بتول) و(نور) في طي الكتمان والنسيان.. كيف سيفتح القضية الآن، وقد مات الجميع، وماتت الأدلة معهم؟.. سيتم إغلاق قضية (الجزار)، ولكن قضية (آدم)

الحقيقي لن يمكنه فتحها، لأنه كان يجب أن يحصل على (آدم) أو (حسن)، والآن الجميع في عداد الأموات، تغلق كافة القضايا، ويظل هو من يعلم هذا السر.. شعر بأن عليه واجب يجب أن يقضيه.. يحتاج لمقابلة من بدأت القضية عنده.. شعر أن عليه زيارة قبر (بتول).

***

سأل الشاب الذي يرتدي الجلباب، ويجلس بجانب أحد المصاطب الحجرية يقرأ الجريدة قائلًا:

- " مقابر الحاج (عبد الرحمن البورسعيدي) ؟ "

قال العبارة السابقة وهو يدس في يد الشاب عشرة جنيهات، فنظر له الشاب وقال له: اتبعني.

نهض من على المصطبة، وطوى الجريدة وهو يسير، ووراءه يسير (سامح)، الذي عرف اسم العائلة، واسم المقابر من التحريات التي أجراها في الحي، الذي كان يسكن فيه (آدم).

توقف الشاب، وأشار بيده إلى الطريق، وقال:

- " تسير في هذا الطريق، وتترك سبع حارات جانبية، وتدخل في الحارة الثامنة على يسارك، ستجد بابها مفتوح منذ زمن."

تركة الشاب، وعاد أدراجه.. في حين سار (سامح) وهو يقرأ الأدعية داخله، التي تعود أن يقرأها عند زيارة القبور.. لحظة

من الحارة التي حددها له الشاب يخرج رجل.. هل هناك من كان يزور قبر العائلة؟؟؟ الرجل يخرج، ويعطي ظهره لسامح، ويسير وهو يعرج قليلًا في الاتجاه الآخر من الشارع!!!!

مازال (سامح) يسير، ولكنه مذهولًا هذه المرة، وهو يسير وأمامه بمسافة يسير الرجل، الذي يعرج قليلًا.. وعندما وصل (سامح) إلى الحارة التي يجب أن يدخلها، توقف، وهو ينظر إلى داخل الحارة من الخارج..

الحارة تبدأ بسلم من ثلاث درجات، يصعد للأعلى، ثم تسير في ممر صغير به فتحات على الجانبين، يبدو أن هناك فتحات للرجال وأخرى للنساء.. هنا اتسعت عيناه.

هناك نقش في آخر الممر على الحائط.. أين رأى هذا النقش من قبل؟!!

***

- " أثناء تنظيف غرفته بعد الاختفاء، وجدنا ورقة مليئة بالـــ(شخبطة) وها هي "

تناولها (سامح) وهو يتطلع للورقة بدقة.. الورقة مليئة بالخطوط الكثيرة، لكن هناك مجموعة متشابهة من الخطوط. رسم مشابه لرسم السهم، ومكرر سبع مرات بشكل غريب.. ثلاثة أسهم بحجم صغير جدًا تحت بعضهم، وثلاثة آخرون بجانبهم أكبر منهم قليلًا، وسهم وحيد بعدهم، هو أكبرهم وأوضحهم..

باقي الورقة عبارة عن خطوط بسيطة، ودوائر لا تشترك في شيء، إلا أن الممرضة قالت بحرج وهي تشير للورقة:

- " دكتور (عاطف) عندما رأى الورقة قال بأن الدوائر تشير إلى أنه يفكر في طريقة لفعل شيء، لكنه يفشل. وكل دائرة تعني أنه يحاول التفكير في نفس الشيء بلا جدوى. أما النقط المتناسقة، فتعني أن عقله أصبح هادئا، وأنه أخذ قرارًا يريح باله. والأسهم يشيرون إلى أشخاص في حياته، إما يمثلون مثله الأعلى، وإما يمثلون فشله.. مازلت أتذكر كلامه جيدًا."

***

نعم تذكر.. إنها الأسهم التي رسمها (آدم) على الورقة في المصحة. نفس ترتيب النقش، مع اختلاف أن الأسهم هنا تم

نحتها على الجدار بآلة حادة. نظر بسرعة أمامه مرة أخرى إلى الرجل الذي يسير، فوجده يقف على مسافة بعيدة جدًا، وينظر له ويبتسم!!! من المستحيل تحديد الملامح من تلك المسافة، ولكنه يبتسم بحق!

رن هاتف (سامح) المحمول، فرفعه وهو مازال ينظر للرجل، الذي وقف ينظر له هو الآخر، وضغط على زر الرد، ووضعه على أذنه، فسمع أحد الضباط يقول له:

- " انتهى الدكتور/عادل فودة من تشريح الجثة، وهو الآن يكتب التقرير النهائي. ولكن هناك نقاط يا سيد (سامح) بلا معنى.. فمثلًا جثة (حسن) احتوت على نسبة من عقار -يسمى (أميتال الصوديوم) على ما أتذكر- وأيضًا على نسبة من (ال سي دي).. ثم هناك شيء آخر غريب.. العضو الذكري لـ (حسن) قد قطع بنفس السكين التي كان يحملها، وقتل نفسه بها، وفي غرفه نومه وجدنا عبارة على الجدار ،كتبت بالدم تقول (نهايتي رمادية). هل تعتقد أنه من فعل بنفسه هكذا عندما تحول لشخصية الجزار؟"

تطاير الشرر الغاضب من عين (سامح) وهو ينظر إلى الرجل، الذي يقف ويبتسم، وقد بدأ (سامح) يستوعب الحقيقة في عقله، ولكنه قال ببرود للضابط على الهاتف:

- " استنتاجك صحيح. ضع التقارير على مكتبي بعد الانتهاء منها."

أغلق هاتفه، ونظر للرجل، الذي أخرج شيئا ما من جيبه، ثم وضعه على أذنه. هنا سمع هاتفه يرن مرة أخرى.. نظر على شاشته ليجد رقمًا غريبًا، فرد عليه، ليسمع صوتا كالفحيح يتكلم قائلًا:

- " سيد (سامح).. إنه لمن دواعي سروري مقابلتك.."

انعقد حاجبا (سامح) وهو يقول:

- " من أنت؟"

- " أنا (آدم) يا سيد (سامح).. أو كما يطلقون علي.. (الجزار)."

ظل (سامح) صامتًا، وهو ينظر إلى الرجل الذي يقف بعيدًا، ويتحدث إليه في الهاتف بذلك الصوت الخفيض الرهيب بطيء نطق الحروف، والذي أكمل قائلًا بطريقته:

- " أنا (آدم) الحقيقي يا سيد (سامح)، وقد انتهت مهمتي كما أخبرتك منذ أسابيع، وعادت العدالة مرة أخرى، كما كنت تريد لها، وإن كنت أدين لك بتفسير بسيط عما حدث. أمس في الساعة الثامنة مساءً، كنت أنا داخل شقة (حسن)،

وبالتحديد في غرفة نومه، وتحديدًا أكثر تحت فراشه.. أعرف أنكم تعدون لي الكمين، ولكن من كان يتوقع أن أعد لكم أنتم الكمين.. تنتظروني داخل الشقة وأنا بجانبكم.. الكل يتوقع دخولي الشقة وينتظره، وأنا كامن في غرفة النوم المغلقة."

(الظلام يحيط بالموجودات، ولا ضوء إلا شعاع بسيط يدخل من أسفل الباب، ليضيء حدود جسد (حسن)، في حين أن هناك خروشة بدأت تظهر من تحت الفراش.. خروشة بسيطة لا تلتقطها الأذن.. وفجأة.. خرج جسد ما من تحت الفراش بصعوبة، ثم وقف على قدميه، وهو يفرد جسده ويحرك أطرافه بسبب الخمول الذي استبد به من جلوسه تلك الفترة تحت الفراش.. نظر الرجل إلى الجسد النائم، ثم أخرج محقنًا مليئًا بسائل أصفر اللون، ووضعه على الكومود، ثم فجأة ضغط بيده اليسرى على فم النائم، الذي فتح عينيه فزعًا، ثم وبيده الأخرى دب المحقن في ذراعه، وبعد أن دخل السائل جسده، استخدم نفس اليد لضربه على رأسه، ففقد الوعي للحظات.. ظل هكذا يضع يده على فمه دقائق، (حسن) في حالة ما بين الوعي والنوم، حتى رفع هو يده، ثم اقترب من أذنه، وقال له هامسًا:

- "أنت (آدم محمد عبد الرحمن)، هناك من يدعى (حسن المهدي) اغتصب زوجتك، وقتل طفلتك منذ عامين.")

أكمل (آدم) كلامه بصوته المبحوح ذو الكلمات المتقطعة:

- " زرعت جميع ذكرياتي في عقل (حسن) في الساعة التي قضيتها بجانبه.. طريقتي في الكلام، في السير.. أنفاسي، مشاعري.. كيف أكلت الجميع.. كيف استمتعت بلحمهم.. لم أترك شيئاً إلا وزرعته، حتى كرهي لحسن."

***

مادة (أميتال الصوديوم) أو (بنتوثال الصوديوم) استخدمت بكثرة في المعتقلات النازية، وقد روج الألمان أساطيرها لإرعاب الأسرى من تلك المادة، التي تعمل على القشرة المخية، وتقوم بفصل جزء من الوعي عن الشخص بعد حقنه بجرعة معينة، حيث يمكن للشخص أن يتقبل أي أوامر تأتي له من الخارج، لأن العقل الواعي في تلك الحالة يكون في حالة غياب موقتة، وبالتالي في حالات كثيرة تتوقف قدرة المخ على التخيل والإبداع، مما يجعل من يقع تحت تأثيرها يفقد القدرة على اختلاق الأكاذيب، عندما يتم سؤاله عن شيء ما. وفي كثير من الأحيان استخدم الألمان ذلك العقار لبث أفكار معينة، أو أوامر أو ذكريات غير حقيقية، حيث يصحو الرجل وهو مقتنع بتلك الأوامر والذكريات، لأن عقله الباطن قد صنفها على أنها موجودة بالفعل. ولكن كثيرين ممن وقعوا تحت تأثير ذلك المصل رفضت عقولهم تنفيذ الأوامر التي أتت لهم، أو حتى رفضوا الإجابة على الأسئلة التي وجهت لهم، بسبب عدم غياب الوعي بالكامل، مما جعلهم يتحكمون بجزء من الإدراك.

- " نعم جعلته (آدم) تمامًا، وحان الوقت لزرع أوامر في عقله كي ينفذها، ظللت أزرع الأوامر في عقله، ولكن فهمت من طريقة هزة رأسه أنه سيرفض تنفيذها، فمازال جزء من وعيه وإرادته متيقظين.. كان يجب أن يقتل نفسه بنفسه.. كان يجب أن يغلق الدائرة بنفسه، ولذلك استخدمت (أل سي دي) بجرعة بسيطة، لتلغي إرادته ووعيه، ويصبح عليه تنفيذ ما بقى في عقله الباطن من أوامر مباشرة. وبمجرد أن بدأ التنفيذ، وفتح باب غرفته، فصل الإضاءة من مفتاحها الرئيسي القريب من غرفته، وخرجت أنا من باب الشقة في هدوء لأصعد للسطح."

***

من الممكن أن يستخدم أي عقار، سواء أكان مخدرًا أو سامًا، فربما يستخدم الـ (أل سي دي) الذي يدخل متعاطيه في نوع من غياب الوعي، فيصبح كتلة من الأفكار الغريبة والخيالات، التي تصل لمتعاطيها بالإقدام على الانتحار بسهولة. وربما يستخدم عقار (الميسكالين)، الذي يسبب هلاوس لا حصر لها، تنتهي غالبًا بالوفاة.

***

هل هو غضب؟ هل هي دهشة؟ هل هو الخوف؟ ما الشعور الذي يشعر به (سامح) الآن؟؟؟ هو نفسه فشل في تحديد شعوره.. أخذ يحاول الخروج من الصدمة، وكلمات (آدم) تغرقه، ولكنه يفشل دائمًا. قال (سامح) بصوت أجش:

- " أميتال الصوديوم؟"

- " للوصول لباقي أفراد الدائرة، ومعرفة معلومات شاملة عن منازلهم وحياتهم الخاصة."

- " الاختفاء من المصحة؟"

- " هروب بسيط لم يكلفني الكثير، وخاصة أنني في المصحة كنت أفكر بالفعل في كيفية الانتقام. وعندما حان الوقت، اخترعت تلك التمثيلية، وهربت بسهولة، ولن يهمك كيفية هروبي."

- " الشخص الغريب الذي كان يزورك؟"

- " هو (حسن) وقد كان يشعر بالذنب، ويحاول مساعدتي بطريقة غير مباشرة، ولكنني كنت صامتًا.. كنت أفكر كيف أستغل زيارته المتكررة لي في المصحة. كان يعتقد أن عقلي قد ذهب، ولكن الحقيقة أنني كنت في أصفى حالاتي."

- " شقتك في المرج، التي تدور حولها الأساطير؟"

- " طوال الفترة السابقة كنت أسكن فيها، وأصعد إليها من عمارة قريبة عن طريق السطح.. والأصوات كنت أنا أقوم بها، لأبعد الناس عن العمارة، وأزرع الخوف في قلوبهم، كي لا يسكن أحد العمارة أو الشقة.. والأضواء هي ضوء الشموع،

التي أضيئها كي أقرأ عليها كتب التشريح، التي كنت أضعها في صناديق، وأهيل عليها الغبار."

- " من علمك استخدام العقاقير؟"

***

تركه الرجل، وسار في الشوارع على حسب وصف النادل، حتى وصل إلى شارع جانبي ضيق جدًا، وفي آخره صيدلية صغيرة جدًا، اتجه لها حتى دخلها، وهو يقول بصوت خفيض مبحوح:

- " أريد أن أتكلم مع دكتور (محمود الشامي) "

ضحك الرجل العجوز، الذي يجلس على مقعد صغير داخل الصيدلية، وقال للرجل:

- " أنا (محمود).. طلباتك؟"

ابتسم الرجل الواقف، وبدأ يطلب ما يريد، والرجل العجوز يستمع له مبتسمًا..

***

- " ليس من شأنك."

- " من أين لك بالنقود؟"

- " منذ أكثر من عام، كنت نائمًا بفراشي أنا وزوجتي، وجدت من يفتح باب الغرفة بهدوء، ورأيته في الظلام يقترب من الدولاب ويفتحه، ويفتح أحد الأدراج التي أحفظ دائمًا نقودي بها، وأخذ من النقود خمسة عشر ألف جنيها، وترك الباقي، ثم نظر لي ولزوجتي قليلًا لدقائق، وبعدها خرج من الغرفة.. لم أتكلم.. ومنذ ستة أشهر، دخل نفس الرجل الغرفة في الظلام، وفتح نفس الدرج في الدولاب، وأخذ مبلغ ثلاثين ألف جنيها، وترك باقي النقود، وأخذ ينظر إلينا مرة أخرى، ثم خرج. كان هذا الرجل يعرج وهو يسير.. اسمع يا بني.. لا أعرف كيف قلت لك هذا، ولكن أحلفك بالله لا تؤذِ (آدم) لو شاهدته..

***

- " ليس من شأنك.. ويكفيك أسئلة إلى الآن."

مرت ثوان صمت، ثم عاد صوت (آدم) الخافت يقول بسخرية:

- " والآن يا سيد (سامح) سيختفي الجزار، فالنهاية قد كتبت كما قلت لك.. ستغلق ملفات القضية، ويصبح (حسن) هو الجزار وينتهي الأمر كما خططت له تمامًا.. لا وجود للخير.. لا وجود للشر.. لم ينتصر أحد.. لم ينهزم أحد.

هذه هي النهاية التي أحبها.. نهايتي الرمادية.. ألا تراها معي؟!!"

كانت هذه هي آخر كلمات (آدم)، قبل أن يغلق الهاتف، ويضعه في جيبه وهو ينظر لسامح، الذي ظل تعبير وجهه كما هو جامدًا، بالرغم من اتساع عينيه.

نظر كل منهما إلى الآخر ما يقرب من دقيقة، ثم رجع (آدم) للوراء وهو يخطو بعرج، وبعدها أعطى ظهره لسامح، وسار بعيدًا.

أما (سامح)، فقد نظر على يساره إلى المقابر، ثم نظر مرة أخرى أمامه لآدم، الذي يسير مبتعدًا، ومختفيًا عن الأنظار.

عاد هو الآخر بظهره للوراء، وهو مازال ينظر للمكان الذي اختفى فيه (آدم)، ثم توقف ونظر خلفه، وسار هو الآخر بعيدًا، وفي عقله عادت نفس العبارة التي شعر بها..

(النهاية الرمادية)

تمت بحمد الله

حسن الجندي

٢٠٠٩/٩/٢٩

مخطوطة بن إسحاق

(مدينة الموتى)

اجتمع الساحر بالأربعة فقراء، ثم جعلهم يحفظون هذه الكلمات:

سماها طولام فقدشبينا يوهانيط سمسمائيل يصيفيلش زحرق كل من عصى أمرك بحق إصطفار و بيوم عمياخ وبحياة هليع بحق إصطفار وبيوم عمياخ وبحياة هليع يا من تسمعون في وادي القرنيم بحق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيد بن ذاعات فيدعاهاط موسماعل حتى إذا حضرتم أحرقم الجبار بحق وصيل مشموهوه .

فقال (يوسف):

- "ويبدو أنه قد جرت أقدامنا في مسألة أقوى منا بمراحل، وأعتقد صدقًا أن تلك المخطوطة هي مفتاح لعالم الجن، أو إذا أردنا التحديد، هي مفتاح لبوابات معينة في عالم الجن، لم نكوّن فكرة كاملة عنها."

(المرتد)

((قال الدكتور (حسام) بنفاد صبر لمساعده:

- " اذهب لترى ماذا يحدث في المولدات "

مياااااااااااااااااااااااااو

نظر الجميع بدهشة لمصدر الصوت، ليروا قطًا أسود اللون، يقف متحفزًا أمام الباب وهو ينظر لهم.. هنا شهق (خالد) وهو يتراجع للخلف، وهو يقول:

- " مستحيل .. نفس القط .!! "

ابتسم القط مرة أخرى، كاشفًا عن أسنانه وهو ينظر للواقفين. هنا انطفأت الأضواء في الغرفة، وسمع الجميع صوت زئير شديد، ثم أحسوا بالمنضدة التي ترقد عليها الجثة تتحرك من موضعها.

شعر (خالد) بصوت يحدثه في أذنه مباشرة، كأنه يخبره بسر، يقول الصوت بخفوت:

- " سأستعير الجثث لأيام يا صديقي. "

وعادت الإضاءة مرة ثانية..

ولكن لا أثر للقط، أو للجثة، أو للتقارير التي كانت بجوار منضدة التشريح..!!!!))

شهق شهقة كبيرة، وهو يحاول أن يحرك يده من على الجثة، التي وضع يده عليها يتحسسها. إذن هو داخل قبر، باللهول ياللهول، هل مات وينتظر الحساب أم أن.. أم أن ماذا؟

أبعد يده عن الجثة، وأوصاله ترتجف مما فهم.. حاول الارتكاز بيده على الأرض لينهض، ولكنه فقد الوعي فجأة.

***

خرج الجميع، وتركوا (طاهر)، الذي أخرج من جيب قميصه علبة أقراص صغيرة، وتناول قرصًا منها وهو يتكلم مع الجثة:

- " ايه يا حلوة مغمضة عينك ليه، مكسوفة مني وألا إيه"

مد يده يحاول أن يفتح عين الجثة، ثم يخلع قميصه وسرواله، ويمسك بسكين صغيرة، تناولها من على منضدة (هادي)، ليقطع بها قماش الكفن من على الجثة.

***

تحت الطبع

ماريـــا

(قصة الصوفي والراهبة)

((قلب (محمد) المجلدين بين يديه، يتأملهما. كانا عبارة عن مجلدين كبيرين ثقيلين مغلفين بجلد أسود ومنقوش عليه رسم لمفتاح الحياة، الرمز الشهير عند القدماء المصريين، والذي يشبه رمز الصليب. رفع (محمد) عينيه عن المجلدات مندهشًا، بعدما وجد مفتاح الحياة على المجلدين، فقال له (راغب):

- " لا تسألني عن سبب وضع رمز مفتاح الحياة على المخطوطات المسيحية، لأنني لن أجيبك.. أنت تمسك بالمخطوطات الناقصة من المجموعة، التي يسميها العلماء مخطوطات نجع حمادي. وما تمتلكه الآن قنبلة، لو انفجرت ستهدم الكثير والكثير. أرجوك عدني ألا تنتشر تلك المخطوطات في حياتي.. لا أريد أن يقتصوا من عائلتي، ولا أريد أن أرى ما بني في آلاف السنين يهدم أمامي، وأكون أنا السبب."

- " أعدك يا (راغب)."

- " لو سألني أحدهم عن المخطوطات، سأقول إنها سرقت."

- " لا يا صديقي.. بل قل للقس ما رأيت من مظهري، وأذكر له ملابسي ومسبحتي وكلماتي وحديثي، وقل له إنني أجبرتك وهددتك بقتل أطفالك، وأنني كنت سأقتلهم أمام عينيك، وأذكر له ما رأيت من تغير وجهي."

- " لن يصدقني، فهذا غير معقول."

ابتسم (محمد) بخبث وقال:

- " قل للقس إن من زارني وهددني قال إن اسمه (محمد عبد العال الغول)، وأنصحك أن تنظر خلفك الآن."

نظر (راغب) وراءه فجأة، فلم يجد شيئاً، فعاد لينظر لمحمد ليسأله، ولكنه لم يجده أمامه؟؟!!!! لقد اختفى بلا صوت !!))

***

- " ماما ماما قومي يا ماما فيه أصوات وحشة "

قالت (سميرة) الطفلة ذات الثمانية أعوام العبارة السابقة، وهي تهز والدتها، لتصحو. فاستيقظت الأم بنصف عين، وهي تسأل عما يحدث. استيقظ زوجها، وهو ينهض مفزوعًا، ليسأل الطفلة، لكنه سكت لحظات هو والأم، ينصتان لصوت ما، كي يتأكدا مما يسمعان. صوت بكاء واضح، ونحيب قريب من منزلهم!.. غادر الرجل الفراش بسرعة، وهو يمسك بساعته الموضوعة بجانب الفراش.. الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.. توجه للشرفة، لينظر يمينًا ثم يسارًا، وفجأة تجمدت عيناه على تلك الفتاة، التي تأتي من ناحية المنزل المجاور البعيد. استغرقت نظرته ثوانٍ، وهو يرى بوابة المنزل المهجور مفتوحة، وفتاة ترتدي حجابًا، وتغطي وجهها تسير في الشارع، وهي تبكي وتتخبط وتهتز كالسكارى!!! هذا هو البيت المهجور، الذي تدور حوله الشائعات، ما الذي جعل فتاة تأتي من اتجاهه، وتبكي بهذا الشكل؟!.. دقق النظر جيدًا، يحاول أن يخترق الظلام، الذي يحيط بالفتاة.. ملابس الفتاة مليئة بالدماء، ويداها أيضًا !!!!!!

***

((التقط (حامد) أنفاسه أخيرًا، وحبات العرق تقطر من جبينه، لتختلط بالدماء، وتسقط على الأرض، مصطدمة بجثة (رامي) التي امتلأت عن آخرها بالجروح والخدوش والكسور .. ابتسم (حامد)، ناظرًا لخدامه من الجان، الذين يدورون بسرعة حول الجثة، أخيرًا استطاع أن يقتل (ملاك جهنم).. خصم ليس بالهين هو.. بالفعل كل الأساطير، التي رويت عنه، حقيقية، وخاصة بعد انتهاء الصراع بينه وبين الصغير الآن.

تحرك ببطء، وهو يئن، ويدور حول جثة (رامي) يتأملها.. ذراعه التي أصابها كسر من المرفق، فطويت بالعكس، الدماء التي تسيل من صدره بغزارة، ذلك الفك المكسور، الذي فتح لآخره، ويميل لليسار قليلًا باتجاه الكسر، هذا الجرح الكبير في جبهته، والذي سالت منه كمية كبيرة من الدماء، أغرقت وجهه، وأخفت ملامحه.. حتى قدميه لم تسلما من الكسور، فطويت القدم اليمنى تحت جسده، في وضع يظهر ذلك الكسر العنيف، الذي أصابها. زادت ابتسامة (حامد) وهو يقول :

- " رأيك إيه دلوقت يا صاحبي؟ الشيطان كان عنده حق لما وهمك إن القوانين الإلهية مابتمشيش عليك؟ مابتردش ليه؟ "

اتسعت فجأة عينا (حامد)، وتراجع للخلف بسرعة، وهو يسمع صوت طقطقة عنيفة تصدر من الجثة.. صوتًا يشبه تحطم العظام، ولكن المصيبة أنه ليس تحطمًا للعظام !!!!! انطلقت صرخة من فم (حامد)، وهو يرى مرفق الجثة يصدر طقطقة، ويتحرك تلقائيًا، وهو يأخذ وضعه الطبيعي، وكأنه يلتئم. قدمه هي الأخرى تصدر نفس الطقطقة، وتعود لوضعها الطبيعي، وكأنها بلا كسور.. الجروح في وجه الجثة تغلق، وكأنها خدعة في فيلم رعب.. جرح صدره يغلق، والدماء تقف منه.

تراجع (حامد) للوراء، وهو يهز رأسه غير مصدق، وجسد (رامي) تنتهي منه الجروح، وصوت عظامه يصدر الطقطقة، والعظام تعود لوضعها مرة أخرى.. وفي النهاية، خرج صوت عنيف من فكه المكسور، وهو يعود لطبيعته. عند ذلك الحد كان (حامد) قد التصق بالحائط من الرعب، وعيناه تنظر بذهول لرامي، الذي قام من على الأرض بهدوء، وهو يتنفس بعمق، وهو مازال مغمض العينين..

– " آسف أني اتأخرت في الرد على أسئلتك. بالنسبة للإجابة على سؤالك.. أيوة حقيقي القوانين الإلهية مابتمشيش عليا لأن قوانين ربك مش هاتمنعني "

قال (رامي) تلك العبارة وهو يقترب من موضع (حامد)، الذي ظل يحتمي بالجدار في رعب، و(رامي) يقترب أكثر، وهو

مغمض العينين، وصوت الصفير يدوي مرة أخرى بعنف، ليعلن عن نهاية (حامد). فجأة اختفى (رامي) من أمام عين (حامد)، ليظهر أمامه فجأة، ويمسك بتلابيبه، مقربًا عينيه المغلقتين من عينه.. مرت ثوان على هذا الوضع، حتى فتح (رامي) عينيه، ليظهر في موضعهما بياض تام، ويقول وهو يبتسم :

- " لو سمحت.. بلغ سلامي لحبايبي اللي بعتهم لجهنم وقولهم لو طلع فيه جهنم بجد فهنتقابل في الآخر كلنا ويتجمع الحبايب، ولو مفيش جهنم يبقى ادعولي بقى في المكان اللي انتوا فيه دلوقت "

قال تلك العبارة وهو يبتسم، وحدقتا عينيه البيضاء تضيق أكثر، بينما أخذ (حامد) في الصراخ، وصوت الصفير يعلو أكثر وأكثر، وخدام الجان يـــ........))